

الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم



محمد محمود أحمد سيد أبات الطلاني

محاضر في جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الإعلام

١٤١٢

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . .

أما بعد . . فعندما تخرجت من كلية الشريعة بجامعة المدينة المنورة عام ١٣٩٧/٩٦ هـ كنت قد قررت مواصلة تعليمي وتحضير رسالة « الماجستير » في الإعلام وذلك لأنني كنت أقرأ المجلات والصحف وأسمع الإذاعات وأتابع كثيراً من الموضوعات والأخبار عن طريق وسائل الإعلام . . ولا أخفي استغرابي عندما شعرت بقصور العالم الإسلامي في هذا الميدان في مجاله « القول والعملي ^(١) » مما فرض عليه الابتعاد عن ساحة الصراع الفكري العالمي . .

ودفعني ذلك الشعور إلى التفكير بجديّة في اقتحام هذا المجال لا اعتقادي الراسخ في الأثر العظيم الذي ينبغي للإعلام الإسلامي أن يحدثه في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة وهو أثر تحدده احتياجات عالمنا المعاصر كما أظهرتها تجارب الأحداث العالمية الكبرى . .

وكان من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن جامعة الإمام محمد بن سعود قد أدركت بفضل وعيها ومتابعتها لاحتياجات العالم الإسلامي وما انتهى إليه الإعلام الإسلامي من حالة سيئة جعلت المسلمين يشكون من نتائجه وسلبيته في شتى المجالات والقضايا المصيرية .

فقامت بإنشاء قسم للإعلام الإسلامي لسد احتياجات العالم الإسلامي من العلوم والأطر المتخصصة في هذا الميدان الهام . . فسدّت بهذا العمل العظيم فراغاً كبيراً كان كثير من المتطلعين إلى تقدم هذه الشعوب يشعرون بضرورة وجوده في جامعاتهم وذلك لأهمية هذا النوع من العلوم وعظيم فائدته على الأمة وخصوصاً في العصر الحديث . .

(١) وأقصد بقولي « القول » تلك الأساليب الإعلامية التي تعتمد على القلم واللسان - وأما « العمل » من الأساليب الإعلامية ما كان اعتماده على التحركات العملية سواء كانت سلمية أو عسكرية ، فالسلمية كالقيام بتحركات دبلوماسية تتمثل في لقاءات وزيارات متبادلة وعقد المؤتمرات لبحث شئون الساعة ، وأما العسكرية كالقيام ببعض العمليات الحربية محدودة أو غير محدودة وكالقيام ببعض المناورات والطلعات الإستكشافية . . الخ . .

فأريت أن ألتحق به وأساهم فيه بقدر استطاعتي وجهدي المحدود وكان ذلك في السنة الثانية من افتتاحه ، فأنهيت الدراسة المنهجية ومدتها ثلاث سنوات وتمكنت خلال هذه الفترة من تكوين فكرة لا بأس بها عن الإعلام ومبادئه وأسس وأفكاره كما تمكنت من إدراك تصور واضح للسبب الأساسي في فشل الإعلام الإسلامي الذي يمتلك أرقى وسيلة وأعظم فكر ومع هذا يعتبر من أكثر البلاد تخلفاً في الإعلام وهذا الفشل يتمثل في الفهم الخاطئ للأسلوب الإعلامي لدى كثير من المفكرين الإعلاميين من المسلمين الذين يعتقدون بأن الأسلوب الإعلامي يعتمد على القلم واللسان فقط وفاتهم أن هناك أسلوباً إعلامياً يعتمد على العمل قد يكون في كثير من الأحيان أبلغ بكثير من الأسلوب القولي في إيصال المادة الإعلامية ونشرها . .

وإيماناً مني بجدوى الأسلوب الإعلامي وأهميته وعمق أثره ، واقتناعاً مني بأن القرآن الكريم يشتمل على أعظم أسلوب في الإعلام . اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه (قولاً وعملاً) مما جعل هذه الرسالة تنتشر في مشارق الأرض ومغاربها في مدة قصيرة من الزمن . كما أن فيه كشافاً للأساليب الإعلامية المضادة التي استخدمها أعداء هذه الرسالة في محاولاتهم المستميتة للقضاء على هذا الدين وإطفاء نوره والتي لها امتداد إلى يومنا هذا . .

لذا اخترت متابعة الأسلوب الإعلامي في القرآن والإهتمام به محاولاً بذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة في تصورها للأسلوب الإعلامي . بأنه يقتصر على القلم واللسان دون غيرها من الأساليب العملية كالضرب بالحديد والنار والقيام بالتحركات الدبلوماسية في الوقت المناسب . . وأن لكل منها استخدامات خاصة لا يمكن أن يقوم الآخر مقامه فيها ولكن كل منهما يتمم الآخر ويكمله ولا يمكن لأحدهما الإستغناء عن الآخر . .

وإذا فقد أحدهما بطل مفعول الآخر تلقائياً وأصبح لا أثر له ولا قيمة ، وذلك بإلقاء الضوء على الأسلوب الإعلامي الحقيقي الذي يمكن استخدامه بنجاح تام في تحقيق الأهداف والأغراض ، وبيان أن أي تحريف في هذا الأسلوب أو أي إعراض عنه ومحاولة الهدى في غيره فإن مصيره الضلال والإضلال البعيد كما تنص الأحاديث الكثيرة على ذلك ، وأن واقع المسلمين اليوم ومآلهم فيه من ضلال وضعف وانقسام بسبب الابتعاد عن الهدى الإعلامي في القرآن الكريم لا بسبب التمسك به كما ينادى بذلك كثير من المنافقين والغوغائيين الذين ينعمون مع كل ناعق . .

ولا أريد في هذا البحث المقارنة بين الأسلوب الإعلامي والأسلوب الإعلامي في القرآن

الكريم فحاشا لهذا الأسلوب أن يكون في موضع مقارنة . فالأساليب الإعلامية في وقت نزول الوحي والموجودة الآن وهي امتداد لما قبلها مصادرها بشرية وتخدم أغراضاً بشرية . أما الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم فإنه من الله والغرض منه الصدع بالحق والقضاء على الباطل وسعادة البشرية في الدارين لذا تميزت عن غيرها بعدة خصائص سنذكرها في حينها . فلا مجال إذاً للمقارنة وإنما نريد دراسة هذا الأسلوب العظيم ومحاولة الاستفادة منه في الإعلام الإسلامي .

لأن الإعلام الإسلامي لا يستطيع بأساليبه الحالية أن يقف أمام الأساليب الإعلامية المتطورة والمعادية للإسلام والمسلمين إلا إذا رجع إلى القرآن الحكيم واستمد سياسته الإعلامية القولية والعملية منه . . . ولقد قسمت هذا الكتاب إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة :-

التمهيد :

ضمته معنى الأسلوب وأنواعه وأهميته . .

وأما الباب الأول :

تحدث فيه عن القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي وعن الأسلوب الإعلامي في القرآن وخصائصه . .

والباب الثاني :

نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره ، تعرضت فيه بالدراسة لبعض النماذج من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم كأسلوب الخبر والقصة والمثل وأسلوب الحكيم . . كما بينت فيه بعض طرق التأثير القرآني بشيء من الإيضاح . .

وأما في الباب الثالث التطبيقي وهو الأخير :

حديث عن بعض آثار هذا الأسلوب على الأمة وذلك في فصول ثلاثة . فصل في أثره على العقيدة وفصل في أثره على الأخلاق ، وفصل في أثره على المعاملات . وأنهت البحث بخاتمة لهذا الموضوع أعطيت فيها فكرة عامة وموجزة عما تضمنه هذا البحث من فوائد وإرشادات نفني الله وإياكم به وهو الهادي إلى الطريق المستقيم .

وأخيراً أقدم شكري لجميع من تفضلوا بمساعدتي في هذا البحث وأخص بالذكر منهم الدكتور الفاضل / احمد حسن فرحات وأستاذي الغالي / زين العابدين الركابي على ماقدماه من جهد مشكور تمثل في التوجيه والإرشاد وتذليل كل الصعاب التي واجهتني أثناء البحث حتى خرج الكتاب على الوجه الذي بين أيديكم .

فأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في محاولتي هذه وأن ينفع ببحثي هذا المسلمين الراغبين في المساهمة بجهودهم للنهوض بالإعلام الإسلامي وتطوير أساليبه وأن يثيبني على هذا العمل فوق ما أطمع وأكثر مما أرجو إنه سميع مجيب .

« التمهيد »

« الأسلوب في اللغة والاصطلاح »

الأسلوب في اللغة :

هو بضم الهمزة الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أى على طريق من طرقهم^(١).

والأسلوب في اصطلاح الأدباء :

هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال أو هو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني^(٢).

وأما الأسلوب عند رجال الإعلام :

فهو إيقاف الجماهير على الحقائق أولاً بأول وتكوين رأى عام ناضج ونشر الأخبار الصحيحة^(٣).

ونلاحظ من التعريفين السابقين الأدبي والإعلامي أن كلاً منهما يقصر الأسلوب على العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات ، فالجمل والعبارات وهذا التعريف لاشك أنه قاصر ، وذلك لأن هذه الصور اللفظية قبل أن تكون ألفاظاً تنتظم وتأتلف على لسان الكاتب أو المفكر قد كانت أفكاراً ومعاني في النفس ثم تترجم هذه الأفكار والمعاني على شكل أقوال وأفعال تصدر من الكاتب أو المفكر بهدف تحقيق غرض معين فنسمى هذه الأقوال وهذه الأفعال أسلوباً من القول أو العمل ..

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقرر ونقول بأن للأسلوب معنى أوسع مما عرّفه به الأدباء والإعلاميون فيشمل كل ما من شأنه أن يترجم تلك المعاني والأهداف التي ارتسمت في النفس

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد بن محمد الفيومي ج ١ - ص ١٥١ - المطبعة الخيرية .

(٢) الأسلوب - أحمد الشائب - ص ٤٦ - مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .

(٣) الأسلوب الإعلامي والعلاقات العامة - محمد عطا - ص ١٨ - مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .

بغرض إيصالها إلى الناس وإقناعهم بها فإذا ترجمت بالقول فإننا نسمى ذلك العمل أسلوباً قولياً ، وإذا ترجمت بالعمل والفعل نقول بأن ذلك الأسلوب أسلوب عملي وهذا التعريف يلتقي مع التعريف اللغوي للأسلوب ويتفق معه . .

معنى الأسلوب الإعلامي في القرآن :

الأسلوب القرآني الذي هو عبارة عن الطريقة التي أنفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه^(١) حتى يسهل حفظه في الصدور ويستحيل فيه التغيير والتبديل فيتتفع المسلمون بمضمونه في كل جيل وفي كل عصر ليس هو مرادنا في هذا البحث . . وإنما نقصد بالأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم : تلك الطريقة القولية والعملية التي يرشدنا إليها هذا الكتاب الحكيم لكي نسلکها في عرض الحقائق أولاً بأول على الناس بغرض تحقيق هدف معين أو تكوين رأى عام ناضج نحو قضية من القضايا سواء كانت هذه القضية أو ذلك الهدف في صالح المرسل أو المستقبل . .

وقد أشار سيد قطب رحمه الله إلى هذا المعنى عند وصفه لهذا الكتاب العظيم بقوله : « إن القرآن الكريم كائن حي يتحرك . . في ظل الوقائع يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه ويقرأ هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها فهو في عمل دائم وفي حركة دائبة إنه في ميدان المعركة وفي ميدان الحياة وهو العنصر الدافع المحرك الموجه في الميدان »^(٢).

ولا عجب في ذلك فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي أيد الله بها نبيه الأُمِّي والتي غيّر بها نفوساً وأحيا قلوباً وأنار بصائر ورَبَّى أمة وكوّن دولة في زمن يشبه الخيال . ولحرص الرسول ﷺ على أُمته واهتمامه بها لفت انتباهها إلى أهمية القرآن الكريم وحذرها من التفريط فيه أو الإبتعاد عن هديه في حديث أخرجه مالك في موطنه يقول فيه « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله »^(٣) . . وفي حديث آخر روى « عن ابن عباس رضی الله عنهما : من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب - وفي رواية قال : من اقتدى بكتاب الله لا يضل

(١) مناهل العرفان - الزرقاني - ص ١٩٩ .

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب - المجلد ١ - ص ٢٠٤ - دار الشروق - بيروت .

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول - لابن الأثير - ج ١ - ص ٢٧٧ - مكتبة دار البيان . .

في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) (١) ..

ولا شك أن هدى القرآن الكريم عام في كل شىء وفي كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ..

وهذه الحقيقة نذكرها عندما نراجع القرآن الكريم وننعم النظر فيه فإننا سنجد قد هدانا وأرشدنا إلى التعاليم التي تعتمد عليها الأساليب الإعلامية في نجاحها بل نستطيع أن نقول أن هذه التعاليم بمثابة الأرض الصلبة التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي في أساليبه في كل زمان ومكان .. ومن أهم هذه التعاليم :-

١ - أن تكون القيادة الفكرية على قدر كبير من الإيمان والإدراك للمبادئ الإسلامية وأهدافها .. وتكون على قدر كبير من الوعي السياسي والاقتصادي والعسكري ولها قدرة فعالة على اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وتنفيذها ..

٢ - الاستعداد التام في كل المجالات وخصوصاً في المجال العسكري تحسباً لكل خطر قد يهدد أمنهم واستقرارهم وعقيدتهم التي تتعلق بها وجودهم وسعادتهم ..

٣ - وعليهم أن يثبتوا ويصبروا في وجه كل الصعوبات التي قد تواجههم أثناء نشرهم لفكرهم أو في حالة صراعهم مع أعدائهم مهما كانت الظروف والأحوال ..

٤ - ولا بد لهم من بذل الجهود لمعرفة كيد أعدائهم وأساليبهم الإعلامية المضادة والقيام بتعرية معتقداتهم وتوضيح صورتهم بشتى الأساليب والطرق حتى يتباعد الناس عنهم وعن خرافاتهم ..

وعلى أساس هذه التعاليم كان الرسول ﷺ يقود هذه الأمة مهتدياً بهدى القرآن فلا يقول ولا يعمل شيئاً من هوى نفسه بل إنه كان ملتزماً بأوامر الله التي كانت تنزل رويداً رويداً لتوفى بمتطلبات هذه الدعوة وتسد احتياجاتها ولوازمها في كافة مراحلها المختلفة وبذلك كانت جميع أقواله وأعماله ﷺ تعتبر بياناً عملياً للقرآن الكريم وصورة تنفيذية لأوامره .. قال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) .. قال قتادة : ان معنى الخلق في هذه الآية الكريمة .. « هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله » (٣) .. وعن سعد

(١) نفس المرجع - ص ٢٩٢ .

(٢) ن/٤

(٣) فتح القدير - الشوكاني - ج ٥ - ص ٢٦٠ - مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

قال آتيت عائشة فقلت يأم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ ، قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن إنك لعلی خلق عظیم» (١) ..

وهذا يفرض علينا نحن المسلمين اليوم أن نفتدي بالرسول ﷺ ونهتدي بهدى القرآن في توعيتنا للناس وإعلامهم بما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ..

فنستخدم الأسلوب العملي إلى جانب الأسلوب القولي لأنه قد يكون في بعض الأحيان أكثر فعالية من ناحية التأثير والجدوى .. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن ندرك حقيقة أن الأساليب القولية والعملية التي يرشدنا إليها القرآن الكريم تتسم بسمة أساسية وهي قوة الترابط فيما بينها ، وهذا الترابط هو الذي يعطي هذا الأسلوب صفة التكامل والتماسك فإذا حدث خلل في هذا التكامل أو استخدام أحدها مكان الآخر ، وحيث لا يمكن أن يحل غيره محله لم يحقق أهدافه وقد يتلاشى أو يؤدي إلى نتيجة عكسية ..

وأما إذا ظل في تماسكه واستخدم كل أسلوب في مكانه بعد دراسة مناسبة فإنه بلا شك سيحقق أهدافه بنجاح تام ..

والإعلام العربي مع الأسف لم يدرك هذه الحقيقة حتى الآن وما زال العرف عندهم أن أساليب الإعلام لا تتجاوز القلم واللسان وأن الإعلام لابد أن تكون له وزارة متخصصة تقوم بمهمة توعية الناس وإعلامهم بما لهم وما عليهم من الواجبات والحقوق ولكن الحقيقة التي أرشدنا إليها القرآن الكريم هي أن الأساليب الإعلامية لابد أن تمتد جذورها إلى جميع أجهزة الدولة حتى يكون الأسلوب العملي أسبق من الأسلوب القولي في الدعوة إلى المبادئ والأهداف والإعلان عنها ..

ولقد كان اليهود أكثر منا وعياً وإدراكاً لمعنى الأسلوب الإعلامي « لذا نجد كافة المؤسسات اليهودية المتخصصة في خدمة الإعلام وكذلك الهيئات والمنظمات الرسمية التي تعمل ضمن أشياء أخرى في خدمة استراتيجية الإعلام الإسرائيلي فهي لذلك تعتبر إدارة تنفيذية لتلك الاستراتيجية ..

ولعل أكثر ما يلفت النظر في هذا الشأن خلو الإدارة الحكومية الإسرائيلية ، من وزارة متخصصة للإعلام والإرشاد كما هو الحال في عدد كبير من الدول الأفروآسيوية ومنها كافة الدول العربية» (٢) .

(١) نفس المرجع - ص ٢٦٢ .

(٢) أعضاء على الإعلام الإسرائيلي - منذر عنبتاوي - ص ١٤٥ - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ..

أنواع الأسلوب الإعلامي :

والآن وبعد أن عرفنا معنى الأسلوب في اللغة والإصطلاح بقي علينا معرفة أن الأسلوب الإعلامي وإن كان وضع لغرض تحقيق أهداف معينة إلا أنه قد ينقسم من الناحية التطبيقية إلى نوعين :-

١ - أسلوب مباشر .

٢ - أسلوب غير مباشر .

النوع الأول : الأسلوب المباشر :

ويتمثل في أنه إذا وقعت حادثة أو خبر علمي أو اجتماعي يأتي بالخبر كما هو دون إضافة ..

مثاله :

« أعلن في تونس أمس عن اكتشافات بترولية وغازية في الجنوب التونسي وجاء في بيان أصدرته شركة « أموكو » التونسية للنفط أن كميات مشجعة من النفط والغاز تم العثور عليها على عمق أربعة آلاف متر تبلغ كميتها ٣٦١ ألف متر مكعب وأضاف البيان أنه لا بد من إجراء دراسات أوسع لمعرفة ما إذا كان الاكتشاف قابل للإستغلال التجاري في الوقت الحاضر » (١) ..

فهذا الخبر فيه إعلام بهذا الحدث وهذا الاكتشاف دون تغيير أو تبديل وبلا زيادة أو نقصان والغرض منه هو تبشير الشعب التونسي بمستقبل أفضل يسوده الرخاء ورغد العيش ..

النوع الثاني : الأسلوب غير المباشر :

وهذا الأسلوب يعتبر في الإعلام أهم من النوع الأول وخصوصاً في العصر الحديث .. لأنه في أغلب الأحيان يحمل أهدافاً معينة لذا تجد المرسل يخضع هذا الأسلوب لهندسة ذات طابع مميز ..

(١) جريدة الندوة السعودية - ص ١ - العدد ٦٨٤٥ - الخميس ١٢/١١/١٤٠١ هـ .

ومثاله : « مانشرته جريدة الجزيرة السعودية تحت عنوان « بعد تأنيب من كارتر : بيجن يوافق على استئناف محادثات السلام مع مصر » ..

يقول وزير خارجية إسرائيل بصرامة في تنمة هذا المقال صفحة ١٤ « لم أعد أعرف ما إذا كنا قد اقتربنا من السلام فعلاً أو نبتعد عنه لأن مفاوضات المصريين يصرون على عدم إبرام سلام منفصل ويصرون على ربط السلام مع مصر بحل وطني للمشكلة الفلسطينية مما يعقد الأمور ، وأضاف ديان إن المصريين الذين التقيت بهم مؤخراً سياسيون ينظرون إلينا نحن الإسرائيليين كأغراب على المنطقة وكيهود جاءوا من الغرب واستوطنوا في العالم العربي» (١) ..

ونلاحظ أن وزير الخارجية الإسرائيلية يريد من تصريحه هذا تحقيق عدة أهداف من أهمها .

* تحميل مصر مسئولية قطع المحادثات الجارية بينهما بشأن عقد سلام وأنها لا تريد سلاماً حقيقياً في الوقت الذي ترغب فيه إسرائيل رغبة جادة في السلام وتسعى إليه ..
وعلى هذا الأساس يتكون رأى عام دولي يدين العرب الذين يريدون القضاء على دولة إسرائيل ويبرر كل ما تفعله إسرائيل من اعتداء على العرب واغتصاب أراضيهم بأنه من قبيل الدفاع المشروع عن النفس ..

* إضعاف موقف مصر في الربط بين المعاهدة المصرية ومعاهدة الحكم الذاتي الفلسطيني في المنطقتين الضفة الغربية وقطاع غزة ..
وأنها إذا كانت تريد سلاماً حقيقياً تبرهن عليه بإعادة النظر في هذه المسألة - مع أنه أى وزير الخارجية الإسرائيلية كما يقول « يشك في أن تكون هناك رغبة حقيقية من جانب مصر في السلام لأنهم يصرون على إنشاء دولة فلسطينية في القطاعين وهذا من شأنه تهديد أمن إسرائيل وخطوة أولى للقضاء على دولة إسرائيل ..

مع العلم أن هذا التصريح روعى فيه التوقيت المناسب فقد كان قبل استئناف المحادثات التي قطعها المصريون بأيام قليلة حتى يجعل قضية الربط مستحيلة دائماً في شعور مفاوضيهم من المصريين مما يجعل عزائمهم تتلاشى شيئاً فشيئاً نحو هذه القضية ويستقر في أذهانهم أن طلبهم هذا مستحيل فيتخلون عنه أو على الأقل يقبلون بما تقدمه إسرائيل

(١) جريدة الجزيرة السعودية - ص ١ - عدد ٢٣٣٢ - السنة السادسة عشر - ١٣٩٩/١/٢ هـ .

من تنازلات بحيث تصبح الضفة والقطاع تحت إدارة مدنية فلسطينية تقوم في بناء اقتصادها وتعليمها على مساعدات الدول العربية والأمن الداخلي لهذا الحكم يحافظ عليه رجال أمن مصريون أو أردنيون وأما الأمن الخارجي والأرض فهي لإسرائيل فتكون بذلك حققت أهدافها ولم تخسر شيئاً - حققت استتباب الأمن في هذه الأراضي برجال أمن عرب واستفادت من المساعدات العربية للفلسطينيين في هاتين المنطقتين فتكون بذلك وفّرت على نفسها الجهد والمال والرجال ، وفي الوقت نفسه لم يحدث أي تغيير في المنطقة لأن الوجود العسكري الإسرائيلي مازال قائماً وجائئاً على هذه الأرض بقواته ..

وأما قوله « إن السياسيين الذين التقيت بهم ينظرون إلينا نحن الإسرائيليين كأغراب على المنطقة وكيهود جاءوا من الغرب واستوطنوا في العالم العربي » .

فإنه يريد بذلك أن يقوم هؤلاء المسئولون بالرد على هذه التهمة الموجهة لهم وينفوا مانسب إليهم ويعلنوا في جميع أجهزة الإعلام أن إسرائيل ليست غريبة على المنطقة وأنهم لم يقولوا ذلك ولن يقولوه أبداً وأنه محض افتراء عليهم ، وأن يترجموا ذلك عملياً بالتساهل مع إسرائيل والاستجابة لشروطهم في محادثات السلام وبذلك يتبين صدق إسرائيل في دعواها بإقرار من العرب أنفسهم بأن هذه الأرض لهم ولم ينتزعوها من أحد وأن العرب يريدون اغتصاب أرضهم وإخراجهم منها وإعطائها للفلسطينيين وبذلك يتكون رأى عام عربي ودولي مقتنع بأن هذه الأرض لإسرائيل ولا يحق لأحد ادعاؤها .

ومثل هذه المقولة تلك العبارة التي طالما رددتها أجهزة الإعلام الصهيوني وهي « أن العرب يريدون إلقاء إسرائيل في البحر »^(١) وهدفهم الحقيقي منها هو قيام الإعلام العربي ورجال الفكر فيه بالدفاع عن هذه الفكرة مما يتولد عنه الاعتراف الضمني بحق إسرائيل في البقاء على هذه الأرض وشرعية كل ماتقوم به من قتل الأبرياء واغتصاب حقوقهم وممتلكاتهم وإبعادهم عن أوطانهم ..

ومن المؤسف حقاً أن يقع كثير من المفكرين الإعلاميين العرب في هذا الفخ ويبذلوا كثيراً من الجهد والوقت لإقناع العالم ببطلان هذه التهمة الموجهة إليهم وإثبات نقيضها ليحققوا بذلك الهدف الأساسي من هذا الأسلوب اليهودي ..

وأعتقد أن أفضل رد على هذه المقولة هو « إن الذي يعتدي على أراضي الغير ويطرده شعباً

(١) صحيفة الرياض السعودية - عدد ٤٩٨٧ - الثلاثاء ١ ديسمبر ١٩٨١ م - ص ١ .

بكامله عن أرضه ووطنه بقوة السلاح ويسفك الدماء ويقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيخوخة - ويصدر الفساد والارهاب إلى جميع دول المنطقة مما يعرض أمن العالم واستقراره للخطر متجاهلاً بذلك كل الأعراف والقوانين الدولية ..

إن من يفعل هذا كله لابد من قيام الدول العربية والعالم أجمع من استئصاله وإلقائه في البحر ..

وفي هذا ذكر للحقيقة وهي أن إسرائيل لابد أن يكون تدميرها هو الهدف الأساسي للمسلمين ومن أجله تقوم جميع التحركات .. ، والإستعدادات العسكرية والإقتصادية والتجارية والإجتماعية لأن ، هذه المنطقة لاتسعهم معنا . كما أن فيه تهديّة للرأى العام العالمي والمحافظة على شعوره وسد الباب أمام إسرائيل فلا تجد مدخلاً فيه لإثارة الرأى العام العالمي ضدّ العرب والمسلمين ..

وأما قوله « جاءوا من الغرب » فإنه يقصد من ورائه إشعار الغرب أن الإسرائيليين منهم ويجب عليهم التعاطف معهم والوقوف إلى جانب قضيتهم ..

مثال ٢ : ومن الأساليب العملية غير المباشرة التي استخدمها الإسرائيليون « الغارة التي قاموا بها على المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو حزيران عام ١٩٨١ م .. فقد كان الهدف الإعلامي منها :

أولاً : إعلام العرب والعالم بما تمتلكه إسرائيل من قدرات عسكرية وفنية ، متطورة تمكّنها من ممارسة سياسة الذراع الطويلة في منطقة الشرق الأوسط وذلك من شأنه إضعاف الروح المعنوية عندهم وزرع الرعب والخوف في قلوبهم مما يجعلهم دائماً يعتقدون بأن مجرد التفكير باتخاذ الأسباب لمحاربة إسرائيل أو الوقوف أمام مخططاتها في المنطقة أو القيام بعملية عسكرية ضدها يعتبر مغامرة لا يقدم عليها إلا مجنون فاقد الوعي والإدراك ..

ثانياً : تشويه صورة العرب لدى الولايات المتحدة وأوروبا وإشعارهم بتخلف هذه الشعوب فكراً وحضارياً وعسكرياً ، وبأنها لاتستطيع المحافظة على أمنها ومصالحها الشخصية فضلاً عن محافظتها على مصالح أمريكا وأوروبا في تلك المنطقة ..

وفي الوقت نفسه تعطي صورة بديعة عن نفسها وعن الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر وأنهم عباقرة العالم ويستطيعون وحدهم في هذه المنطقة القيام بدور الحارس الأمين لهذه المصالح بما يمتلكونه من تقدم وعبقريّة في جميع المجالات الفنية والعسكرية ..

وهكذا يبدو لنا بوضوح خطورة الأسلوب الإعلامي غير المباشر المخطط وفق إطار عملي يتفق مع الأهداف السياسية والإستراتيجية لأيّ دولة أو منظمة أو جهة أخرى ..

ولأهمية الأسلوب في الإعلام جاءت معجزة الرسول ﷺ ، وهي القرآن الكريم ترشدنا إلى أقوم أسلوب يمكن استخدامه لنشر أعظم رسالة عرفتها البشرية ..

الباب الأول : الهدى الاعلامي في القرآن الكريم
الفصل الأول : القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي
الفصل الثاني : الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم
الفصل الثالث : « الخصائص »

أولاً : الربانية
ثانياً : التوافق وعدم التناقض
ثالثاً : الواقعية
رابعاً : شرف القصد

الباب الأول

الهدى الاعلامي في القرآن الكريم

من فضل الله على الناس أنه لم يتركهم في هذه الحياة يستهدون بها أودع الله فيهم من فطرة سليمة تقودهم الى الخير وترشدتهم الى البرّ بل بعث إليهم بين فترة وأخرى رسولاً يدعوهم إلى توحيد الله بالعبادة ويبشرهم وينذرهم لتقوم عليهم الحجة قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (١) . .

حتى أراد الله للرسالة الخاتمة أن تشرق على الوجود لتكمل صرح الرسالات السابقة بشريعتها العامة الخالدة وكتابها المنزّل على سيدنا محمد ﷺ وهو القرآن الكريم « الذي احتوى من حقائق الغيب وحقائق النفس وحقائق الحياة وحقائق الاجتماع الإنساني . . . ما لا يستغنى بشر عن معرفته والإهداء به » (٢) . .

قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (٣) .

وما ذلك إلا أنه أراد أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي في وقت نزوله وفي كل وقت حتى يقود أجيال هذه الأمة ويربّيها ويعدّها لدور القيادة الراشدة كلما اهتدت بهديه واستمسكت بعهدّها معه واستمدت منهج حياتها كله منه . قال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ (٤) . .

وإذا تتبعنا القرآن الكريم نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الإسلامية « وهو يصنعها على عينيه ويربّيها بمنهج ويشعرها برعايته . . في أخص خصائصها وأصغر شئونها . . . وحراسته لها من كيد أعدائها خفية وظاهرة . . . وتربية أخلاقها وعاداتها تربية تليق بالأمة الرائدة التي ترفع لواء الله وتنشر النور في الأرض » (٥) . .

ولقد سلك في ذلك أسلوباً إعلامياً فريداً لم يعهد التاريخ مثله من قبل . ونحن في هذا الباب سنحاول القاء الضوء على هذا الأسلوب وتوضيحه بقدر استطاعتنا وجهدنا إن شاء الله تعالى . .

(١) النساء/١٦٥ (٢) ثقافة الدّاعية - يوسف القرضاوي - ص ١٠ - ط ١ (١٩٧٨م) .
(٣) الأنعام/٣٨ (٤) النحل/١٠٢ (٥) طريق الدعوة في ظلال القرآن - أحمد فائز - ص ٢٠ .

الفصل الأول

القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي

نزول القرآن منجماً حسب الأحداث :

فمن المعروف أن المبدأ الإعلامي يلح على ضرورة إثارة انتباه المستقبلين وتهيئة نفوسهم وعقولهم للتفاعل مع محتوى الرسالة الإعلامية حتى يكون تفاعلهم معها تفاعلاً هادفاً ومفيداً . . والأحداث الهامة التي تجري على مسرح الحياة تثير انتباه المستقبلين وتجذب مشاعرهم وتجمع قواهم العقلية وتجعل نفوسهم تتوق إلى معرفة منازل ملائمتها له من أحكام مما يهيئهم للتفاعل مع الأمر الجديد وتقبل ما يتضمن من أسرار تشريعية وأحكام تفصيلية تهديهم إلى الصراط المستقيم . .

لذا نرى القرآن الكريم جعل الأحداث مدخلاً إلى قلوب الناس وعقولهم لإرشادهم وتوجيههم لما فيه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة . .

فنجده ينزل في كثير من الأحيان إثر حادثة أو سؤال مراعيًا في ذلك الوقت المناسب ومنازل منه ابتداءً لأسبابه قائمة في الواقع وإن لم يكن لحادثة معينة . .

وقد سأل اليهود الرسول ﷺ عن هذه الظاهرة الغريبة ، التي ما عهدوها من قبل في الكتب السماوية السابقة والتي كانت تنزل جملة واحدة .

عن ابن عباس قال : « قالت اليهود يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراه على موسى فنزل قوله تعالى ردًا على سؤالهم » وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » (١) . .

(١) الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - ج ١ - ص ٤٢ - مصطفى البابي الحلبي .

الأغراض الإعلامية من التنجيم :

إن نزول القرآن منتجاً خُصب الأحداث والوقائع مع أنه كان يوفر على الرسول ﷺ كثيراً من الجهد والوقت في محاولة إيجاد طريقة مناسبة يهيم بها النفوس لما يراود إقناعهم به فإنه كان له أهداف إعلامية عظيمة لا يمكن تحقيقها في مدة قصيرة من الزمن إلا بهذا الأسلوب المعجز ومن أهم هذه الأهداف الإعلامية ..

١ - مساعدة الرسول ﷺ على حل المشاكل الاجتماعية المتجددة . . فمن ذلك أن عبد الله بن رواحة تزوج من أمة له سوداء بعد أن اعتقها إثر ضربه لها وهي أمة مؤمنة « قطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا تزوج أمة وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم^(١) فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يَؤْمِنُوا وَلَئِمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢١]

فكان العرف السائد في الجاهلية وحتى ظهور الإسلام أن التفاضل بين الناس بالأنساب والأحساب فقط . . وكان هذا الحدث وما حصل فيه من استغراب وقيل وقال قد أتاح الفرصة لإعلام الناس بمقياس الإسلام الحقيقي في التفاضل بين الناس وهو تقوى الله عز وجل والإيمان به وبرسوله ﷺ وهذا المقياس فيه رفع من شأن المؤمن وإعلام بشرقه على الكافر ، ولو كان هذا المؤمن عبداً أو أمة وكما لا يخفى فإن فيه تصغيراً لشأن الكافر وإعلاماً بتفاهته ولو كان أشرف الناس في حسبه ونسبه . . ونزول هذه الآيات عقب هذا الحدث الذي هيأ النفوس وأثار انتباهها إعلام لكلا الطرفين بذلك . .

٢ - مساعدة الرسول ﷺ في الإجابة على الأسئلة الموجهة إليه من قبل المؤمنين أو الكافرين . . مثال ذلك :

أن قريشاً احتارت في أمر الرسول ﷺ الذي ادعى أنه نبي مرسل من الله يدعوهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام وهم لم يجربوا عليه كذباً بل عُرف لديهم بالصدق والأمانة وحسن السيرة والسلوك فبعثوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن أمره فقالت اليهود سلوه عن

(١) تفسير الطبري - ابن جرير الطبري - ج ٢ - ص ٢٢٣ - مصطفى البابي الحلبي .

أشياء ثلاثة ، فإن لم يجب عليها أو أجاب عنها جميعاً فهو ليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن الثالث فهو نبي وهذه الأمور الثلاثة هي :

١ - فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان من أمرهم ؟

٢ - رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره ؟

٣ - وعن الروح ؟

فسأله القرشيون عن هذه الأشياء فوعدهم بالإجابة عليها في اليوم التالي ولم يقل إن شاء الله « قال مجاهد إن الوحي تأخر عنه اثنتي عشرة ليلة »^(١) ، وقيل غير ذلك حتى كثر القيل والقال بين الناس وقال قائل قريش وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نخبّرنا بشيء واشتد الحزن على الرسول ﷺ بسبب ذلك . .

حتى إذا تهيأت نفوس الناس وتوترت أعصابهم والتفتت أنظارهم لنتيجة هذا الحدث العظيم الذي يعتبر من أهم الأدلة والبراهين على صدق الرسول ﷺ أو كذبه وحينما جاء الوقت المناسب للجواب على هذه الأسئلة لتقرير حقيقة نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من عند الله نزل الوحي من الله يقول بشأن الفتية « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً »^(٢) . . « ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب » ويسألونك عن ذي القرنين^(٣) « ونزل في الروح » ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي^(٤) « الاسراء / ٨٥ - فأجاب عن اثنين من الأسئلة ولم يجب عن واحد الأمر الذي جعل القرشيين وغيرهم يوقنون بصدق دعوى الرسول ﷺ بأنه مرسل من الله وأنه صادق أمين كما عهدوه . .

وهكذا كان القرآن الكريم يجيب عن كل سؤال يوجه إلى الرسول ﷺ ، سواء كان هذا السؤال من المؤمنين أو الكافرين أو كان لغرض التثبيت والتأكد - أم للإسترشاد والمعرفة ، فعندما قال المشركون « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق »^(٥) ، فأجابهم الله بقوله « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »^(٦) . .

(١) تفسير البغوي بهامش الخازن - البغوي - ج ٤ - ط ٢ - ص ١٨١ .

(٢) الكهف / ٩ - ٢٠ .

(٣) الكهف / ٨٣ - ٩٨ .

(٤) المرجع السابق - ص ١٨١ .

(٥) الفرقان / ٧٠ .

(٦) الفرقان / ٢٠ .

وعندما سأل بعض الصحابة الرسول ﷺ عن الأهلة فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ البقر : ١٨٩ . . .
وعندما سأله عن الخمر والميسر فأجابهم بقوله ﴿ يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾ البقرة : ٢١٩ .

٣ - رفع معنوية الرسول ﷺ من وقت لآخر بتبشيره بالنصر على الاعداء وحمايته .
ومن تبشير الرسول ﷺ بالحماية لرفع معنويته قوله تعالى : ﴿ يأياها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (١) .

« عن ابن عباس قال : « سئل رسول الله ﷺ أى آية من السماء أشد عليك ؟ » فقال : كنت بمنى أيام الموسم واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس فنزل على جبريل فقال : « يأياها الرسول بلغ ما أنزل إليك . . . (٢) » وسبب نزول هذه الآية يشعر بخطورة الموقف بالنسبة للرسول ﷺ في ذلك الوقت إذا قام بتبليغ الدعوة إلى توحيد الله بالعبادة وترك عبادة الأصنام مع أن هذا الموقف الذي اجتمعت فيه جميع القبائل العربية يعتبر موقفاً إعلامياً عظيماً وفرصة لا تعوض لتبليغ هذه الدعوة وإعلام الناس بها وخوفاً من فواتها جاء جبريل عليه السلام في الوقت المناسب بأمر من الله للرسول ﷺ بتبليغ رسالته بدون خوف أو فزع لأنه معه وعاصمه من الناس : فقام الرسول ﷺ من فوره بتنفيذ أمر ربه إيماناً منه بوعده ربه ودعا الناس إلى التوحيد واستمر على ذلك بلا خوف ولا فزع في كل الأوقات والأماكن حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . .

والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ سيجد أن الله تبارك وتعالى صدق وعده ونصر عبده ﷺ فعصمه من كيد الكائدين في مكة والمدينة وفي كل مكان طيلة حياته في أحلك الظروف والمواطن حتى قام بواجبه فأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده في أمان واستقرار واطمئنان لحماية الله ورعايته .

« من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال : كنا إذا أتينا في سفرنا على شجرة ظليلة تركناها للرسول ﷺ فلما كان بذات الرقاع نزل نبي الله تحت شجرة وعلق سيفه فيها

(١) المائدة/٦٧

(٢) التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - ج ٦ - ط ٧ مطبعة الإستقلال الكبرى .

وجاء رجل من المشركين فأخذ السيف فاخترطه ، وقال للنبي ﷺ أتخافني ؟ قال : لا ، قال فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمني منك ، ضع السيف فوضعه .. الخ «^(١) .

٤ - فضح أعداء هذا الدين من مشركين ومنافقين وأهل كتاب :-

فقد فضح الله المشركين في قوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾^(٢) ..

فهذه الآية نزلت في زعماء قريش عندما اجتمعوا في الليل بدار الندوة للمشاورة في أمر النبي ﷺ فقال بعضهم أثبتوه بالوثاق وقال بعضهم بل ، أخرجوه ، وأشار أبو جهل عليهم بأن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش غلاماً ويعطوا كل واحد منهم سيفاً ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل وتفرقوا على ذلك ، فأطلع الله نبيه ﷺ بهادار بين المؤثرين وما استقر عليه أمرهم من قتله فخرج تلك الليلة إلى الغاروبات على بن أبي طالب في فراشه ورد الله كيدهم في نحورهم^(٣) ..

وأما المنافقون فقد كانوا أشد خطراً على الإسلام من الأعداء المكشوفين وذلك بسبب تظاهرهم بالإسلام وإطلاعهم على أسرار المسلمين وأحوالهم فينقلونها إلى الأعداء ويقومون بإطلاق الأراجيف وإثارة القلاقل والشائعات بين الناس هذا بالإضافة إلى نقض العهود وإيذاء الرسول ﷺ ، فكان القرآن ينزل باستمرار يكشف أسرارهم وخبثهم وإذا قرأت سورة التوبة من قوله تعالى : ﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً .. ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ التوبة : ٤٢-٥٨ ..

تجد المنافقين قوماً اجتمعت فيهم كل الصفات الذميمة ، فهم يلهثون خلف المصالح الدنيوية ويموتون شوقاً لها ولكن بشرط أن تكون خالية من المشقة وارتكاب الأخطار في سبيلها وأما إذا كان دونها المتاعب وارتكاب الأخطار - فإنهم يكونون أبعد الناس عنها .. إنهم ناس لا هم لهم سوى السعى في الفتنة والشر والوقعة بين المسلمين لتفريق جمعهم وكسر شوكتهم ..

إنهم قوم تحترق قلوبهم هما وغما عندما يصيب المسلمين نصر من الله على الكافرين

(١) النبا العظيم - محمد عبدالله دراز - ص ٤٦ - ط ٢ - دار العلم (الكويت) .

(٢) الأنفال / ٣٠

(٣) انظر سبب النزول في فتح القدير - الشوكاني - ج ٢ - ص ٣٠٤ - مطبعة مصطفى الحلبي - ط ٢ ..

وتطير قلوبهم فرحاً وسروراً عندما تنزل بالمسلمين نازلةً ويحمدون الله على عدم مشاركتهم فيها . .

إنهم قوم يظهرون الإيمان ويحلفون على ذلك وهم في الحقيقة كافرون ولكنهم جنباء خائفون من المسلمين . .

إنهم ناس لا يترددون في النيل من أعراض المسلمين والإنتقاص منهم في كل مناسبة تمكنهم من ذلك حتى إنهم عابوا الرسول ﷺ في تفريقه للصدقات ورموه بعدم العدل والإنصاف فيها^(١) . .

وآيات التوبة هذه فضحت المنافقين وجعلتهم مثلاً لسوء الطالع والأخلاق والنذالة والدس والوقية في الأولين والآخرين . . مما جعلهم في قلق مستمر وخرف شديد من كشفهم ونزول القرآن بشأنهم قال تعالى : ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون^(٢) ﴾ . . قال مجاهد « يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفضى علينا سرّاً هذا . . ولهذا قال قتادة : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين^(٣) » . .

وأما أهل الكتاب فكان القرآن أيضاً في متابعة تامة لمكرهم ومايقومون به من دسائس بين المسلمين وفساد في الأرض فكان ينزل من وقت لآخر يفضحهم ويبين شرورهم ويحذر المسلمين منهم ومن طاعتهم . .

ومن دسائس اليهود التي فضحها القرآن الكريم ما قام به « شاس بن قيس » الذي كان من أشد اليهود تعصباً وحسداً للمسلمين عندما مرّ على نفر من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاضه ما رأى من صلاح ذات بينهم على الإسلام فخاف على مصير قومه من اليهود بالمدينة من اتحادهم فعمل على الوقية بينهم بخبثه ومكره وكاد أن ينجح في ذلك ويقع القتال بين الطرفين لولا أن الرسول ﷺ علم بأمرهم فخرج إليهم وذكرهم بالله وهدايتهم للإسلام حتى عرف القوم أن هذا من

(١) انظر كتاب « تفسير كلام المنان » عبدالرحمن السعدي - ج ٣ - ص ٢٤٠ - ٢٥١ ، المؤسسة السعدية بالرياض .

(٢) التوبة/ ٦٤ .

(٣) مختصر تفسير بن كثير - محمد على الصابوني - مجلد ٢ - ص ١٥٢ - دار العلم - ط ١ .

كيد أعدائهم^(١) » ولخطورة هذه الحادثة التي كاد اليهود أن ينجحوا فيها والتي لو نجحوا فيها لكانت وبالأعلى المسلمين أنزل الله فيها هذه الآيات :-

﴿ قل يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ . . إلى قوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾^(٢) . .

وهذه الآيات فيها توبيخ لأهل الكتاب على أفعالهم الذميمة وفسادهم في الأرض بالتفريق بين المسلمين وفيها أيضاً تحذير للمسلمين من طاعتهم لأن في ذلك تفريقاً للصفوف وارتداداً لهم عن الإيمان الذي هو سر قوتهم ومنعتهم . .

وكان هذا التحذير قد جاء في الوقت المناسب فالمثل من الواقع أمامهم فالفتنة كادت أن تقع بسبب إحدى مكائدهم الدنيئة لولا أن تداركهم الله بنعمته وأبعد الزيغ عن قلوبهم وأعادهم إلى ماكانوا عليه من وحدة واتحاد . .

٥ - تنبيه الرسول ﷺ وأصحابه من وقت لآخر على أخطائهم من ذلك ماوقع للرسول ﷺ مع أسرى المشركين يوم بدر . .

فمن المعروف أن مشركي مكة لم يدخروا وسعاً في القضاء على هذا الدين وأهله وفي يوم بدر مكّن الله فيه المسلمين من الكافرين فقتلوا منهم من قتل وأسروا منهم من أسر وكان رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الأسرى أن يقتلوا ولكن الرسول ﷺ أخذ برأى آخر لبعض الصحابة لأن فيه لناً ورحمة بهم وهو الإبقاء عليهم وأخذ الفدية منهم وتقوية المسلمين بها^(٣) » فأنزل الله تعالى في ، ذلك آيات المعاتبه بسبب الإبقاء عليهم لأنهم قوم حاربوا الله ورسوله وحاولوا إطفاء نوره بشتى الأساليب والطرق وأنه كان ينبغي عليه قتلهم واستئصالهم لأن في ذلك إضعافاً لأعداء الله ورسوله . .

قال تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . . . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾^(٤)

وفي هذه الآية إعلام للقرشيين وكل أعداء هذا الدين بخطورة الدخول في حرب

(١) انظر تفسير فتح القدير - ص ٢٦٨ - ج ١ .

(٢) آل عمران/ ٩٨ - ١٠١ .

(٣) انظر تفسير كلام المنان - ص ١٩٠ - ج ٣ .

(٤) الأنفال/ ٦٧ .

مع المسلمين وأن الفدية لن تنقذهم من الموت إذا وقعوا في أسرهم مما يجعلهم يترددون في حريمهم وتتفرق كلمتهم وتنتشر روح الهزيمة في صفوفهم . . .
وفي القرآن الكريم عدد من الآيات التي تعاتب الرسول ﷺ على بعض المواقف (١) . .

ولقد كان القرآن ينزل أيضاً لينبه المسلمين إلى أخطائهم . . ففي يوم أحد وضع الرسول ﷺ خطة حربية لملاقاة المشركين من أهل مكة . . فعندما نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي جعل ظهره إلى أحد . . وجعل على الرماة عبدالله بن جبير ثم أقامهم في موضع وقال لهم : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبحروا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبحروا حتى أرسل إليكم (٢) . . ثم التقى الجمعان وهزم المشركون في الجولة الأولى . . وكان للرماة أثر عظيم في هزيمتهم ولكنهم عندما رأوا الغنائم مكشوفة أرادوا أن يشاركوا إخوانهم في الأخذ منها فاختلفوا في النزول من المكان الذي أمرهم الرسول ﷺ بالثبات فيه حتى يرسل لهم وكانت النتيجة أن خالف بعضهم أمر رسول الله ﷺ وثبت بعضهم وهم دون العشرة فكرّ المشركون عليهم وقتلوا عبدالله بن جبير رضي الله عنه ودارت الدائرة على المسلمين وكان يوماً عصيباً عليهم حيث قتل وأسر منهم عدد كبير .

فلما رجعوا إلى المدينة قال بعض المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر (٣) ؟ وهذا السؤال الذي يعبر عن مايجول بخاطر المؤمنين في تلك الساعة يكون الوقت قد حان لتلقي المؤمنين درساً لا يمكن الاستغناء عنه في صراعهم الطويل مع الأعداء سواء في ذلك الحاضر والمستقبل وهو أن الله مؤيدهم وناصرهم على الأعداء مهما كان ضعفهم وقوة أعدائهم مالم يخالفوا أمره أو أمر رسوله ﷺ . .

وأما إذا لم يتحقق هذا الشرط وقاموا بمخالفة أمره أو أمر نبيه ﷺ مهما كان السبب فإنه لن ينصرهم على الأعداء بل سيبتليهم بأن يسلط الأعداء عليهم . . قال تعالى :

(١) أنظر التفسير في قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم . . . » التوبة/ ٤٣ .

انظر التفسير في قوله تعالى « ونحفي في نفسك ما الله مبديه ونحشى الناس . . » الأحزاب/ ٣٧

انظر التفسير في قوله تعالى « يأيا النبي لم تحرم ما أحل .

» الله لك تبغى مرضاة أزواجك . . » التحريم/ ١ .

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ - الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ص ٢٤٤ - المطبعة السلفية .

(٣) أنظر « الكشف » الزمخشري - ج ١ - ص ٤٧٠ - مصطفى البابي الحلبي . .

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ (١) . .

والحقيقة أن التنبيه المجرد على أضرار مخالفة أوامر الله ورسوله وما يمكن أن تؤدي إليه من مصائب وويلات وخصوصاً في أثناء جهاد الأعداء لا يمكن للمؤمنين تصوره لولا ما وقع لهم بسبب ذلك في غزوة أحد وكأن الله أراد ما وقع للمؤمنين يوم أحد لغرض تلقينهم هذا الدرس بالذات لأنه لا يمكن أن يأتي بالنتيجة المرجوة منه إلا بتوضيحه بهذا الحدث العظيم الذي لا يمكن للمسلمين نسيانه لعظيم ما أصابهم فيه . .

وأمثلة تنبيه المسلمين على أخطائهم كثيرة في القرآن الكريم (٢) . . ومن المعلوم أن هذه الأخطاء لم تقع في وقت واحد فكان نزول القرآن مفرقاً يساعد على ذلك . .

٦ - موالاة التّدين بالكفار من وقت لآخر وبمواقفهم المعادية للإسلام . . ومن الأمثلة على هذا : أن رسول الله ﷺ عندما نزلت « وأنذر عشيرتكَ الأقربين » صعد الصفا ودعا الناس للإجتماع به والإستماع إليه فلما اجتمعوا دعاهم إلى الإيمان بالله ورسوله وترك عبادة الأصنام فقال أبو لهب : تبا لك إنّما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام فأنزل الله فيه ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (٣) « رداً على موقفه من رسول الله ﷺ وردعاً له ولأمثاله عن أذى رسول الله ﷺ . .

وهكذا كل ما حاول أحد المشركين النّيل من الرسول ﷺ أو الطعن فيما جاء به من هدى نزلت آية من القرآن تلائم ذلك الموقف وتوبخه وتندّد به ، فعندما حاول الوليد بن المغيرة أن يقول في القرآن شيئاً ينفرّ الناس منه ويصدّهم عن سماعه أو الإيمان بما جاء به ولم يجد ما يقوله فيه سوى أنه سحر يؤثره الرسول ﷺ عن غيره نزل القرآن يوبخه ويتوعّده ويرسم له صورة تشوّهه وتزرى به وتبعد الناس عنه وعن صفاته كما كان يريد هو أن يفعل في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له

(١) آل عمران/ ١٥٢ .

(٢) أنظر التفاسير في قوله تعالى « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين . . » التوبة/ ٢٥

أنظر التفاسير في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى . . » الممتحنة/ ١

(٣) فتح القدير - ج ٥ - ص ١٣٣ - بتصرف

مالا عمدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لا ياتنا عنيداً
سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس
وبسر ثم أدبر واستكبر . .

فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر^(١).

ونستطيع أن نجعل هذا إعلاماً مضاداً . . وهذا يستدعي متابعة الأحداث ونزول
الآيات حسب ما يناسبها من هذه الأحداث « فلو نزلت هذه التقريرات وهذه
التنديدات دفعة واحدة لواجهوها أول مرة وتألوا لها ثم ألفوها واستمروا على العناد
والكفر والأذى للرسول ﷺ ودعوته والمؤمنين^(٢) .

وأعتقد أن ما قدمته من أمثلة يكفي لإيضاح أهمية نزول القرآن منجماً حسب
الأحداث وأثر ذلك على النفوس في جعلها تعي كل ما ينزل من أخبار ومعالم^(٣) لأن
هذه الأمور إذا ارتبطت بحدث معين يجعل من المستحيل على النفس نسيانها . . هذا
بالإضافة إلى أن التنجيم يحقق أمراً آخر مهماً وهو إمكانية مراعاة التوقيت المناسب
ولأهمية هذه النقطة بالذات رأيت أن من المناسب تخصيصها بما يوضحها فيما يلي :

مراعاة التوقيت المناسب :

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن القرآن مع أنه كان ينزل منجماً حسب
الأحداث إلا أنه كان أيضاً يراعي التوقيت المناسب فنراه في بعض الأحيان يسبق الأحداث
وفي بعض الأوقات ينزل إبانها وأحياناً يتأخر عنها . . لأن الإعلام بالحقائق في الوقت
المناسب يكون له أثر عميق في التأثير والإقناع وعدم النسيان . .

فمن نزوله قبل الحدث قوله تعالى : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونِ الدَّبْرَ ﴾^(٤) وذلك عندما
كان المسلمون في مكة يلاقون كثيراً من الإضطهاد والتعذيب من قبل المشركين لصدّهم
عن الدخول في الإسلام وهم في غاية الضعف لا يستطيعون كف الأذى عن أنفسهم وذوهم
مما جعلهم يتألون لحالهم فنزلت هذه الآيات لترفع المعنويات وتشد العزائم وتثبت القلوب

(١) سورة المذثر : الآيات : ١١ - ٢٦ .

(٢) لمحات في علوم القرآن - محمد الصبّاغ - ص ٣٥ - المكتبة الإسلامية .

(٣) المقصود بالعالم هنا الأوامر والنواهي وغيرها مما لا يدخل في إطار الأخبار .

(٤) سورة القمر : الآية ٤٥ .

على الإيمان لكي لا يهلك المؤمنون بالارتداد عن دينهم بسبب ما يلاقونه من شدة وضيق فجاءت هذه الآيات ، تبشرهم بالنصر على المشركين في وقت كانوا لا يصدّقون بل لا يتخيّلون أن تكون لهم قوة حتى يقاتلوا بها قريشاً ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما نزلت هذه الآية يتساءل أى جمع هذا ؟

« فلما كان يوم بدر وصدق وعد الله وانهزمت قريش رأى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلاً بالسيف يقول : سيهزم الجمع ويولّون الدّبر ، فعرف أنها ليوم بدر » (١) . .

ومن نزول القرآن إيّان الحدث قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ إلى قوله ﴿ وتلك حدود الله وللكاافرين عذاب أليم ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآيات في خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت وكان لها منه صبية صغيراً إن تركتهم عندها جاعوا وإن ضمتهم إليه ضاعوا فذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو أمرها إليه وتطلب منه إخراجها من هذه المشكلة ولكن الرسول ﷺ ليس بيده حل إن لم يأت ذلك من الله فأخبرها حسب اجتهاده بأنها حرمت على زوجها ولكن المرأة يبدو أنها كانت متضررة فأخذت تراجع الرسول ﷺ وتشكو أمرها إلى الله « (٣) . . فاستجاب الله لها وحل مشكلتها التي تعتبر في الحقيقة من أعقد المشاكل في المجتمع الإسلامي وكان ذلك في الوقت المناسب للقضية لاحتتمل التأخير فالضرر قائم والمرأة تشكو وتلج في رفع الضرر عنها فأنزل الله بشأنها ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع ﴾ (٤) . . .

وأما نزوله متأخراً عن الحدث فقد كان ذلك في حادثة الإفك على عائشة رضى الله عنها . . قال تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم . . إلى قوله ﴾ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾ (٥) . . .

فهذه الآيات نزلت بمناسبة الإفك على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من قبل بعض المنافقين والصحابة رضوان الله عليهم فهي تعالج قضية تعتبر من أخطر القضايا التي يمكن

(١) الإتيان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٣٦ - ط ٢ .

(٢) المجادلة / ١ - ٤ .

(٣) تفسير البحر المحيط - لأبي حيان المجلد ٨ - ص ٢٣٢ - ط ٢ دار الفكر بيروت .

(٤) المجادلة / ١ - ٤ .

(٥) النور / ١١ - ١٧ .

أن يترتب عليها فساد المجتمع بما تثيره من قلق وأحقاد بين الناس . . لذا لم ينزل الحكم بشأنها إلا بعد شهر كامل من وقوعها حتى تنهت النفوس وتنتبه العقول لما سينزل بشأنها من الله تبارك وتعالى وفي خلال هذه الفترة الزمنية قام المنافقون بالإفك على عائشة وأكثرها الأراجيف في المدينة بشتى الأساليب الدعائية التي قاموا بها فكانت هذه الحادثة بمثابة بركان زلزل الناس وأثر على أخلاقهم واستقرارهم وألحق الضرر ببيت الرسول ﷺ وأهل بيته فأخذ المسلمون يرقبون الوحي من الله وبذلك يكون الوقت المناسب قد حان « لأن الناس قد شعروا بخطر الشائعات التي لاتقوم على أساس صحيح وأثرها في زلزلة المجتمع والحياة الأسرية (١) . . فأنزل الله تعالى هذه الآيات ترشدكم وتوجههم إلى مافيه صلاح دينهم ودنياهم في هذه القضية . .

ويعتبر هذا الأسلوب الذي عولجت به هذه القضية من أعظم أساليب التربية والتعليم التي عرفتها البشرية . . فلو أن الوحي نزل بالكشف عن الحقيقة فور حدوثها لما أمكن للناس أن يتصوروا بشاعة الشائعة . . كما أن في تأخير نزول القرآن عن هذا الحدث إعلام بصدق رسالة محمد ﷺ وصدق الوحي وأنه ينزل من عند الله وليس من عنده ، فلو كان من عنده لأتى بما ينفي عن بيته هذه التهمة من أول الأمر واستراح وأراح ، ولكنه لا يملك من ذلك شيئاً - فالأوامر والنواهي والتوجيه كله من الله . .

ومن هنا نعلم أن نزول القرآن الكريم عقب الحوادث والنوازل من أهم الطرق الإعلامية لنقل وجهة النظر الإسلامية في القضايا التي تهم الناس وموقفه منها سواء كانت هذه القضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك . .

ومن المعلوم والمسلم به أن شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن هي شريعة كل زمان وكل مكان لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « فقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في أوس بن الصامت وآية اللعان في شأن هلال بن أمية . . ثم تعدى إلى غيرهما . .

قال الزمخشري في سورة الهمزة يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبح وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض (٢) . .

(١) من قضايا الإعلام في القرآن - رمضان لاوند - ص ٢٠٨ - مطابع الهدف « الكويت » .

(٢) الإفتان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٢٩ .

وكان الصحابة يحتجّون في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة^(١) وعلى هذا تكون الأوامر والنواهي التي وردت في القرآن عامة لذلك الجيل ولغيره من الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

« وهكذا يتضح لنا أن القرآن الكريم . . هو المنار المضيء الذي ينير لأجيال أمتنا الطريق نحو المجد والسعادة وقيادة الدنيا إلى الخير والحق^(٢) كلما اهتدت بهديه في جميع شئون حياتها ، وأما إذا تركته وحاولت الإهتداء بغيره فإن مصيرها الهلاك والدّمار والذل في الدنيا والآخرة . .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَتَّبِعْ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^(٣) . .

والإعلام الإسلامي اليوم الذي يفترض فيه أن يكون أفضل إعلام لأعظم رسالة عرفتها البشرية نراه اليوم غائباً عن الصراع الإعلامي لا هم له سوى صرف المسلمين عن تراثهم الحقيقي وعزلهم عن ماضيهم وتقديم الحلول المستوردة لكثير من قضاياهم المصيرية المعاصرة حتى ولو كانت تلك الحلول تتناقض وتتعارض مع الهدى القرآني لذا نراه متعثراً الخطوات ناقص الثمرات يقود الأمة من سيئ إلى أسوأ ، والحل الوحيد لإنقاذ هذه الأمة هو النهوض بإعلامها إلى المستوى الذي يؤهله لقيادتها وإرشادها إلى مافيه صلاح دينها ودنياها ولا يمكن لها تحقيق ذلك إلا إذا تركت الاعتماد على الغير في النهوض به ومحاولة الاستفادة من الهدى الإعلامي في القرآن الكريم وطرقه في متابعة الأحداث وتحليلها للتأثير على الرأي العام الإسلامي والعالمي . . فإذا فعلوا ذلك أمكنهم الدخول في الصراع الإعلامي العالمي وقيادة الإنسانية الحائرة إلى الخير والتقدم والإزدهار . .

يقول عبد اللطيف حمزة « إن الرسول ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى ولكن القرآن الكريم بقي بعد وفاته نبزاً لجميع المسلمين يعتمدون عليه في الهدى الإعلامي لجذب الناس إلى المثل الأعلى^(٤) »

وأعتقد أن ما أوردته في هذا الفصل من شواهد فيه الكفاية لإثبات . . العلاقة الوثيقة

(١) أنظر الإتيان في علوم القرآن - ج ١ - ص ٢٩ .

(٢) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ص ٧٧ - مؤسسة الرسالة - ط ٤ .

(٣) طه / ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) الإعلام في صدر الإسلام - عبد اللطيف حمزة - ص ١٠٦ .

بين الإعلام القرآني بمبادئه وشرائعه وبين الأحداث التي تجري على مسرح الكون . .
« ولقد سلك القرآن الكريم لتدعيم هذه المبادئ وهذه الشرائع جملة وافرة من الأساليب
الإعلامية فما من مبدأ أو تكليف إلا وقد سبق معه ما يثبت ويؤكد ويلطف منه إن كان خيراً
وينفّر منه إن كان غير ذلك بأسلوب من أساليبه المتعددة التي تتميز دائماً بالجاذبية
والجمال^(١) .

وستتكلّم عن بعض هذه الأساليب في الفصل التالي إن شاء الله . .

(١) مجلة كلية أصول الدين - ص ١١ - العدد الثاني (١٤٠٠/٩٩ هـ).

الفصل الثاني

الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

« في عالم الأفكار والعقائد يسعى صاحب كل مذهب وفكر إلى ظهور مذهبه وأفكاره - ويقوم ظهور الإعلام الإسلامي على حقيقة كلية أساسية نزل بها قرآن كريم محكم (١) . . . قال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٢) ولكي يظهر على الدين كله فلا بد من استخدام جميع الأساليب الإعلامية الممكنة القولى منها والعملية - ولا بد من بذل الجهود المتواصلة ليل نهار في كل كلمة وكل حركة وعمل . . .

وهذا هو الطريق الذي سار عليه الرسول ﷺ في تبليغ رسالة الله إلى الناس . . . فقد ظل طيلة سنوات الدعوة يعمل بأقصى ما وهبه الله من جهد ونشاط من أجل إظهار دين الله في الأرض معتمداً في عمله الإعلامي هذا على ما يرشده القرآن الكريم إليه ، من أساليب إعلامية قولية وعملية مما جعله يتمكن خلال هذه الفترة الوجيزة أن يحقق ما لا يمكن تحقيقه في مدة طويلة من الزمن . . .

والباحث في هذا الفصل يحاول تلمس دستور هذا الأسلوب ، وقواعده الأساسية وبعض صور من أساليبه من خلال القرآن الكريم لعلّه بهذا يساهم في الجهد الذي يبذله بعض رجال الاعلام المسلمين للنهوض بالإعلام الإسلامي ووضعه في المستوى الذي يتلاءم مع رسالته الإعلامية السامية والتي يعتبر الغرض الأساسي منها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة . . .

الدستور الاعلامي في القرآن :

ومما يلفت النظر أن في القرآن الكريم دستوراً وضعه الله سبحانه وتعالى للعمل الإعلامي أمر رسول الله الكريم وأمره بالعمل به في إعلام البشر بهذه الرسالة وتوجيههم إليها . . .

(١) مجلة المسلم المعاصر - العدد العاشر - ١٩٧٧ م - ص ٦٣ .

(٢) التوبة/ ٣٣ .

قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (١) . .

أولاً : العلم والإيمان :

إن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة قبل أن يأمرنا بتبليغ هذه الدعوة وتصديرها إلى الناس - يرشدنا إلى البداية الصحيحة لهذا العمل العظيم لأن النتيجة مرتبطة بها ، فلا بد من العلم بما نريد أن ندعوا الناس إليه والإيمان به وبمقدار علمنا وإيماننا بما ندعوا الناس إليه تكون النتيجة سلباً أو إيجاباً . .

لأن رجل الإعلام إذا كان لا علم له ولا إيمان له بمبادئه وأهدافه فإن ضرره سيكون أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه . . وقد يدعوا إلى ما فيه الضرر على نفسه وأمته وسيتسم إعلامه بالتناقض والغموض مما يجعله غير جدير بثقة الناس واحترامهم ومن ثمَّ يصبح عديم الجدوى والفائدة . .

فالعلم بالمبادئ والإيمان بها ضرورة إعلامية بالنسبة للرجل الإعلامي المسلم فلا بد من العلم بالله والإيمان به وبأوامره ونواهيه ، ولا بد له من أن يكون على يقين تام بأن ما هداه الله إليه من الأمور للإيمان والعمل بها والدعوة إليها حق خالص وماعداها باطل وضلال قطعاً . . ويتيقن عن علم وإيمان بأن أى تحول عن هذه المبادئ أو ميل إلى غيرها يعني اتباع الأهواء الباطلة التي فيها الضلال والضياع الأبدي . . لأن هذا المبدأ هو الأصل الذي ينبثق عنه كل فرع من فروع العمل الإعلامي وتتعلق به كل النتائج . .

يقول سيد قطب رحمه الله « إن الإيمان هو المنهج الذي يضم شتات الأعمال ويردّها إلى نظام تتناسق معه وتتعاون . . في حركة واحدة لها دافع معلوم ولها هدف مرسوم » (٢) ومن ثمَّ يرتبط القرآن الكريم الخسران والفشل بكل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل . . قال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ (٣) . .

(١) العصر/ ١ - ٣

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب - ص ٣٩٦٦ - دار الشروق بيروت .

(٣) النور/ ٣٩ .

ثانياً : العمل الصالح :

والعمل الصالح هو الثمرة الطيبة للإيمان والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب ^(١) . فتندفع النفس المؤمنة إلى الخير والعمل الصالح لأن النفس الطيبة لا تصدر إلا طيباً . .

ورجل الإعلام لا يستطيع أن يقنع الناس ويوجههم إلى مبادئه وأفكاره إلا إذا كان عاملاً بمقتضى ما تمليه عليه مبادئه ومعتقداته لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وواهب الكمال أحق به . . ومن هنا نعلم أن العلم بالمبادئ والإيمان بها لا يؤهلان رجل الإعلام المسلم لتبليغ رسالته الإعلامية بل لا بد له من العمل بمقتضى علمه وإيمانه بتلك المبادئ التي تمليها عليه عقيدته فلا يأتمر إلا بأمرها ولا ينتهي إلا بنهيها في جميع الأمور الظاهرة والباطنة المتعلقة بحقوق الله وحقوق العباد الواجبة والمستحبة فيقف في ذلك كله عندما ترسمه له عقيدته من أهداف وغايات لا يحيد عنها يمينه ولا يسرة مهما كانت الظروف والأحوال . .

ثالثاً : تبليغ الرسالة الإعلامية :

وبتحقيق العلم والإيمان والعمل الصالح يكون الإنسان قد كوّن نفسه وصار عنده استعداد لإيصال هذه الرسالة إلى غيره وإقناع الناس بها . .

عندئذ يكون من الواجب عليه القيام بتبليغ الرسالة الإعلامية وأداء العمل الذي كتبه الله عليه وأخذ عليه الميثاق في بيانه وعدم كتمانها . . وهذا الواجب أشارت إليه سورة « العصر » في قوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ^(٢) ونصت عليه آيات أخرى كثيرة من كتاب الله منها على سبيل المثال : قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ ^(٣) . .

وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترُونَ ﴾ ^(٤) . .

(١) المرجع السابق - ص ٣٩٦٦ .

(٢) العصر/ ٣ .

(٣) البقرة/ ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٤) آل عمران/ ١٨٧ .

فها تان الآيتان تنصّان على وجوب القيام بتبليغ رسالة الإسلام ومبادئه السامية وتذران بسوء العاقبة لمن قعد عن القيام بهذا الواجب الذي من أجله بعث الله الرّسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل . .

وقد أشاد القرآن الحكيم بكل من قام بهذا الواجب وأرشد الناس إلى كل ما فيه سعادتهم وعزّتهم في دار الدنيا ودار الآخرة . . قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ ^(١) . . وقال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ^(٢) . .

رابعاً : اتّباع قواعد الأسلوب الإعلامي في القرآن :

ولم يترك القرآن الكريم المؤمنين الذين يريدون تبليغ هذه الدعوة على غير هدى في اختيار الأسلوب الإعلامي الذي ينتهجونه لإقناع الناس بهذه الرسالة ، بل وضع لهم أسساً وقواعد عظيمة لهذا الأسلوب تضمن لهم الفوز والنجاح وتحقق لهم الأهداف وتجنّبهم الخسارة والفشل . .

وهذا الأسلوب تشير إليه بقية السورة في قوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ^(٣) حيث أنه لا يمكن التواصي بالحق والتواصي بالصبر إلّا بأسلوب من القول أو العمل كما بيّنت قواعد هذا الأسلوب وأسسها آيات أخرى في أواخر سورة النحل . . قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وإن صبرتم هو خير للصّابرين واصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ ^(٤) والخطاب الموجه إلى الرسول ﷺ موجه إلى أمته . .

فهذه الآيات تضع قواعد وأسس واضحة للأسلوب الإعلامي القولي منه والعملي التي لا بد للمسلمين أن يلتزموا بها عند قيامهم بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس إذا أرادوا تحقيق أهدافهم وغاياتهم . .

(١) فصلت/ ٣٣ .

(٢) آل عمران/ ١٠٤ .

(٣) العصر/ ٣ .

(٤) النحل/ ١٢٥ - ١٢٧ .

١ - الحكمة :

هي حسن اختيار الأسلوب الإعلامي المناسب للمخاطبين وتنويعه حسب الظرف والزمان والتدرج في إيصال الرسالة الإعلامية حتى لا يشق على المخاطبين استيعابها . .

٢ - الموعظة الحسنة :

هي التوجيهات التي يقدمها صاحب الرسالة للناس عن طريق الأوامر والنواهي المقرنة بالترغيب والترهيب بقصد نصحهم وإرشادهم معتمداً على إيقاظ شعورهم ومحاولة إثارة انفعالاتهم نحو ما يدعوا له بعد اطمئنانهم له نفسياً واقتراحهم منه (١) . .

٣ - الجدل بالتي هي أحسن :

فإن كان المدعوى يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعية إلى الباطل يجادل باللين واللفظ بلا تحامل عليه ولا تقبيح له حتى يطمئن إلى صاحب الرسالة ويشعر أن هدفه هو الوصول إلى الحقيقة لا غير . .

وهاتان القاعدتان أعني (الموعظة الحسنة والجدل الحسن) يُتبعان في حالة ما إذا كان الأسلوب الإعلامي قولاً . . وأما إذا وقع الاعتداء فإن الموقف يتغير « فالاعتداء عمل مادي يدفع بمثله محافظة على غلبة الحق ودفعاً لغلبة الباطل . .

٤ - الجهاد :

قال تعالى : ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ (٢) فلا بد من الدفاع عن هذه العقيدة وعن حريتها وحرية القائمين على تبليغها « لكي لا تهون في نفوس الناس بالدعوة المهينة لا يعتنقها أحد » (٣) . .

٥ - القدوة الحسنة :

« الأسلوب السلبي الإيجابي » وأشار إلى هذا الأسلوب بقوله ﴿ ولإن صبرتم لهُوَ خَيْرُ

(١) مذكرات في الدعوة الإسلامية - عبدالغفار محمد عزيز - ص ٥ - دار المعارف السعودية للطباعة والنشر .

(٢) النحل/ ١٢٦

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ٤ ص ٢٢٠٢

للسابرين ﴿١﴾ فالعفو عند المقدرة في بعض الأحيان يكون أعمق أثراً وأكثر فائدة من الإنتقام .

ففي هذه الحالة ينبغي على المسلمين ضبط النفس واختيار هذا الأسلوب . . . وأما إذا كان العفو عند المقدرة فيه ضرر على هذه الدعوة وأهلها فإن الأسلوب الإنتقامي والضرب بيد من حديد على يد الظالم يصبح حتمياً . . . لأن فيه دفع الضرر وإعلاماً لمن خلفهم ولكل من سولت له نفسه الإضرار بهذه الدعوة وأهلها أن هذا هو المصير الذي ينتظره والجدير بالذكر أن هاتان القاعدتان أعنى (الجهاد والقذوة الحسنة يمثلان الأسلوب الإعلامي العملي في الإسلام . . .

. . . وبعد أن أرشدنا القرآن الكريم إلى القواعد الأساسية للأسلوب الإعلامي الناجح الذي ننتهجه في نشر هذه الدعوة الخالدة . . . أشار إشارة واضحة إلى ماسيلاقيه الرسول ﷺ والمسلمون من أساليب إعلامية مضادة شيطانية للقضاء على هذه الرسالة والنيل منها فحثهم على الصبر في هذا الصراع الإعلامي المرير بين الحق والباطل وأن العاقبة ستكون له وللمؤمنين والخزي والفشل لأعداء هذا الدين قال تعالى : ﴿ ولاتك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (٢) . .

والحقيقة التي تقرها آيات سورة النحل هي أنه على امتداد الزمان في جميع الأوقات ليس هناك إلا أسلوب إعلامي واحد ناجح هو ذلك الأسلوب الذي رسم القرآن حدوده ووضع قواعده وأسس وكل ماوراء ذلك من أساليب إعلامية فمصيها الفشل . .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد انتهج هذا الدستور مع الرسول ﷺ . .

فأول ما نزل من القرآن الكريم هو إعلام الرسول ﷺ بحقيقة « قاعدة التصور الإيماني العريض » قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٣) . .

« فالله هو الذي خلق وهو الذي علم فمنه البدء والنشأة ومنه التعليم والمعرفة . . والإنسان يتعلم مايتعلم ويعلم مايعلم . . فمصدر هذا كله هو الله الذي خلق والذي علم » (٤) .

(١) النحل/ ١٢٦ .

(٢) النحل/ ١٢٨ .

(٣) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ٦ - ص ٣٩٣٩

وكانت هذه هي البداية مع الرسول ﷺ فأول ما نزل عليه من القرآن كان الهدف منه إعلام الرسول ﷺ بقاعدة التصور الإيماني والايان بها ..
 فلما علم هذه القاعدة وآمن بها أمره الله تعالى « بالعبادات الفاضلة والقاصرة »^(١) عليه ﷺ ، ومن أهمها قراءة القرآن وصلاة الليل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾^(٢) ..
 ولما علم الرسول ﷺ حقيقة قاعدة « التصور الإيماني » وعمل بمقتضاها ، صار عنده استعداد ذاتي لتصدير هذه الرسالة إلى الناس ، فعندها أمره الله تعالى « بإعلان هذه الدعوة والصدع بها »^(٣) ..
 قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبَرُ ﴾^(٤) ..
 في ضوء هذا التمهيد أستطيع محاولة القاء الضوء على بعض الأساليب الإعلامية من خلال القرآن الكريم ..

بعض الأساليب الإعلامية في القرآن :

ان الدارس لأساليب القرآن العظيم يأخذه العجب من كثرتها وقوتها وقدرتها على حمل الأفكار والأهداف بوضوح إلى عقول الناس وقلوبهم وإقناعهم بها .. ونحن فيما يلي سنحاول إبراز أنماط من هذه الأساليب بنوعيتها القولي والعملية لمعرفة ما إذا كان من الممكن الاستفادة منها في الأسلوب الإعلامي المعاصر أم لا ؟

أولاً : صور من الأساليب الإعلامية القولية :

١ - الهدم والبناء :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبَرُ ﴾^(٥) هذه الآية ترشد الرسول ﷺ إلى اتباع أسلوب إعلامي حكيم وهو أسلوب « الهدم والبناء » هدم ما كان موجوداً من العقائد الباطلة وعبادة الأصنام والأوثان ووضع أسس قوية للرسالة الجديدة رسالة

(١) تفسير كلام المنان - ج ٧ - ص ٥٠٨

(٢) سورة المزمل : الآيات : ١ - ٤ .

(٣) تفسير كلام المنان - ج ٧ - ص ٥٠٨ .

(٤) المدثر / ١ - ٣

(٥) المدثر / ١ - ٣

التوحيد « وهذا هو معنى لا إله إلا الله محمد الرسول الله » فقام الرسول ﷺ بتنفيذ هذا الأسلوب .

فأول مابدأ به أهله وعشيرته وذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى حيث يقول ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١) « فدعا زوجته خديجة بنت خويلد إلى هذا الدين وترك عبادة الأصنام والأوثان وصرف جميع العبادات لله وحده لاشريك له فأمنت به ثم دعا على بن أبي طالب وأبا بكر الصديق وزيدا رضى الله عنهم وغيرهم كثير ثم صعد إلى الصفا فهتف ياصباحاه فاجتمعوا إليه فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ماجربنا عليك كذباً قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تباً لك إنما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿ تبّت يدا أبي لهب وتب ﴾ (٢) . .

« فقريش التي استحکم الشرك في قلوبهم وضرب بأطنابه على عقولهم فأخضعهم لتصورات لا يكاد يصدقها العقل (٣) فهمت قصد الرسول ﷺ من دعوتهم إلى التوحيد - وأن معنى ذلك إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة الأصنام وكل ماورثوه عن آبائهم من معتقدات . . فعظم الأمر عليهم حتى أن بعضهم رد عليه بالشتيم وهو عمه أبو لهب . .

وكان فعله هذا من أول ردود الفعل من قبل قريش تجاه هذه الدعوة ثم استمرت المعارضة والمقاومة وأخذت في الإزدياد حتى وصل الأمر إلى اضطهاد كل من يدخل في هذا الدين ولم تقتصر على ذلك بل لاحقت هذه الدعوة بعد هجرتها من مكة إلى المدينة وحاربتها بجيوش نظامية بهدف القضاء عليها وإطفاء نورها الذي يأبى الله إلا أن يتمه قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٤) . .

والحقيقة أن ظهور هذه المعارضة والمقاومة ضد هذه الدعوة قد يكون هو الهدف الإعلامي المقصود من هذا الأسلوب - لأنه عندما تقوم المعارضة يكثر الكلام والجدل

(١) الشعراء/٢١٤

(٢) فتح القدير - ج ٥ - ص ٥١٣ .

(٣) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية - الندوة العالمية للشباب - ص ٢٥٢

(٤) الصف/٨

حول هذه الدعوة ومبادئها وتثار الشبه ويكثر الإتهام والإهتـام بها مما يهـيء جواً مناسباً لنشرها . . وبذلك تكون هذه الدعوة في حياة مستمرة لا يطفأ لها نور . .

٢ - التقابل :

ونقصد بالتقابل ذكر صورتين من الناس يختلف مصيرهما في الدنيا والآخرة باختلاف سلوكهما ومعتقدهما في الدنيا وأحدهما مرغـب فيه والآخر محذر منه . . قال تعالى : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ (١) ، في هذه الصورة تقابل بين عاقبة المؤمنين وعاقبة الكافرين « وتقابل في سلوكهما وحقيقتهما . . تقابل النقيضين اللذين اختلفت بهما الطريق فاختلفت بهما خاتمة الطريق (٢) » . .

ولاشك أن هذا الأسلوب من الأساليب الإعلامية كان له أثر كبير في نفوس الناس « فأما المسلمون الذين سمعوا هذه الآيات تبدل حرصهم على الحياة وتقديرهم لها سخرية (٣) » كما أنها زادتهم إيماناً و يقيناً وثباتاً على الحق . . وأما أعداء هذا الدين فإنه القى الرعب في قلوبهم وخوفهم من مغـبة عدم الإستجابة لهذا الحق ورفضه أو عدم الثبات عليه بعد قبوله . . مما جعل كثيراً منهم يدخل في دين الله ويثبت عليه . .

والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بهذا النوع من الأساليب - يذكر صورة للكافرين وما أعد الله لهم من العقاب الأليم في الدنيا والآخرة ثم يقابل ذلك بصورة للمؤمنين وما أعد لهم من النصر في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة . . قال تعالى : ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون . . وأما الذين فسقوا فمأوئهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب

(١) محمد/١٢

(٢) في ظلال القرآن / المجلد ٦ - ص ٣٦٦٦

(٣) الإعلام في صدر الإسلام - عبد اللطيف حمزة - ص ٥٥ - دار الفكر العربي .

النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴿١﴾ ..

وقال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ (٢) ..

وتحاول بعض الدول في عالمنا اليوم استخدام هذا الأسلوب في بعض القضايا المعاصرة ونرى ذلك واضحاً فيما نشرته جريدة « اليوم » السعودية على لسان مسئولين من وزارة الخارجية الأمريكية في مجلس خاص لهم « إننا على استعداد لمساعدة أصدقائنا العرب في الشرق الأوسط على مواجهة التهديد السوفيتي أو أى تخريب داخلي ، بيد أن أى قرار سوف يخضع لدراسة دقيقة للغاية وبخاصة في ضوء ضرورة حماية أمن إسرائيل . . وفي نفس المقال تقول الصحيفة « إن وزير الدفاع الأمريكية قد أشار عشية هذا اليوم إلى أن أى قرار سيتخذ بشأن مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية لن يستند فحسب على الإحتياجات الحقيقية للدول المعنية بل أيضاً على الأثر الذي قد يترتب عليها فيما يتعلق بتوازن القوى » (٣) وكانت هذه التصريحات الأمريكية عقب إعلان « الملك حسين » عاهل الأردن عن نيته في التقدم بطلب للولايات المتحدة الأمريكية للحصول على أسلحة متطورة تشتمل على صواريخ « هوك » ، وطائرات « اف ١٦ » ، وذلك بسبب خشيته من قيام إسرائيل بعمليات عسكرية ضد الأردن وبعض الدول العربية على حد تعبيره . .

وفي إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن موقفها هذا تقابل واضح بين ، علاقتها بإسرائيل وعلاقتها بالدول العربية والميزان الذي تزن به مبيعاتها لكلا الطرفين . .

(١) السجدة/١٩ - ٢١

(٢) محمد/١٥ .

(٣) صحيفة « اليوم » السعودية - العدد ٣٤١٩ - ص ٤ - الخميس ٤ مارس ١٩٨٢ م .

ومن التقابل أيضاً ما قامت به أجهزة الإعلام الفرنسية من اهتمام كبير للزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي « ميتران » إلى إسرائيل في ٤ مارس ١٩٨٢ م وركزت هذه الأجهزة حملتها الإعلامية للإشادة بإسرائيل وتأييدها للكيان الصهيوني وتقليلها من أهمية العرب وازدراءها لهم من ذلك على سبيل المثال ما نقلته جريدة « الرياض » السعودية عن الصحيفة الفرنسية « ليبراسيون » الصادرة في ٣ مارس ١٩٨٢ م . . تقول هذه الصحيفة تحت عنوان « فرنسا واسرائيل زيارة الوفاء . . » « لقد كان فرانسوا ميتران يعتزم منذ مجيئه إلى الحكم زيارة (اسرائيل) ليضع حدا للعزلة الدولية التي تخنق هذا البلد وليطوي صفحة الماضي في سياسة فرنسا إزاء الشرق الأوسط والتي ظلت مطبوعة بجملة لاتنسى تفوه بها الجنرال « ديغول » بعد حرب الأيام الستة وقال فيها : « إن شعب إسرائيل شعب مسيطر »^(١).

ومنه ما نشرته جريدة الندوة « على لسان السيد الأخضر الإبراهيمي وزير الخارجية الجزائري عندما سئل عن مساعي السلام المتعلقة بالشرق الأوسط قال « إن سوريا والعرب موافقون منذ زمان على حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي في مواجهة الموقف الإسرائيلي الرفض دائماً لأى سلام عادل » .

٣ - التبشير بغد أفضل :

نلاحظ أن القرآن الكريم في كثير من الآيات يبشر المؤمنين بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾^(٢) . .

يبشر الله المؤمنين في هذه الآية « بأن الغد سيكشف حقيقة النبي ﷺ وحقيقة المكذبين ويثبت أيهم الضال فيما يدّعيه وفي هذا ما يطمئنهم ويقلق أعداءهم »^(٣) . . وهذا النوع من الأساليب ينقسم إلى قسمين :-

أ - تبشير بمستقبل عاجل ينتصر فيه الإسلام على الكفر ويظهر فيه الحق على

(١) صحيفة « الرياض » السعودية - العدد ٥٠٦٧ - ص ١٦ - الخميس ٤ مارس ١٩٨٢ م .

(٢) صحيفة « الندوة » عدد ٩٨٩٠ - ص ٢ - الخميس ١٤١٢/١/٧ هـ .

العلم / ٥ - ٧ .

(٣) في ظلال القرآن / المجلد ٦ - ص ٣٦٥٨ .

الباطل ، قال تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ (١) . .

قال أهل التفسير إن فارس غلبت الروم « ففرح بذلك كفار مكة وقالوا : الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب . . وقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب (٢) . . فنزلت هذه الآيات تبشرهم بأن الروم ستنتصر على فارس كما تبشرهم بأن الله سينصرهم على قريش في المستقبل القريب ، فظهر الروم على فارس وانتصر المسلمون على قريش في موقعة بدر الكبرى ، كما حكم الله سبحانه وتعالى . .

ومن التبشير بمستقبل أفضل في هذه الدنيا قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (٣) . .

في هذه الآية أمور بشر الله بها المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الجزاء والثواب العاجل في الدنيا وهي : استخلافهم في الأرض والتمكين لهم في دينهم الذي ارتضاه لهم ، وإبداهم من بعد خوفهم أمنا . . وكان نزول هذه الآية قبل أن يتحقق لهم شيء من ذلك كله وصدق الله وعده « فمكّنهم من البلاد والعباد وفتحت مشارق الأرض ومغاربها وحصل الأمن التام والتمكين التام (٤) في صدر هذه الأمة وهذا الوعد مستمر إلى يوم القيامة كلما قام المسلمون بالإيمان والعمل الصالح . .

ب - التبشير بمستقبل آجل بعد الموت ، وهو الحصول على النعيم المقيم في الجنة الذي لا يشوبه أذى ولا كدر قال تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات

(١) الروم / ١ - ٥

(٢) فتح القدير - ج ٤ - ص ٣١٤ .

(٣) النور / ٥٥ .

(٤) تفسير كلام المثان - ج ٥ - ص ٤٣٩ .

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ ﴿٢﴾ .

وتبشير المؤمنين بالحصول على هذا النعيم المقيم الذي وصفه الرسول ﷺ بقوله : ألا هل من مُشَمَّرٍ للجنة ، فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانه تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرّة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة خضراء (٣) . . وتشيرهم بهذا كان ينشطهم على الأعمال الصالحة ويثبتهم ويقوِّمهم على الإيثار كما أنه يسليهم على ما يلاقونه من صعاب في الدنيا . .

والحقيقة أن هذا الأسلوب كان له أثر كبير على الحياة العملية عند المسلمين وخصوصاً في ميدان الجهاد فكانوا يتسابقون إلى الإستشهاد في سبيل الله لما بشرهم الله به بالحصول على إحدى الحسنين الشهادة أو النصر ولا شك أنهم كانوا يفضلون الشهادة على النصر لعظمها عند الله وكثرة ثوابها .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿٤﴾ . .

وهذا عمير بن الحمام عندما سمع رسول الله ﷺ يبشر من يقتل يوم بدر بالجنة يقول : « وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (٥) . .

(١) التوبة : ٢٢

(٢) البقرة : ٢٥ .

(٣) فتح القدير - ج ١ - ص ٥٥ .

(٤) آل عمران / ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) مختصر سيرة ابن هشام - محمد عفيف الزعبي - ص ١٢٦ - دار الفنائس .

ولأهمية هذا الأسلوب في رفع المعنويات والحث على العمل والترغيب في المبادئ والأهداف ، فإننا نلاحظ كثيراً من قادة الرأي والمفكرين في عالمنا المعاصر اتخذوا منه مطية لتحقيق أهدافهم العامة والخاصة ومن ذلك على سبيل المثال : ما قام به المستشار السياسي لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية « السيد/ هاني الحسن » عندما قال . . . في خطاب ألقاه أثناء احتفال نظّمه طلبة من حركة « فتح » في الجامعة الإيمكية في بيروت بمناسبة الذكرى الـ ١٧ للثورة الفلسطينية « إننا نعلم أن التحرير هو عملية طويلة إلا أنني شبه متأكد بأن نهاية هذا العام ستشهد قيام دولة فلسطينية ديمقراطية^(١) . . وفي هذا تبشير للشعب الفلسطيني باقتراب موعد قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة . .

وغرضه من هذا التبشير رفع معنويات شعبه وحثهم على الصبر ومواصلة العمل والكفاح دون ما يأس أو ملل حتى يتحقق الأمل المنشود . .
ولقد أحسنت كثير من الدول استخدام هذا الأسلوب للترغيب في مبادئها والوصول إلى أهدافها وهذا واضح في الدعاية السوفيتية للمبادئ الشيوعية ، وفي الدعاية الأمريكية أثناء الانتخابات ، وعند جميع الدول لدى تقديمها للميزانيات العامة لكل عام . .

٤ - الجدل :

وأسلوب الجدل في القرآن يختلف باختلاف الخصوم حسب أحوالهم العلمية والإعتقادية « فكثيراً ما يكون جدل القرآن مع المشركين جدل هداية ودلالة . . بينما يكون جدل القرآن مع أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنها على علم . . أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدوا عليه سمات الشدة مصحوباً بالتهديد والوعيد^(٢) . .

مثال جدال المشركين - لبيان عجز معبوداتهم . .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

(١) صحيفة الرياض ، السعودية - عدد ٥٠٢١ - ص ١ - الأحد ١٤٠٢/٣/١٥ هـ .

(٢) مناهج الجدل في القرآن - زاهر عواض الألمي - ص ٦ - مطابع الفرزدق التجارية .

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴿١﴾ ..

في هذه الآية بين القرآن الكريم بطلان عبادة غير الله سبحانه وتعالى بأمرين :-
(١) « أن كل المدعويين من دون الله من أصنام وأوثان .. وغير ذلك من المعبودات لا يستطيعون خلق الذباب مع صغره وحقارته (٢) وهذا هو مفهوم قوله تعالى :
﴿ إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾ ..

(٢) أن هذه المعبودات لا تستطيع الدفاع عن نفسها فمن باب أولى أنها لا تستطيع الدفاع عن غيرها - ففاقد الشيء لا يعطيه .. قال تعالى : ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ .. ومادامت هذه المعبودات كذلك فإنها لا تستحق شيئا من العبادة ثم يختم هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ وهما المعبود من دون الله والعابد ..

وبهذا يكون القرآن الكريم ألزم المشركين بعجز معبوداتهم عن الخلق والتدبير وحسن الحركة والإرادة - والذي يعجز عن هذا لا يستحق العبادة وبذلك يكونون ظالمين بعدم تقديرهم لله حق قدره . « وهم يرون آثار قدرته وبدائع مخلوقاته ثم يشركون به من لا يستطيع خلق الذباب الحقيق » (٣) « كما أنهم لم يقدروا الله حق قدره عندما يستعينون بتلك الآلهة التي تعجز عن استنقاذ ما يسلبها إياه الذباب ..

مثال جدال أهل الكتاب :

في إثبات أن عيسى عبد الله ورسوله وليس إلها .. قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (٤) ..

وقد جادل القرآن الكريم أهل الكتاب في هذه الدعوى وأبطلها بمنطق العقل

(١) الحج/ ٧٣ .

(٢) في ظلال القرآن - المجلد ٤ - ص ٢٤٤٤ - بتصرف .

(٣) نفس المرجع - المجلد ٤ - ص ٢٤٤٤ .

(٤) المائدة/ ١٧

والفطرة والواقع .. قال تعالى : ﴿ قل : فمن يملك من الله شيئا إن أراد ، أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ﴾ .

ففي هذه الآية دلالة قاطعة على أن عيسى عليه السلام ليس إلهًا - فلو كان إلهًا كما يزعمون لاستطاع أن يدفع عن نفسه وغيره الهلاك ولكنه لا يستطيع ذلك ..

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : ﴿ يفرق في هذه الآية تفرقة مطلقة بين ذات الله .. وذات عيسى وذات أمه .. فذات الله سبحانه واحدة ومشيتته طليقة وسلطانه منفرد ولا يملك أحد شيئا في رد مشيئته أو دفع سلطانه إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ﴾ (١) ..

ثم قال تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ ومعنى ذلك أنه المتصرف فيهما بالخلق والتدبير والمهيمن عليهما بما في ذلك المسيح بن مريم وأمه ..

وهذا يكون القرآن الكريم ألزمهم بالحجة والبرهان تقرير الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيثار وهي بطلان ادعائهم واعتقادهم في ألوهية عيسى بن مريم ..

مثال جدال المنافقين :

في بطلان دعاوهم الآتية ..

١ - أنهم مصلحون .

٢ - أنهم مؤمنون ولكن إيمانهم يختلف عن إيمان السفهاء - وقصدهم بذلك « الصحابة » .

٣ - أنهم يستهزئون بالمؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (٢)

(١) نفس المرجع - المجلد ٢ - ص ٨٦٦

(٢) البقرة/ ١١ - ١٥

هذه الآيات تبين لنا صفة المنافقين الظاهرة والباطنة وماهم فيه من عناد وكفر وسفه مع تقديم التبريرات لكل ماياتون به من فساد ظاهر . . فكانوا إذا نهو عن الإفساد وأمروا بالإيمان قلبوا الحقائق وزعموا أنهم مصلحون وأنها يقومون به من أعمال واتصالات باليهود والمشركين إنما قصدهم به الإصلاح والتقريب بين المؤمنين والكافرين في وجهات النظر فتزول بذلك الخلافات والعداوات بينهم . .

فقلب الله عليهم دعواهم هذه « وهي الإصلاح » بقوله ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ فإنه ليس أعظم إفساداً ممن كفر بآيات الله وصد عن سبيل الله وخادع الله وأوليائه ووالى أعداءه وزعم مع ذلك كله أنه يقوم بالإصلاح (١).

وإذا أمروا بالإيمان زعموا أن إيمانهم هو الإيمان الحق وأما إيمان غيرهم من الصحابة فهو سفه لأنه سبب لهم ترك الأوطان ومعاداة الكفار والتضحية بالمال والأهل والأنفس ، والعقل عندهم يقتضى غير ذلك . .

« فرد الله عليهم ذلك وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها وهذه الصفة منطبقة عليهم (٢) . .

وأما الإنسان إذا عرف مصالحه الدنيوية والأخروية وسعى في تحقيقها وبذل في ذلك الغالي والنفيس فإنه بعيد كل البعد عن السفه وفقدان العقل وهذا مايفعله المؤمنون من الصحابة رضوان الله عليهم . .

ثم يكشف عن حال المنافقين الباطنة وقوة ارتباطهم باليهود الحانقين على الإسلام والمسلمين . . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدَهُم فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » . .

« هؤلاء المنافقون الذين كانوا يجبنون عن المواجهة ويتظاهرون بالإيمان عند لقاء المؤمنين ليتقوا الأذى وليتخذوا هذا الستار للأذى (٣) هؤلاء يعترفون بألستهم أنهم في الحقيقة مع أعداء هذا الدين وأن تظاهروهم بالإيمان المقصود منه الإستهزاء بالمسلمين . . ولكن الله سبحانه وتعالى يظهر لهم الحقيقة التي لا يدركونها وهي أنهم مغفلون لأنهم في

(١) تفسير كلام المنان ج ١ - ص ٥٠ .

(٢) تفسير كلام المنان ج ١ - ص ٥١ .

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ٤٤

الوقت الذي هم منهمكون فيه لخداع الله وأوليائه إنما يخدعون أنفسهم في الواقع ويغشونها وذلك لعدم استطاعتهم خداعة الله ولا قدرة لهم على ذلك - بل الله سبحانه وتعالى المطلع على خبايا نفوسهم هو الذي يخدعهم ويستهزئ بهم في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون .. قال تعالى : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ ..

فمن استهزأه بهم في الدنيا « أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم من المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم ﴾ (١) ..

ومن استهزأه بهم يوم القيامة « أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طغىء نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين فما أعظم اليأس بعد الطمع » (٢) ..

قال تعالى : ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ، قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وأرربتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وجرمكم بالله الغرور ﴾ (٣) ..

« لقد كانت صورة المنافقين هذه واقعة في المدينة ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان نجدها نموذجاً متكرراً في أجيال البشرية جميعاً » (٤) « ففي عصرنا الحاضر نجد نوعاً من هؤلاء يعتبرون أنفسهم مسلمين وقادة الرأى وعقلاء القوم في الوقت الذي يقومون فيه بأعظم فساد في الأرض بتقتيل المسلمين وموالاته المحاربين لله ورسوله ويزعمون أن هذا هو الصواب والإصلاح للشعوب وأن مقاطعة أعداء الدين ومعاداتهم تؤدي إلى إضعاف الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً جهلاً منهم بسبب الضعف وأسباب القوة - لأن القوة لا تكون في الإعتماد على الأعداء في كل شىء حتى الأكل والشراب ، وإنما تكون باتحاد المسلمين اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ..

ونلاحظ أن بعض الدول التي حاولت رفع شعار الإسلام مثل أوغندا ، وباكستان وغيرها قامت جميع قوى الشر من أهل الكتاب والمنافقين بمحاولة القضاء عليها بشتى الأساليب والطرق وإذا نجحوا في القضاء على دولة من هذه الدول قامت وسائل الإعلام بالتركيز على هذا المصير وأن سببه معاداة أهل الكتاب وتمسكها بالإسلام الذي يحض على

(١) تفسير كلام المنان ج ١ - ص ٥٢

(٢) نفس المرجع - ص ٥٢

(٣) الحديد/ ١٤ .

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ٤٢ .

معاداتهم وعدم موالاتهم مما جعل هذه الدولة في موقف ضعيف سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يستحيل معه البقاء والإستمرار . . ويكون مصير هذه الدولة عبرة لغيرها من الدول التي تفكر في رفع الإسلام شعاراً لها . .

ونعود إلى موضوعنا فنقول : إن أسلوب الجدل تكرر في القرآن في مواضيع عديدة متنوعة وكانت تختلف أساليبه باختلاف المخاطبين ، وتكون نتيجة هذا الأسلوب دائماً إفحام الخصم بالحجج والبراهين العقلية . .

ومن استخدامات هذا الأسلوب في العصر الحديث ذلك الجدل القوي الذي أثير في الولايات المتحدة الأمريكية حول الموافقة على بيع خمس طائرات « أواكس » الردارية المتطورة للمملكة العربية السعودية ، وكانت المواجهة في هذا الجدل حقيقية بين الحزبين . . الحزب الديمقراطي الذي يتزعمه بعض أعضاء الكونجرس المعارضين لإتمام الصفقة مستنديين في معارضتهم هذه إلى أن حصول المملكة العربية السعودية على هذه الطائرات لا بد من أن يهدد أمن إسرائيل المزعوم . . والحزب الجمهوري ويتزعمه رئيس الولايات المتحدة « ريغان » الذي يؤيد الصفقة ويصر على إتمامها . . ولقد بذل رئيس الولايات المتحدة جهداً مستميتاً في هذا الجدل لإقناع حكومته بالموافقة على إتمام هذه الصفقة معللاً ذلك بقوله « إن إتمام هذه الصفقة من شأنه أن يحافظ على الأمن والإستقرار في المنطقة ويعزز من الثقة في الولايات المتحدة » (١) . .

٥ - التهديد :

وإذا تتبعنا القرآن الكريم نجد أنه استخدم جميع الأساليب الإعلامية التي تعتمد على الموعظة والجدال الحسن والتي كانت لها نتائج إيجابية عظيمة في إقناع كثير من الناس بالدخول في دين الله ولكن هناك أيضاً من أصرَّ على الكفر والعناد ومقاومة هذا الدين فلجأ القرآن الكريم إلى أسلوب التهديد بنزول العقاب على هؤلاء المعاندين في الدنيا والآخرة إذا أصرّوا على كفرهم بالله ورسوله ومعاداتهم لهذا الدين ومقاومتهم له . .

(١) صحيفة « الجزيرة » السعودية - عدد ٣٣٢٤ - الجمعة ٢ أكتوبر ١٩٨١ - ص (١)

أ - التهديد بالعقاب المعجل :

قال تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ (١) . . في هذه الآية توعّد الله سبحانه وتعالى الكافرين بهذا الدين بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة « قال الحسن وأبو العالية والضحاك والنخعي : هو مصائب الدنيا وأسقامها » (٢) .

وأسلوب العقاب المعجل المقصود منه رجوعهم إلى الحق في الدنيا - فإذا أصرّوا على كفرهم وبغيهم فإنهم سينالون جزاءهم وعقابهم المؤلم في الآخرة الذي وردت الإشارة إليه في الآية التي قبل هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ (٣) . .

ومن التهديد بالعقاب المعجل قوله تعالى : ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندعوا الزبانية ﴾ (٤) . . وهذه الآية نزلت في أبي جهل « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي ﷺ ما قاله فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » (٥) . .

وفي الآية تهديد وتخويف لأبي جهل بأخذه من الناصية أخذاً عنيفاً إذا حاول تنفيذ ما عزم عليه من أذى للرسول ﷺ ولن يستطيع أحد من البشر إنقاذه من هذا المصير مهما بلغ من القوة والجبروت لأن قوة الله وقضائه وقدره لا راد له . .

ب - التهديد بالعقاب المؤجل :

قال تعالى : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم

(١) السجدة/٢١

(٢) فتح القدير - ج ٤ - ص ٢٥٤

(٣) السجدة/٢٠

(٤) العلق/١٥ - ١٨

(٥) المرجع السابق - ج ٥ - ص ٤٧٠

ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿^(١)﴾ أى « فذرهم يخوضوا بأقوالهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة ويلعبوا بدينهم ويأكلوا ويشربوا ويتمتعوا فإن الله أعدّ لهم عذاباً أليماً جزاء لهم على خوضهم ولعبهم » ^(٢) ولا شك أن في هذا من التهديد ما يثير الخوف والفزع . .

والقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من هذا الأسلوب وخصوصاً ما نزل منه في العهد المكي حيث كان الصراع الإعلامي على أشده . .

ومن استخدامات هذا الأسلوب في العصر الحديث ما قام به الرئيس الأمريكي عقب إعلان الأحكام العرفية في بولندا يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٨١ م حين حذر ثلاث دول شيوعية من أنها ستواجه أعمالاً انتقامية أمريكية رداً على ما تفعله في أوروبا وبحر الكاريبي « فقال الرئيس « ريجان » الذي كان يلقي خطاب حالة الإتحاد أمام الكونجرس « إننا سنردّ على أولئك الذين يواصلون تصدير الإرهاب والتخريب في الكاريبي وفي أماكن أخرى خاصة كوبا . . . كما أُنذر بولندا والاتحاد السوفيتي بأنه سيوقع عقوبات جديدة ضدّهما إذا ما استمرت الأحداث في بولندا في التدهور ^(٣)»

٦ - تشويه الصورة :

إن القرآن في كثير من الآيات يعطينا صورة لأخلاق الأعداء وأكاذيبهم وأساليبهم الشيطانية التي تكشف عن حقيقة ما في نفوسهم من بغض وكيد للحق وهذه الصورة دائماً تكون منفّرة تسمّز منها النفوس الطاهرة ويكون نتيجة هذا الأسلوب هو السخرية من الأعداء والإستهانة بهم . . وإليك بعض الأمثلة على هذا النوع من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم .

(١) المعارج/٤٢ - ٤٤

(٢) تفسير كلام المنان - ج ٦ - ص ٤٧٨

(٣) صحيفة « الجزيرة » السعودية - عدد ٣٤٣٤ - الخميس ٢٨ يناير ١٩٨٢ م - ص ٢

أ - صورة المشركين في القرآن الكريم :

انظر إلى هذه الصورة التي رسمها القرآن للوليد بن المغيرة المخزومي وهو يجهد نفسه ليجد عيباً يعيب به القرآن العظيم قال تعالى : ﴿ إنه فكر وقدّر فقتل كيف قدّر ؟ ثم قتل كيف قدّر ؟ ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴾ (١)

فهذه الآية كما نلاحظ رسمت صورة لهذا المشرك وهو في حالة المحاولة في غاية السخرية والإثارة للضحك « فهو يفكر ويدبّر . . وهو ينظر هكذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يقطب حاجبيه عابساً ويقبض ملامح وجهه باسراً لستتجمع فكره في هيئة مضحكة وبعد هذا المخاض كله لا يفتح عليه بشيء . . . فيقول ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴾ (٢) . .

وما ظن أحدأ يقرأ مثل هذه الآيات التي نزلت في الوليد بن المغيرة ، إلا يحمد الله أنها لم تنزل فيه ومحاول بقدر الإمكان الابتعاد عن كل مامن شأنه أن يلصق به صفة من هذه الصفات المزرية والتي تجعل الإنسان سخرية إلى أبد الدهر - وأعتقد أن هذا هو الهدف الإعلامي من هذا الأسلوب .

صورة أخرى للمشركين في نفس السورة وهم يعرضون عن سماع القرآن وما فيه من الخير لهم قال تعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾ (٣) رسم القرآن الكريم للمشركين في هذه الآية صورة تثير العجب والضحك من أمرهم الغريب فهم كحمر الوحش في نفورها الشديد خوفاً من الأسد « فكيف إذا كان نفورهم هذا الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون . . بل لأن مذكراً يذكّرهم برّبهم وبمصيرهم ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف المهيّن » (٤) في يوم القيامة . .

(١) المدثر/ ١٨ - ٣٥

(٢) في ظلال القرآن - المجلد ٦ - ص ٣٧٥٧

(٣) المدثر/ ٥٠

(٤) المرجع السابق - ٣٧٦٢

وفي هذا من التنفير والإشمتزاز من حالهم مالا يخفي كما أن فيه التحذير من الإعراض
عن الحق والترغيب في الاستماع إليه ..

ب - صورة المنافقين في القرآن :

فالقرآن الكريم يرسم صورة للمنافقين « زرية من واقع مايقومون به في
الصف المسلم ومن واقع مواقفهم المتلوية حسب الظروف » (١) قال تعالى :
﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ (٢) ..

بين الله لنا في هذه الآية حقيقة الضعف الكامن في نفوس المنافقين مما
يجعلهم يترددون بين الإسلام والكفر كريحشة في مهب الريح لاتستقر على حال
وهذا الضعف ثمرة عدم التعلق بالله في السراء والضراء والخوف من الناس
والطمع فيهم ..

- صورة أخرى تصور طبيعة المنافقين وتناقضهم ..

قال تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ (٣) ..
فالأية تفضح حال المنافقين وتعطينا صورة مزرية من واقع مواقفهم المتلوية
وهي أنهم في الوقت الذي يظهرون فيه الإيمان بالله ورسوله كانوا يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين وذلك لعدم ثقتهم بالله ولاعتقادهم أن
الكافرين أقوىاء بما رأوه عندهم من أسباب القوة والمنعة ولذا طمعوا في العزة
والغلبة بموالاتهم وفاتهم أن القوة ليست بقوة السلاح وكثرة العتاد وشدة
الحصون وإنما القوة الحقيقية هي قوة الإيمان بالله وهذه حقيقة لانتحاج إلى
برهان فالتاريخ مليء بالشواهد عليها ..

(١) نفس المرجع المجلد ٢ - ص ٧٧٤

(٢) النساء/ ١٣٧

(٣) النساء/ ١٣٨ ، ١٣٩

قال تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ ^(١) فالمسلمون انتصروا على المشركين في بدر بقوة الإيمان وأخرجوا يهود بني النضير من المدينة وكانت لهم شوكة وقوة وحصون منيعة بقوة الإيمان لا بقوة السلاح ..

قال تعالى : ﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ ^(٢) ..

وما زالت هذه الصورة تتكرر إلى يومنا هذا فإن كثيراً من قادة الرأي الإسلامي الذين ليس عندهم من الإسلام إلا الاسم يرى ماعند الكافرين من أسباب القوة فيعتقد أن لاهياة للشعوب ولا استقرار لها إلا بموالاتهم والإعتماد عليهم في جميع شئون الحياة وأن من ترك موالاتهم فإن مصيره الزوال والفشل ويستدلون على ذلك بسقوط عيدي أمين في أوغندا وغيره ممن حاول رفع شعار الإسلام وترك الإعتماد على موالة الكفار وهذا بسبب جهلهم بالإسلام وبأسباب القوة والمنعة ..

والله سبحانه وتعالى يبشر هذا النوع من الناس بالعذاب الأليم بسبب طبيعتهم وموقفهم من الإسلام .. قال تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ كما يبشرهم بخيبة الأمل وفشل كل الجهود المبذولة للقضاء على هذا الذين أو النيل منه بقوله « فإن العزة لله جميعاً » ، « فالعزة لله وحده يهبها لمن يشاء وتطلب من عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين » ^(٣) - صورة أخرى للمنافقين ..

(١) البقرة/ ٢٤٩

(٢) الحشر/ ٢٠١

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ٢ - ص ٨٠

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوَاهُمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) ..

القرآن الكريم في هذه الآية يعطينا صورة مبدعة عن المنافقين « تثير السخرية بهذا الصنف المسوخ من الناس وتسمهم بالفراغ والخواء .. والجبن ... بل تنصهم تمثالاً وهذفاً للسخرية في معرض الوجود » (٢) والقرآن الكريم حينما يبرز صورة المنافقين على هذه الطريقة فإنه يبعث في النفوس الطاهرة الحذر من كل ما يلصق بها صفة من هذه الصفات البذيئة ..

ج - صورة أهل الكتاب في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَإِيْدِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ..

شبه الله تعالى في هذه الآية أهل الكتاب من اليهود الذين حملهم الله تعالى التوراة وأمرهم أن يتعلموها ويعملوها بها فلم يفعلوا ما أمروا به بالحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً من كتب العلم فليس له منها إلا الثقل « وهذه صورة زرية يائسة ومثل شائن ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة » (٤) وهذا المثل وإن كان لليهود إلا أنه ينطبق أيضاً على كل « من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه » (٥) وهذا الأسلوب الغرض منه التنفير من صفة اليهود هذه وحث المؤمنين على المحافظة على القرآن الكريم والعمل بما فيه لكي لا يضلوا كما ضل أهل الكتاب من قبلهم لإهمالهم كتب الله وتعاليمه وعدم العمل بها ..

(١) المنافقون/٤

(٢) المرجع السابق - المجلد ٦ - ص ٣٥٧٤

(٣) الجمعة/٥

(٤) المرجع السابق - المجلد ٦ - ص ٣٥٦٧

(٥) الفخر الرازي - ج ٣٠ - ص ٥ - ط ١

والجدير بالذكر هنا أن الإعلام العالمي يقوم الآن بشن حملة إعلامية قوية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والتنفير منهم . . من ذلك على سبيل المثال مانقلته مجلة (المجتمع) مترجماً عن « الأبرزفر » البريطانية بتاريخ ١٥/١٠/٨١ « يقول « باتريك سل » في مقاله هذا « هناك صفتان يتميز بها المتعصبون الجدد في الشرق الأوسط . . الصفة الأولى تتلخص في أن تصورهم للحياة الجيدة يتركز بشكل ضيق على العادات الاجتماعية كملابس النساء والطعام والشراب والذبح الحلال وطقوس الطهارة والوضوء ولا يبدو عليهم أنهم مهتمون كثيراً بما تدعوله العدالة الاجتماعية . .

والصفة الأخرى : هي العنف والاستعداد للقتل والموت في آن واحد ولو انعكس الوضع بشكل ما فإن البنات سيطرذن من المدارس والمكاتب والمصانع والخدمات المسلحة ويوضعن في البيوت . . أما النساء فلن يظهرن في الشوارع إلا على شكل كتل ملحفة بالسواد أما في المطاعم وأمكنة اللهو الأخرى فلن يسمح باختلاط الجنسين ، وسيتم في الواقع إغلاق كثير من هذه الأماكن كالبارات ودور السينما - المشروبات الروحية ستختفي حتماً ، أما جهاز التلفزيون فإنه سيقصر على تلاوة سور قرآنية . . أما الزاني فسوف يرجم حتى الموت كما ستقطع يد السارق»^(١).

والجدير بالذكر هنا أن هذه المقالة وإن كان الغرض منها تشويه صورة المسلمين وسمعتهم إلا أنها في الحقيقة لاتخلو من تحسين صورتهم في بعض جوانبها لأنه مامن أحد إلا ويتمنى أن يعيش في مجتمع تسوده الأخلاق الحميدة ويعنى فيه بالعفاف والطهر والقضاء على الأخلاق الرذيلة كالزنا وشرب الخمر وارتكاب الجرائم للمحافظة على أعراض الناس وأرواحهم وممتلكاتهم .

٧ - تحسين الصورة :

وفي مقابل صورة أعداء هذا الدين وبيان حالهم في مواجهة هذه الدعوة ، فإن القرآن الكريم يعطينا أيضاً صورة واضحة عن المؤمنين . . قال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو

(١) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ٥٦٢ - الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٨٢ م - ص ٣٣ .

معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكتم أيانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿١﴾.

في هذه الآيات بشرى بالفلاح والفوز في الدنيا والآخرة للمؤمنين الذين يتصفون بالصفات المذكورة فيها « وقال النسائي في تفسيره عن يزيد بن بانوي قال : قلنا لعائشة أم المؤمنين : كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن فقرأت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى انتهت إلى ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ قالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ (٢).

وفي ضمن هذا التنويه من الله بذكر عباده المؤمنين وصفاتهم التي وصلوا بها إلى أعلى الدرجات حث على الإتيان بصفاتهم والترغيب فيها . .
- صورة أخرى للمؤمنين :-

قال تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٣) . .
في الآية الأولى « صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين (٤) فهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لا ذنب لهم سوى أنهم آمنوا بالله ورسوله - وقد خرجوا معتمدين على الله في فضله ورضوانه . .

« وهم مع أنهم مطاردون قليلون ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم في أخرج الساعات وأضيق الأوقات » (٥) . .

وفي الآية التي تليها رسم لنا صورة صادقة تعطينا أهم الصفات المميزة للأَنْصار . . قال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم . . يقول سيد

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٠ - ١١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير - المجلد ٢ - ص ٨٥٨

(٣) الحشر / ٨ ، ٩

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ٦ - ص ٣٥٢٦

(٥) نفس المرجع - المجلد ٦ - ص ٣٥٢٦

قطب رحمه الله تعالى عن الأنصار « هذه المجموعة التي تفردت بصفات وبلغت إلى آفاق لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائفة ورؤى مجنحة ومثلاً علياً قد صاغها خيال محلق » (١) . .

ولم يعرف التاريخ البشري حادثاً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين .
والقرآن الكريم حين ينوّه بالمؤمنين وصفاتهم إنها يقصد بذلك الحث على الدخول في الإسلام والتحلّي بهذه الصفات التي لا توجد عند غير المسلمين وكانت سبباً في فوزهم في الدنيا والآخرة . .

ولقد استخدمت كثير من الدول المعاصرة هذا الأسلوب في إعلامها فالمتبع لما تبثه أجهزة الإعلام الأمريكي يلاحظ أنها في الوقت الذي تشوه فيه صورة خصومها للتفجير منهم . . فإنها تقوم بتحسين صورة الشعب الأمريكي ونظامه وأنها الدولة الوحيدة المتقدمة في العالم التي يمكن الإعتماد عليها في جميع الأمور . . وتحاول إقناع الناس بأن مقياس التقدم الحضاري هو بالقرب من الشعب الأمريكي أو البعد عنه حتى في الأخلاق والآداب . .

وعن طريق هذا الأسلوب استطاع الإعلام الصهيوني تغيير الصورة الحقيقية التي كانت مطبوعة بأذهان الغربيين عن الإنسان اليهودي إذ كانوا يتصورونه شيطانياً ، ماكراً مخادعاً ، مرايياً ، قذراً ، سفاك دماء منبوذاً من الله والناس . .

فقام الإعلام الصهيوني منذ زمن بعيد بمحاولات جبارة لتغيير هذه الحقيقة وذلك بإبرازه كل ما يعتقد أنه يحسّن من صورة اليهود لدى العالم الغربي ويثير الإعجاب بهم وفي الوقت نفسه كان الصّهاينة يقومون بملاحقة الكتّاب والإحتجاج على الصحفيين والأدباء والمخرجين وانتقاد الإذاعات والأفلام والمسرحيات والقصص التي تساهم في تشويه صورة اليهود والتفجير منهم (٢) وقد نجحوا بالفعل بمساعيهم هذه في تضليل الرأي العام الغربي وعكسوا الصورة تماماً حتى جعلوا الغربيين ينظرون إلى اليهود على أنهم أمة أنجبت نوابغ العالم في العلم والفلسفة ولولاهم لم تكن هناك مدينة ولا تقدم حضاري . .

(١) نفس المرجع - ص ٣٥٢٦

(٢) أنظر « الإعلام العربي بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية - منير بكر التكريتي - ص ٧ - مطبعة الإرشاد » بغداد .

ثانياً : صور من الأساليب الإعلامية العملية :

ومن الأدلة القرآنية على أن من ضمن الأساليب الإعلامية أساليب عملية قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ قال فرعون آمتم به قبل أن أذن لكم إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لاتظلمون ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ (٤) .

ومما لاشك فيه أن هذه الأساليب العملية تشتمل على أمرين أساسيين : أحدهما : يتعلق بالقدوة الحسنة . وثانيهما : يتعلق بالصدق في الأفعال (وأعني بهذا الالتزام المطلق بإرادة الشرع الإسلامي مهما كانت الظروف والأحوال) فإذا التزم القائمون بإدارة شئون هذه الأمة بهذين المبدئين حسنت سيرتهم وكان في هذا إعلام عملي بمبادئهم وأهدافهم واستطاعوا كسب ثقة الناس ومن ثمَّ القدرة على الإقناع والتوجيه هذا بالإضافة إلى الآثار الإيجابية على الإعلام القولي لأنه في هذه الحالة يعكس واقعاً إيجابياً وقوياً في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . الخ) . وأما إذا افتقرت الإدارة إلى أحد هذين الأمرين المذكورين ساءت سيرتهم وضعفت ثقة الناس بهم وكان في ذلك إعلام عملي ضد مبادئهم وأهدافهم هذا بالإضافة إلى آثاره السلبية على الإعلام القولي لأنه في هذه الحالة يعكس واقعاً ضعيفاً في كافة المجالات فهناك ترابط واضح بين الإعلام العملي والإعلام القولي قال تعالى : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ (٥) .

١ - القدوة الحسنة :

لوحظ أن القرآن الكريم قد سلط ضوءاً شديداً على الجانب الخلفي مما يدل على

(١) البقرة/ ٢٤٣ (٢) الأعراف/ ١٢٣ (٣) الأنفال/ ٦٠ (٤) الأعراف/ ١٧١ (٥) فاطر/ ١٠

أن نجاح هذه الدعوة موصول في جانب كبير منه بالسلوك . قال تعالى : ﴿ قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾^(١) وفي هذه الآية دعوة عامة للأخلاق كما دعا إلى الإبتعاد عن جميع رذائل الأخلاق^(٢) في قوله تعالى : ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣) . وقد فصل القرآن الكريم هذه الأخلاق في كثير من الآيات نذكر بعضها على سبيل المثال :

١ - الصدق .. قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٤).

وهذه الآية تحث المؤمنين على الصدق والإبتعاد عن الكذب لأن الجهد المبذول في نشر أى دعوة لا يكتب لها النجاح إلا إذا كانت تعتمد على الصدق وتزويد الناس بالحقائق الثابتة التي تساعدكم على تكوين رأى عام صائب وناضج حول قضية من القضايا المصيرية الهامة . . . فإذا خلت هذه الدعوة أو العملية الإعلامية من الصدق تصبح تضليلاً للجمهور .

ولهذا كانت هذه الصفة من أهم صفات الرسول ﷺ ومن أجل هذا صدقه العرب حين جاءهم برسالة السماء - وجعل هذه الصفة مدخلاً للدعوة إلى الله حين صعد الصفا ونادى قريشاً فقال لهم « أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكتتم مصدقي ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذباً قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد^(٥) .

٢ - الالتزام بالعهد .. قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾^(٦) ..

ولم يعرف في تاريخ البشرية كلها مثل الرسول ﷺ في المحافظة على العهود والالتزام بها « وما جرى يوم الحديبية برهان واضح . . . على الالتزام بالعهود^(٧) » فعندما تعاهد الرسول ﷺ مع قريش في صلح الحديبية على شروط من بينها أن محمداً يتعهد برد من

(١) الإسراء / ٥٣ (٢) أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - ص ٧٨ - ط ٣ بتصرف (٣) النحل / ٩٠ (٤) التوبة / ١١٩

(٥) فتح القدير - ج ٥ - ص ٥١٣ .

(٦) الإسراء / ٣٤

(٧) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية - ص ٦٤ .

يأتيه من قريش بغير إذن وليه عليهم فجاء أبو جندل بن سهل بن عمرو مؤمناً بربه فردّه ﷺ على أبيه وكان لهذا العمل أثر عظيم في الإعلام بالأخلاق التي يقوم عليها الدين الجديد مما ساعد على انتشار صيت هذه الدعوة واعتناق الناس لها .
« واعتبر الوحي السماوي هذا الصلح فتحاً عظيماً من الناحية السلوكية (١) »

٣ - العفو عند المقدرة . . قال تعالى : ﴿ ولئن صبرتم هو خير للصابرين ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ (٣) « وكان موقف الرسول ﷺ من قريش التي كانت تضطهد المسلمين وتعذبهم أشد أنواع العذاب بالضرب والتقتيل والتشريد بعد الفتح خير مثال على العفو عند المقدرة . . فعندما فتح رسول الله ﷺ مكة وحطّم الأصنام « وجه الخطاب إلى قريش ماتظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٤) وكان سلوك الرسول ﷺ هذا السلوك مع أقوى أعدائه يعتبر من أعظم أساليب الإعلام بما يدعو له الإسلام من تسامح وعفو عند المقدرة وأنه جاء للإصلاح لا للافساد كما تزعم قريش . .

٤ - الثبات على الحق . . قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ (٥) . .
ذهب رجال من قريش إلى أبي طالب عم رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يكف عنهم ابن أخيه وأنهم مستعدون لبذل كل مافي وسعهم من مال وجاه وسلطان مقابل أن يترك هذا الأمر الذي يدعو له فما كان من جواب الرسول ﷺ حين فاتحه عمه بهذا الأمر إلا أن قال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه » (٥) .

ومما تقدم نعلم أن للاخلاق مكانة عظيمة في الإسلام - لذا نوه الله سبحانه وتعالى بخلق رسوله الكريم ﷺ بقوله و « انك لعلى خلق عظيم » (٦) . .

(١) نفس المرجع - ص ٦٢ .

(٢) آل عمران / ١٥٩

(٣) مختصر سيرة بن هشام - ص ٢٣٤

(٤) فضلت / ٣٠

(٥) مختصر سيرة بن هشام - ص ٤٤ - ط ٢

(٦) القلم / ٤

وكان لأخلاقه ﷺ أثر إعلامي كبير في نشر هذه الرسالة بين جميع العرب « وكان الناس يتحدثون عن هذه الأخلاق . . إما جهاراً حين لا يخافون سطوة أحد وأما عن طريق الهمس حين يخافون شيئاً من ذلك وكان هذا التحدث أو التهامس عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة »^(١) .

ب - العمل :

وفي هذا القسم سنعرض إلى بعض الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ ومآحقته من أهداف إعلامية - كما سنشير الى بعض الأعمال المفروضة في الإسلام وأثارها الإعلامية في انتشار هذا الدين .
- بعض الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ وأهدافها الإعلامية .

١ - الهجرة :

اضطهد المكيون الرسول ﷺ حتى وصل بهم الأمر إلى التفكير في التخلص منه قال تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾^(٢) ، فأمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة قال تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾^(٣) فخرج الرسول ﷺ ومعه ابوبكر الصديق متوجهاً إلى المدينة تنفيذاً لأمر الله تعالى له ولم يكن خروج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة خوفاً ولا هرباً من المشركين « بل تعليم للأمة ضرورة أخذ الحيلة في الأزمات وليقف على تحركات قريش ويعلم مقاصدهم ولينكشف ما اعتزموا عليه »^(٤) .

وكان هذا العمل من الرسول ﷺ من أبلغ الأساليب الإعلامية في الإسلام وكانت له آثار إعلامية في داخل مكة وخارجها . فأهل مكة شعروا بأن هؤلاء لم يتركوا أهلهم ووطنهم وأموالهم إلا من أجل قوة إيمانهم بصدق ما هم عليه من حق كما أن هذه الهجرة « أوجدت فراغاً كبيراً في مكة ولقت هذا الفراغ أنظار المكيين للتغيرات

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٦٠ .

(٢) الأنفال/ ٣٠

(٣) التوبة/ ٤٠

(٤) تفسير كلام المنان - ج ٢ - ص ٢٣٦ .

التي حدثت في مجتمعهم ومن أهمها . . ظهور هذا الدين^(١) ولم تقتصر آثار الهجرة على مكة وحدها « فإن وجود عناصر مكية في المدينة لفت انتباه جميع من فيها وفي ذلك إعلان كبير . . عن هذا الدين »^(٢) .
ومن هنا كانت الهجرة أسلوباً إعلامياً فريداً قل أن يكون له مثيل في التاريخ .

٢ - بناء المسجد .

قال تعالى : ﴿ لا تنقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾^(٣) .
سواء كانت هذه الآية نزلت في قباء أو المسجد النبوي الشريف فإن الملاحظ أن أول عمل قام به الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة هو بناء مسجد ولم يكن الهدف الوحيد من هذا المسجد هو الصلاة بل كان مركزاً إسلامياً عاماً يجتمع فيه المسلمون من جميع القبائل ليتعلموا فيه أمور دينهم ويقول د . ابراهيم إمام « أراد الرسول ﷺ فيما يبدوا أن يبني مكاناً لا ينتمي إلى هذه القبيلة أو تلك ولا يجتمع فيه أفراد من أسرة خاصة بل ان يشيد مكاناً للجميع وهو بيت الله »^(٤) .

وفي هذا إعلام لجميع المسلمين الموجودين في المدينة وغيرها أن هذا الدين دين الله وأنه يقضى على العصبية مهما كانت وعلى أى أساس وجدت وأن مقياس التفاضل فيه إنما هو بتقوى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فلو أقام المسجد في بيت من بيوت إحدى القبيلتين الموجودتين في المدينة لوجدت القبيلة الأخرى في نفسها شيئاً من ذلك واعتبرته تفضيلاً لها فكان هذا العمل من الرسول ﷺ فيه من الحكمة مالا يخفى .

والحقيقة أنه ما من مكان في الأرض يستطيع تحقيق ما يحققه المسجد من توحيد في الكلمة والجهود والقضاء على العصبية إذا وجد من يحسن الاستفادة منه من الناحية الإعلامية .

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٣٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٣٥ .

(٣) التوبة / ١٠٨

(٤) الإعلام الإسلامي - ابراهيم إمام - ص ٧٣ مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة »

٣ - بيعة الرضوان :

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) .

خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة من المدينة قاصدين بيت الله الحرام للزيارة وكان هذا بعد غزوة الأحزاب بعام « فلما اقتربوا من مكة وجدوا قريشاً تستعد لقتالهم . . فبعث إليهم الرسول ﷺ عثمان بن عفان يقترح عليهم عقد صلح بين الفريقين . . فرفضت قريش هذا العرض وسرت شائعة بأن عثمان قد قتل » (٢) .

فلجأ الرسول ﷺ إلى أسلوب إعلامي يشعر القرشيين بقوة المسلمين وأنهم على استعداد لقتالهم والانتصار عليهم فجمع أصحابه ودعاهم إلى المبايعة « فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين وأن لا يفروا حتى يموتوا » (٣) فلما علمت قريش بهذه البيعة وأن المسلمين عازمون على الدخول في الحرب معهم دخل الرعب في قلوبهم واضطروا إلى الدخول في المفاوضات السلمية التي كانت الهدف الأساسي للرسول ﷺ من استخدام هذا الأسلوب وكانت قريش ترفض هذه المفاوضات فعقد معهم « هدنة الحديبية » التي اعتبرها الله تعالى نصراً - للمؤمنين وأمتن بها على رسوله ﷺ بقوله « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » (٤) وكانت لهذه الهدنة إيجابيات كثيرة ذكر بعضها عبداللطيف حمزة في كتابه « الإعلام في صدر الإسلام » (٥) .

وهذا النوع من الأساليب استخدمه الرسول ﷺ عدة مرّات فبعد منصرف قريش من غزوة أحد بلغه أن قريشاً قد أجمعوا الكرة عليهم فخرج الرسول ﷺ بمن معه من الصحابة حتى انتهى إلى حمراء الأسد فبلغ ذلك أبا سفيان فخاف من العودة إلى المدينة وعاد بمن معه إلى مكة وفي طريقه إليها مرّ به « ركب من عبد القيس فقال لهم أبوسفيان بلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الرجعة على أصحابه لنستأصلهم فلما مرّ الركب

(١) الفتح / ١٨

(٢) الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦١

(٣) تفسير كلام المنان - ج ٧ ص ١٠٣

(٤) الفتح / ١

(٥) انظر « الإعلام في صدر الإسلام » ص ١٦٣ .

برسول الله ﷺ بحمراء الأسد أخبروه بالذي قال أبوسفیان فقال رسول الله ﷺ والمسلمون معه حسبنا الله ونعم الوكيل»^(١) وكانت هذه الحادثة هي سبب نزول قوله تعالى : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٢).

واستخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب أيضاً في الحج عندما أمر أصحابه « بالإضطباع » والرَّمْل في الطواف لإعلام قريش بقوة المسلمين وأنهم خلاف ما يظنون بهم من ضعف وخور . وفي العصر الحديث قامت الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام أسلوب شبيه بهذا الأسلوب ضد « إيران » وذلك عندما قام بعض الطلبة الإيرانيين باحتجاز الدبلوماسيين الأمريكيين بالسفارة الأمريكية في طهران كرهائن حتى تلبي جميع مطالبهم وكان ذلك في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ م وأقرت السلطات الإيرانية الطلبة على هذا الاحتجاز وصرّحوا بأن هؤلاء الرهائن سيقدّمون للمحاكمة بتهمة التجسس مالم تستجب الحكومة الأمريكية إلى مطالب إيران . . . فقامت الولايات المتحدة بحشد أسطولها البحري الضخم الذي يضم حاملتين للطائرات وهما « كيتي هوك » و « ميدواي » كما يضم واحداً وعشرين سفينة حربية على مقربة من الساحل الإيراني ليضع الأهداف الإيرانية ضمن مدى الطائرات الأمريكية المقاتلة»^(٣) وذلك لإشعار القادة الإيرانيين بخطورة الموقف إذا هم أقدموا على محاكمة الرهائن أو عرضوهم إلى أى أذى .

٤ - البعثات النبوية :

قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾^(٤) في هذه الآية بيان للغاية التي من أجلها أنزل القرآن على الرسول ﷺ وهى إنذار العالمين وتخويفهم من بأس الله ونقمته وبيان رضا الله من سخطه . . وفي هذا دلالة واضحة على أن هذه الرسالة عالمية « وغايتها نقل هذه البشرية كلّها من عهد إلى عهد ومن نهج إلى نهج . عن

(١) فتح القدير - ج ١ - ص ٤٠١

(٢) آل عمران/ ١٧٢ ، ١٧٣

(٣) انظر « مجلة أقرأ السعودية » العدد ٢٥٢ الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١٥

(٤) الفرقان/ ١

طريق هذا الفرقان الذي نزلّه الله على عبده ليكون للعالمين نذيراً»^(١). وإذا كانت هذه الدّعوة عالمية فلا بد أن يكون إعلامها كذلك . فالرسول ﷺ والمسلمون مكلفون بتبليغ هذه الرسالة إلى جميع الناس بشتى الأساليب الإعلامية . ولذا فإننا نرى الرسول ﷺ عند أول فرصة وجدها بعد صلح الحديبية قام بإرسال البعوث الدينية إلى القبائل العربية المجاورة وإلى الأمم خارج الجزيرة العربية للتبشير بهذه الرسالة تنفيذاً لأمر الله تعالى له بتعميم هذه الرسالة . ولقد حقق هذا النوع من الأساليب عدّة أهداف من أهمها :-

- ١ - إشعار العرب والعجم وغيرهم « أن الإسلام ليس خاصاً بالعرب وحدهم ولكنه عام لجميع الناس »^(٢) .
 - ٢ - قبول هذه الدعوة والترحيب بها من قبل بعض الأمراء والملوك الموجهة إليهم كما فعل المقوقس والنّجاشي وإن كان البعض رفضها وأساء الرد على صاحبها كما فعل كسرى .
- وهذا النوع من الأساليب يستخدم في عصرنا هذا لتوثيق الروابط السياسية والإقتصادية والإجتماعية بين الدول عن طريق السفارات والمبعوثين الدبلوماسيين .

جـ - بعض العبادات العملية وآثارها الإعلامية :

* الصلاة :

قال تعالى : ﴿ أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾^(٣). في هذه الآية الكريمة الحث على إقامة الصلاة التي من واجباتها « الأذان » ويعتبر الأذان من أكبر أساليب الإعلام لأنه قائم على التكرار فهو يذكّر الناس بهذا الدين خمس مرات في اليوم والليلة كما يذكّر بأن الصلاة ركن من أركانه « التي تعتبر رمزاً للوحدة الإنسانية فالصغير بجانب الكبير والغنى مع الفقير الكل سواسية »^(٤)

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٥ - ص ٢٥٤٨

(٢) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٥٥

(٣) العنكبوت/ ٤٥

(٤) الإعلام الإسلامي - ص ٣٥ .

لافضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . فإداء الصلاة عمل على جانب عظيم من التأثير سواء في جذب الناس إلى هذا الدين أو في الإحتفاظ بالمسلمين منهم وتقوية شعورهم بالانتماء وتقوية رغبتهم في الخير والقضاء على رغبتهم في الشر .

* الحج :

قال تعالى : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾^(٢) . وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الحج فريضة على كل مسلم مستطيع القريب منهم والبعيد ولذا فإننا نرى عشرات الألوف من المسلمين رجالا وركبانا يتقاطرون من مشارق الأرض ومغاربها « تلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام »^(٣) .

والحج يعتبر من أقوى الأساليب العملية لتوحيد المسلمين وتقويتهم فهو كما يقول سيد قطب « مؤتمر اجتماع وتعارف ومؤتمر تنسيق وتعاون »^(٤) يمكن عن طريقه حل جميع القضايا المستعصية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إذا نوqشت هذه القضايا من زاوية إسلامية وكان الباحثون فيها رجالاً مسلمين حقاً وعلى مستوى المسؤولية من الناحية العلمية والعملية والقيادية (أى يكونون من قادة الرأي) - ويكون همهم الوحيد من جهدهم وعملهم رضى الله ورسوله وتحقيق الخير والرفاهية لشعوبهم قبل أي اعتبار شخصي .

والحقيقة أن هذه الفرصة المتكررة التي تتاح للمسلمين في كل عام مرة للاتصال ببعضهم فيتبادلون الأفكار والآراء ويتعاونون في حل المشاكل المتعلقة بهم وبالخصوص القضايا المصيرية منها سواء كانت سياسية مثل قضية القدس أو

(١) آل عمران ٩٧/

(٢) الحج / ٢٧ ، ٢٨

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ٤ ص ٢٤١٨

(٤) نفس المرجع المجلد ٤ ص ٢٤١٨

اقتصادية كالتنمية أو ثقافية كالتعليم . . إلى آخر ذلك من القضايا الهامة . هذه الفرصة لا توجد عند غيرهم ولكن مع الأسف فإن المسلمين لم يستطيعوا حتى اليوم الاستفادة من هذا المؤتمر العظيم وذلك بسبب غياب قادة الرأي الأكفاء عن السلطة .
* القصاص :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى لَه مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (١) .

ففي هذه الآيات تشريع للقصاص في القتل - فالقاتل يقتل إلا إذا عفا أولياء المقتول . ثم بين سبحانه وتعالى الحكمة من هذا الأسلوب بقوله « ولكم في القصاص حياة » قال الزجاج « إذا علم الرجل أنه إن قُتل قُتل أمسك عن القتل فكان في ذلك حيلة للذي هَمَّ بقتله ولنفسه » (٢) وبذلك تحقن الدماء وتنقمع الأشقياء لأنه من عزف أنه مقتول إذا قتل كف عن القتل وإذا رُئي القاتل مقتولاً اتعظ بذلك غيره وكف عن القتل . كما أن القصاص أيضاً يشفي صدور أولياء الدم عند تنفيذ القتل بالقاتل من الحقد والرغبة في الثأر الذي لم يكن يقف عند حد في القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاماً كما في حرب البسوس المعروفة عندهم » (٣) .

ولاشك أن سائر الحدود الشرعية فيها من النكاية والإنزجار عن ارتكاب الجرائم مالا يخفي مما يدل على حكمة الله وأنه عليم بما يصلح لعباده في هذه الدنيا من التشريعات التي تحفظ دماءهم وأموالهم إلّا بحقها .

وهذا الأسلوب الإعلامي الذي يهدف إلى الكف عن الجريمة لا يوجد من يطبقه اليوم في العالم الإسلامي إلّا من رحم ربك ولذا نرى الضعف والخور والجرائم بجميع أنواعها تسوس هذه البلدان وتعصف بها .

(١) البقرة/ ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) تفسير آيات الأحكام - ج ١ - ص ١٧٣ محمد حل الصابوني مكتبة الغزالي « دمشق » .

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ١ ص ١٦٥

* الجهاد في سبيل الله :

لم يشرع الجهاد قبل بيعة العقبة الثانية إنَّما كان يؤمر بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس والصبر على الأذى . « ولكنَّ قريشاً كانت مصرَّةً على اقتلاع جذور الإسلام بكل الأساليب الممكنة » ^(١) بما في ذلك القتل والنفي والتعذيب . فأذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلم المسلمين وبغى عليهم . قال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير ﴾ ^(٢) .

فبينَّ في هذه الآيات الإذن لهم بالقتال وأنه بسبب الظلم الذي وقع عليهم من المشركين ثم بين أنهم إذا انتصروا لن يفسدوا في الأرض كما يفعل أهل الظلم والفساد وإنما سيقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

ومع الإذن لهم بالقتال رفع للمعنويَّات وتشجيع على القتال في قوله ﴿ وإنَّ الله على نصرهم لقدير ﴾ .

ومنذ ذلك الحين دخل الرسول ﷺ في حرب مع أعداء هذا الدين وكانت هذه الحروب تتمثل في أمرين . حروب وقائية وحروب دفاعية .

أولاً : الحروب الوقائية : وتشتمل على نوعين :

أ - حروب نفسية وقائية

ب - حروب عسكرية وقائية

أ - الحروب النفسية الوقائية :

وتتمثل في نشر روح الهزيمة في صفوف العدو ومثالها ما قام به الرسول ﷺ ضد أعدائه وأعداء الإسلام في غزوة الأحزاب حيث بعث إلى غطفان يعرض عليها ثلث ثمار المدينة إن هم رحلت وتخلت عن المشاركة في حرب المسلمين وأبدت غطفان ميلاً لقبول هذا العرض ولكن الأنصار حينما استشارهم الرسول ﷺ في الأمر قالوا له : إن كان الله أمرك بهذا

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٤٥

(٢) الحج / ٣٩

فسمعاً وطاعةً وإن كان شيئاً تصنعه لنا . . فلا والله مانعطيهم إلاّ السيف فأخذ الرسول ﷺ برأى الأنصار بعد أن حقق بعض ما يريد . وهو إضعاف حدة الروح القتالية لدى فرقه من العدو وفي الوقت نفسه ألهب الحماسة في صدور أصحابه .

ثم أرسل « نعيم بن مسعود الأشجعي » وكان قد أسلم حديثاً ولم يعلم الناس بإسلامه وقال له « خذْ عَنَّا ما استطعت فإن الحرب خدعة »^(١) وكان « نعيم » داهية ذكياً فذهب إلى الأحزاب - وخذل بين يهود بني قريظة من جهة وقريش وغطفان من جهة أخرى فانعدمت الثقة بينهم ففترقت صفوفهم وضعفت قواهم .

وكانت هذه النتيجة هي المطلوبة من العمل الدعائي الذي قام به نعيم بن مسعود رضي الله عنه . وأحسب أن من هذا الأسلوب ماتقوم به الولايات المتحدة حالياً من التلويح باستعدادها لتقديم بعض المساعدات العسكرية والإقتصادية لبعض الدول العربية . وذلك في حالة عزم إسرائيل على تنفيذ بعض مخططاتها العدوانية ضد بعض العرب الآخرين وهدفها من ذلك إضعاف روح المعارضة عند تلك الدول فيخذل بعضهم البعض حتى تحقق إسرائيل هدفها وتتم عملياتها .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المقياس الحقيقي لقوة الجيش وضعفه هو بما يتمتع به أفراد قوّاته من ارتفاع في المعنويات وبما تتمتع به أجزاؤه وقطاعاته من ترابط قوى قائم على أساس متين من التفاهم والنصح والصدق عند اللقاء . لا بما يمتلكه من سلاح وكثرة في العدد والعتاد . وهذا واضح من قوله تعالى : ﴿ أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢) .

وواضح أيضاً مما حصل ليهود بني النضير الذين اجلاهم الرسول ﷺ وكان السبب الرئيسي في إجلائهم وانتصار المسلمين عليهم هو أن الله سبحانه وتعالى خذلهم وقذف الرعب في قلوبهم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية - ج ٣ ص ٢٧٣ مؤسسة الرسالة « بيروت »

(٢) آل عمران/ ١٦٥

يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرُّعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿١﴾ .

وهذا تعلم سبب ضعف المسلمين اليوم وأنه ليس بسبب قلة ما يمتلكونه من عدد وعدة ولكن بسبب الوهن القاتل الذي قذفه الله في قلوبهم وبسبب نزاع المهابة من قلوب أعدائهم وهذا ما أخبرنا به رسول الهدى ﷺ أنه سيصيب هذه الأمة . فعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال « بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن » فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت » (٢) .

ب - الحروب العسكرية الوقائية : وتتمثل في أمرين سرايا وغزوات .

١ - السرايا الحربية : ومن الأمور الوقائية التي قام بها الرسول ﷺ إرسال بعض السرايا الحربية وذلك لهدف إعلامي . ومن أشهر تلك السرايا « سرية مؤتة » التي كان سببها اعتداء شرحبيل بن عمرو الغساني على الحارث بن عمير الأزدي بالقتل وكان مبعوثاً من قبل الرسول ﷺ بكتاب إلى ملك الروم بالشام يدعوه فيه إلى الإسلام فلما بلغ الرسول ﷺ نبأ مقتله اشتد ذلك عليه لأن هذا الإعتداء كان بمثابة الإعتداء على أمن الإسلام والمسلمين فجهز جيشاً بلغ عدده ثلاثة آلاف بقيادة زيد بن حارثة لإرهاب هؤلاء الأعداء وفرض المهابة في قلوبهم للمسلمين فذهب زيد بجيشه هذا حتى لقي الأعداء في « مؤتة » وكان عددهم مائة ألف من الروم بقيادة « هرقل » وانتهت الواقعة بانحياز كل فئة عن الأخرى قبل أن يحقق أحد الطرفين نصراً مبيناً .

ومهما يكن من أمر فإن هذه السرية وغيرها من السرايا حققت أهدافها

(١) الحشر/٢

(٢) سنن أبي داود - لأبي داود - ج٤ - ص ١٥٨ - مطبعة السعادة .

الإعلامية بنجاح تام والتي من أهمها : إشعار أعداء هذا الدين من العرب والعجم بهوة الإسلام والمسلمين وخطورة الإعتداء على أمن أفرادهم . ولولم يفعل الرسول ﷺ هذا الإجراء الخطير ضد المعتدين في الشام لفكر الأعداء في الغارة على المسلمين في عقر دارهم ولتكرر مثل هذا العمل منهم ومن غيرهم من أعداء هذا الدين .

٢ - الغزوات الحربية الوقائية : ومن هذه الغزوات التي قام بها الرسول ﷺ ضد أعدائه « غزوة حنين » فعندما علم الرسول ﷺ أن قبيلة هوازن تستعد لمحاربتة جهز جيشه وخرج من مكة لقتالهم ولم ينتظرهم حتى يغزو الإسلام في عقر داره ومن غزواته الوقائية أيضاً غزوه ﷺ « بني قريظة » فعندما تأكد له خبر نقضهم للعهد الذي بينه وبينهم قام بعد انصرافه من الخندق بمحاصرة بني قريظة وذلك بأمر من الله حتى أجبرهم على النزول على حكمه ﷺ وحكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسمى ذراريهم ونسائهم . وقد نزل في هذه الغزوة قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ . وَلَا يُحْسِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) فعن ابن شهاب قال : دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال : قد وضعت السلاح ومازلنا في طلب القوم فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة .

وأنزل فيهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً . . ﴾ (٢) .
والجدير بالذكر أن القرآن الكريم حث أمته على الحروب الوقائية ضد أى عدو قد يهدد أمن الإسلام في حاضره ومستقبله قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٣) .

(١) الأنفال/ ٥٨ ، ٥٩

(٢) فتح القدير - ج ٢ - ص ٣٢١ .

(٣) النساء / ٧٥ .

فهذه الآية تعطي الضوء الأخضر لشن حملة نفسية وعسكرية والتدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة من دول العالم إن هي قامت بعمل من شأنه أن يهدد أمن المسلمين أو يحد من حريتهم أو يمنعهم من حقوقهم المشروعة حتى ولو كان هؤلاء المسلمون قلة في تلك الدولة وتابعين لها .

فالآية تحتم على المسلمين عدم التأخر في بذل أقصى الجهود لإزالة الخطر وفرض حقوقهم وحرياتهم على الأعداء حتى ولو اضطروهم ذلك إلى الإستمرار في القتال قرناً من الزمن ولاشك أن هذا الأسلوب فيه إعلام لتلك الدولة ولمن خلفها من الدول بخطر التعرض لحرمان المسلمين وهضم حقوقهم والحد من حرياتهم وأن الإقدام على مثل هذا العمل يعتبر من قبيل المغامرة التي قد تكون نتيجتها زوال تلك الدولة ودمارها .

ومن المؤسف حقاً أن يكون الذي يستخدم هذا الأسلوب هم أعداء هذه الأمة وأخص بالذكر هنا « إسرائيل التي استخدمته على أوسع نطاق ضد الدول العربية حتى أن « موسى أرنيز » سفير إسرائيل في الولايات المتحدة قال في تصريح له « إن الأوساط العسكرية الإسرائيلية تميل إلى مأساه الهجوم الوقائي ضد أية دولة عربية قد تعمل على وضع حد للمزايا العسكرية النوعية التي تتمتع بها إسرائيل حالياً^(١) .

وأكبر دليل على تبني إسرائيل لهذه السياسة الإعلامية وتنفيذها بدقة تامة ضربه للمفاعل النووي في ٧ يونيو عام ١٩٨١ م وقيامها بالهجوم على لبنان ليل نهار وتهديداتها المتواصلة للتدخل في شئون الدول العربية .

ثانياً : الحروب الدفاعية :

فالرسول ﷺ خاض كثيراً من الغزوات الدفاعية وحقق انتصارات باهرة في أغلبها وكان لهذه الانتصارات وهذه الأحداث صدى إعلامي عظيم في جميع أنحاء الجزيرة العربية مما كان له أثر عظيم في انتشار هذه الرسالة .
— ومن أعظم هذه الغزوات « غزوة بدر الكبرى » ولقد انتصر المسلمون فيها

(١) جريدة اليوم « السعودية - عدد ٣٤١٩ الخميس ٤ مارس - ١٩٨٢ ص ٤

انتصاراً ساحقاً قال تعالى :- ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (١).

— و « غزوة أحد » التي استشهد فيها كثير من الصحابة ولم يحقق فيها المسلمون انتصاراً ظاهراً من الناحية العسكرية ولكنهم استفادوا منها دروساً هامة كان لا غنى لهم عنها في حياتهم المستقبلية . قال تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون . . إلى قوله ﴾ والله خير بما تعملون ﴾ (٢).

— « وغزوة الأحزاب » التي تحزَّب فيها أعداء هذا الدين من مشركين ومنافقين ويهود للقضاء على هذا الدين وأهله قال تعالى : ﴿ يأياها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . . إلى قوله ﴾ إن يريدون إلا فراراً ﴾ (٣) ولكن الله كفى المؤمنين شر هذه الغزوة وأيدهم بنصره « فأرسل ريحاً عاتية دمرت خيامهم واقتلعت قدورهم وزلزلت صفوفهم » (٤).

آثار هذه الغزوات الإعلامية :

إن هدف الرسول ﷺ من جميع الأساليب الإعلامية التي استخدمها القولى منها والعملى هو تبليغ هذه الرسالة إلى الناس كافة ، وغزوات الرسول ﷺ كانت من أهم الأساليب العملية في تحقيق هذا الهدف العظيم ، وكانت لها آثار واضحة على المستويين الداخلى والخارجى .

أولاً : الآثار الإعلامية على المستوى الداخلى :

١ - تقوية البنية الاجتماعية وتماسكها وذلك بفضل شعورهم بالخطر الذى يهددهم دائماً من قبل أعدائهم فتنصرف أنظارهم وأذهانهم عن جميع المشاكل الإقتصادية والاجتماعية التي من شأنها أن تهدد كيان المجتمع . فصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يحب

(١) آل عمران/ ١٢٣

(٢) آل عمران/ ١٥٢ ، ١٥٣

(٣) الأحزاب/ ٩ - ١٣

(٤) الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦٩

- الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴿١﴾ .
- ٢ - شعور المسلمين بالخطر ربطهم برباط قوى من التواد والتراحم حتى تحقق فيهم قول الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ (٢) .
- ٣ - للجهاد أثر كبير في تطوير الأمة اقتصادياً بسبب ما يضيفه للدخل القومي من مكاسب مادية لا يعلمها إلا الله . قال تعالى : ﴿ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً ﴾ (٣) .
- ٤ - إن استمرار الجهاد والصراع بين الحق والباطل يجعل معنويات الجيش والشعب مرتفعة دائماً مما يحثهم على العمل المتواصل في جميع ميادين الحياة حتى تصير كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ويتحقق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ (٤) .
- ٥ - انتصار المسلمين على أعدائهم في الوقت الذي كانوا فيه أقل عدداً وعدة جعلهم على يقين تام بأن النصر بيد الله وأنه لا يهيه إلا لأوليائه فتحثهم ذلك على توثيق علاقتهم بربهم قال تعالى : ﴿ لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ (٥) .
- ٦ - ظهور اليهود على حقيقتهم وما كانوا يبيتونه للرسول ﷺ وأصحابه من عداً ومكر وخداع فأمر الله رسوله الكريم بالتخلص منهم بالقتل أو النفي ففعل بهم ذلك وتخلص المسلمون من شرهم وكان في القضاء عليهم إضعاف لكيد المنافقين ومكرهم لأنهم كانوا يعتمدون على اليهود في معاداتهم للإسلام ويلجؤون إليهم لإعانتهم في الكيد لهذا الدين .
- ٧ - ظهور المنافقين على حقيقتهم « ففي يوم أحد انسحب عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة مقاتل من أتباعه » (٦) وكان لعمله هذا آثار سيئة على المسلمين من الناحية المعنوية التي كانت تعتبر سر قوة المسلمين وكان بمثابة الطعنة في الظهر مما جعل المسلمين يأخذون حذرهم منهم بعد ذلك ولا يعتمدون عليهم في الشدائد .

(١) الصف / ٤ (٤) البقرة / ١٩٣

(٢) الفتح / ٢٩ (٥) التوبة / ٢٥

(٣) الفتح / ٢٠ (٦) المرجع السابق - ص ١٦٧

قال تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فياذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾ (١) وهاتان الآيتان فيهما إشارة واضحة إلى هذا الموقف من المنافقين مما يدل على عظمتهم عند الله وشدة وقعه عند المسلمين .

٨ - وما ينبغي التنبيه عليه هنا هو أن الجهاد أقوى من أى أسلوب إعلامي في توحيد الأمة فلو مثلاً رفع علم الجهاد باسم الإسلام وفتحت الجبهتان الشرقية والتي تتمثل في أفغانستان والغربية وتتمثل في تحرير بيت المقدس فإنه ولا شك ستجد العالم الإسلامي كله يشترك في هذا الجهاد ويساهم بكل مايملكه من قوة لإزاحة الكفر والطغيان عن الأراضي الإسلامية . وهذا ما لا تستطيع جميع أجهزة الإعلام القولية تحقيقه في عدة قرون من الزمن لأن هذا من الأمور التي يستحيل تحقيقها إلا بالعمل الفعلي والصراع القوي .

ثانياً : الآثار الإعلامية على المستوى الخارجي :

١ - لفتت هذه الغزوات أنظار العرب في كل شبر من الجزيرة العربية . . . وكان ذلك إعلام كبير عن هذا الدين الجديد (٢) .

٢ - إعلام الأعداء بقوة الإسلام المطردة والتماسك والاستعداد التام للجيش الإسلامي مما يجعلهم على اقتناع تام بعدم قدرتهم على النيل من هذه الأمة أو القضاء على هذا الدين بالطرق والأساليب التي كانوا يتبعونها .

٣ - الجهاد جعل كلمة المسلمين مسموعة ومحسب لها ألف حساب مما جعلهم يؤثرون ويتأثرون بالأحداث الجارية . وأصبح لهم دور كبير في الحل والعقد في جميع المسائل والقضايا في الجزيرة العربية وخارجها .

٤ - والحقيقة أن الجهاد يكسب المسلمين شرفاً واحتراماً يجعل غيرهم دائماً يطلب ودّهم ومساعدتهم مما يهيئ فرصة طيبة للمسلمين لنشر فكرهم وعقيدتهم على نطاق أوسع .
فأى إعلام وأى أسلوب يستطيع أن يحقق هذه الأهداف أو جزءاً منها هل هي الصحافة ؟

(١) آل عمران/ ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) المرجع السابق - ص ١٦٦

هل هي الإذاعة والتلفزيون ؟ أم غيرهما ؟ طبعاً لا شيء من ذلك كله يستطيع أن يقوم بهذه الإنجازات سوى الجاد في سبيل الله .

الأعداء وأساليبهم الإعلامية

مامن أحد يريد تغيير الرأي العام وخصوصاً إذا كان هذا التغيير حول مسائل عقدية إلّا لقي معارضة ومقاومة وأذى شديداً . وإذا تتبعنا جميع الرسائل السماوية من خلال القرآن الكريم نجد هذا المعنى واضحاً كل الوضوح . قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ^(١) ولقد لقي الرسول ﷺ من قريش والمنافقين وأهل الكتاب الكثير من الظلم والصدّ عن سبيل الله بشتى الأساليب الإعلامية .

أولاً : المشركون وأساليبهم الإعلامية :

ويرجع عدااء المشركين لهذه الدعوة إلى سببين رئيسيين هما :

- ١ - أن قادة الرأي العام في قريش كانوا يعتقدون أن هذه الدعوة إذا نجحت سيكون لها أثر عظيم على ماكان لهم من مركز ومنافع مادية وأدبية عظيمة قال تعالى : ﴿ وقالوا إن نتَّبِع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ﴾ ^(٢) .
 - ٢ - كما يرجع هذا العدااء الى الحسد والكبر المتأصل في نفوسهم في ذلك الوقت قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ ^(٣) .
- هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة عندما قال « أنزل على محمد وأترك وانا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين فأنزل الله هذه الآية ﴾ ^(٤) .

(١) الأنعام/ ١١٢ (٣) الزخرف/ ٣٢

(٢) القصص/ ٥٧ (٤) مختصر سيرة ابن هشام - ص ٦٨

فظلوا الى جانب حسدهم للرسول ﷺ وكبرهم يرون في هذه الدعوة تهديداً خطيراً لمركزهم ومنافعهم الكبرى بسبب سدانتهم للكعبة » فآلوا على انفسهم منذ ذلك الوقت على أن يبذلوا كل ما في وسعهم للقضاء على هذه الدعوة في مهدها « (١) .

وأعلنوا موقفهم بصراحة من هذه الدعوة قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه . ﴾ (٢) فآخذوا في محاربة هذه الدعوة منذ ذلك الحين بشتى الاساليب الاعلامية .

والركيزة الأساسية التي ينطلق منها اعلام المشركين في مواجهتهم لهذا الدين بينها الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ أراءيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ (٣) كما بين المقصود من أساليبهم الاعلامية بقوله « ويمجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا » (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٥) .

بعض أساليب المشركين الإعلامية :

١ - اتهام الرسول ﷺ بالجنون والكذب وبذل كل الجهود الممكنة لاقناع الرأى العام بهذا الاتهام . قال تعالى : ﴿ وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة إلها واحداً أن هذا الشئ عجب ان نطلق الملاء منهم ان امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا الا اختلاق ﴾ (٦) .

هذه الآية تشير إلى أسلوب من أساليب الدعاية الإعلامية التي قام بها قادة الرأى العام في قريش فرموا صاحب هذه الرسالة بالجنون والسحر والكذب لتشويه سمعته أمام الرأى العام القرشي وللتقليل من شأنه وإثارة المعارضة ضد دعوته ووضع الحواجز النفسية في نفوس العامة لينفروا من الرسول ﷺ ويبعدوا عنه لكى لا يستمعوا إلى الحق فيتأثروا به . « والحق الذي لا مرية فيه أن كبراء قريش لم يصدقوا انفسهم لحظة وهم يقولون عن

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٢٦ (٤) الكهف/ ٥٦

(٢) سبا/ ٣١ (٥) الصف/ ٨

(٣) الفرقان/ ٤٣ (٦) ص/ ٤- ٨

الرسول ﷺ . . أنه ساحر وأنه كذاب إنما كان هذا سلاحاً من أسلحة التهويل والتضليل وحرب الخداع الذي يتقنها الكبراء ويتخذونها لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق^(١) وهذا الأسلوب الذي قامت به قريش ضد الرسول ﷺ يذكّرنا بفرعون قوم موسى وهو واقف يخاطب في قومه يسخر من موسى ويقلل من شأنه ويشير الرأى العام ضده . قال تعالى : ﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾^(٢) وفي هذا دليل واضح أن أسلوب المشركين المعارضين لرسالة محمد ﷺ امتداد ونسخة مكررة من أساليب أعداء الرّسالات السماوية السابقة .

٢ - تشويه صورة المؤمنين :

قال تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالّون ﴾^(٣) .

في هذه الآيات إخبار من الله تعالى بأسلوب من أساليب المشركين وهو السخرية من المؤمنين والإستهزاء بهم . فعندما يمرون بهم يضحكون ويتغامزون إحتقاراً لهم وازدراء وفي هذا تشويه لسمعتهم ودعاية ضدهم وتغيير من دينهم والسخرية التي ذكرها القرآن الكريم من المؤمنين وسوء الأدب معهم والتطاول عليهم وقعت من المشركين « ولكنّها تتكرر في أجيال وفي مواطن شتى وكثير من المعاصرين نشهدا أنّها هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها »^(٤) .

٣ - التشويش الإعلامي قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾^(٥) .

تدل هذه الآية على الجهود التي بذلها قادة الرأى القرشي للصد عن دين الله عندما شعروا بقوة الحق وتأثيره في النفوس « وأنهم عاجزون عن المواجهة بالحجة والمقارعة

(٤) المرجع السابق - المجلد ٦ ص ٣٨٦٠

(٥) فصلت / ٢٦

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٥ ص ٣٠٠٨

(٢) الزخرف / ٥١ - ٥٤

(٣) المطففون ٢٩ - ٣٢

بالبرهان»^(١) فلجؤوا إلى محاولة إقناع الناس بالإعراض عنه وعدم الإستماع إلى الحق الذي جاء به القرآن الكريم أو بالقيام بالتشويش عليه عند سماعه بالكلام الذي لافائدة منه لاجهاض مفعوله وأثره في النفوس .

٤ - تشويه صورة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾^(٢) .

هذه الآيات تلقي ضوءاً على أسلوب من أساليبهم في مواجهة هذه الدعوة وهو « تشويه صورة الرسول ﷺ » وذلك بدعوة الناس للوقوف على حقيقة الرسول ﷺ بطريقة ساخرة فيها تهكم وتشهير بدعوته التي تثير الاستغراب والتعجب لبعدها عن العقل والتصور وهي دعواه « أن الناس يُبعثون بعد الموت ويجزون على أعمالهم في الدنيا » .

وهذا الأسلوب لا يعتمد على أى أساس سوى العناد والظلم « لأنهم كانوا يعلمون أن الرسول ﷺ أصدق خلق الله وأعقلهم »^(٣) .

٥ - التعجيز أمام الرأى العام قال تعالى : ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتي صحفاً منشرة ﴾^(٤) « قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لمحمد ﷺ : ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك رسول الله »^(٥) ومعنى ذلك أنه إذا لم ينفذ هذا الطلب لن يؤمنوا به لأنهم لا دليل عندهم على صدق دعواه أنه رسول من عند الله . وهذا الأسلوب يهدف إلى إقناع العامة بعجز الرسول ﷺ عن إقامة الدليل والبرهان القاطع على أنه نبي مرسل من الله - لأن جميع الأنبياء والرسل كانت ترافقهم معجزات مادية تصدق دعواهم .

٦ - أسلوب طلب التقارب . قال تعالى : ﴿ فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾^(٦) وفي هذه الآية أسلوب جديد اتبعه المشركون عندما شعروا بقوة هذه الدعوة وسرعة انتشارها وهذا الأسلوب هو « الدعوة إلى التقارب بين الإسلام والكفر » على أساس تقديم التنازلات من كلا الطرفين - فهناك الله عن قبول هذه

(٤) المذثر/ ٥٢

(٥) فتح القدير - ج ٥ ص ٣٣

(٦) القلم/ ٨ ، ٩

(١) المرجع السابق - المجلد ٥ ص ٣١٢٠

(٢) سبا/ ٧ ، ٨

(٣) تفسير كلام المنان - ج ٦ ص ٢٦٢

المقترحات وأمره بالثبات على الحق والإصرار عليه - لأن في هذا إشعاراً للأعداء بأن هذه العقيدة متكاملة الأجزاء والصغير منها كالكبير . . لا يجوز التخلي عن شيء منها مهما قَدِّمت له من التنازلات .

وطلبهم للتقارب هذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على أن المشركين عقائدهم مزعزعة . يقول سيد قطب رحمه الله « إنهم على استعداد للتخلي عن كثير منها في مقابل أن يتخلى الرسول ﷺ عن بعض ما يدعونه إليه . . فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق وإنما هم أصحاب ظواهر يهتمهم ان يستردوها » (١) .

٧ - التهديد والأذى للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ (٢) « عن ابن عباس رضى الله عنه في سبب نزول هذه الآية : أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » (٣) وتبع أبا جهل في هذه الأعمال القبيحة غيره من أهل مكة فكان عمه أبولهب من أشد الأعداء والأذى له ﷺ وكذلك زوجه « التي كانت تتعاون معه على الإثم والعدوان . . وتسعى بقدر إمكانها في أذية الرسول ﷺ » (٤) .

قال تعالى : ﴿ تَبَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥) وهذه الآيات التي نزلت في عم رسول الله ﷺ تدل على قوة هذه الدعوة وأن الأساس الذي يقوم عليه الارتباط فيها هو العقيدة « وأما غيره من الارتباطات من عروبة وأخوة وعمومة وبنوة وغير ذلك من الارتباطات لاقيمة له القرآن الكريم فيه دلالة واضحة على هذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِ وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسَلِّنْ لَهُ مَآبِقَهُ لَعَلَّهُ يَكْفُرُ بِآيَاتِهِ وَيَكْفُرُ بِمَا يَكْفُرُ إِنَّهُ فِي سَوَاءٍ مَّحَالٍ ﴾ (٦) وهذا أسلوب اعلامي غير مباشر يعلم قريشاً بأن دعوة الرسول ﷺ ليس المقصود منها أن يسود بنو هاشم على غيرهم وإنما الجميع سواء في هذه العقيدة .

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٦ - ص ٣٦٥٨ (٤) تفسير كلام المنان - ج ٧ - ص ٦٨٥

(٢) العلق / ١٠ (٥) المسد / ١ - ٥

(٣) فتح القدير - ج ٥ - ص ٤٧٠ (٦) هود / ٤٥ ، ٤٦

- وأما أتباع الرسول ﷺ فإن قريشاً عرضتهم لأقصى أنواع العذاب « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ويرمضاء مكة إذا اشد الحر . ليفتنوهم عن دينهم فممنهم من يفتن وممنهم من يعصمه الله منهم »^(١) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾^(٢) هذه الآية وإن كان نزولها في أصحاب الأخدود إلا أن لها علاقة مباشرة بالمؤمنين الذين كانوا يلاقون أشد العذاب من قريش وليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد . وما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ان بطش ربك لشديد ﴾ فالمخاطب هنا الرسول ﷺ .

وهذا الأسلوب غير المباشر كثير في القرآن الكريم وهو واضح في القصص والأمثال القرآنية .

٨ - وعندما فشلت كل الأساليب التي اتبعوها لجؤوا إلى أسلوب آخر وهو فرض الحصار الإقتصادي والإجتماعي على المسلمين « فاجتمعوا واثمروا بينهم وكتبوا صحيفة تعاهدوا وتوثقوا فيها على أن لا ينكحوا للمسلمين ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتباعوا منهم ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم »^(٣).

وفي العصر الحديث لجأت الولايات المتحدة إلى هذا الأسلوب ففرضت حصاراً بحرياً على إيران لمنع وصول الإمدادات الغذائية والإقتصادية وغيرهما إليها وفي نفس الوقت قامت بمساعي جادة لتوسيع دائرة المقاطعة الإقتصادية ضد إيران وخاصة من قبل اليابان وأوروبا الغربية^(٤) وكان هدفها من اتخاذ هذا الإجراء هو الضغط على إيران لإجبارها على الإفراج عن الرهائن الذين احتجزتهم في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ م أو يؤدي ذلك إلى إجهاض الثورة قبل إتمامها . ولا شك أن نجاحها في تحقيق أحد الأمرين يعطي تصوراً خاصاً لما تتمتع به الولايات المتحدة من قوة هائلة في العالم وخطورة معاداتها أو عدم الإعتماد عليها .

(١) تهذيب سيرة ابن هشام - عبدالسلام هارون ص ٦٩ المؤسسة العربية الحديثة ط ٣ .

(٢) البروج / ١٠

(٣) انظر « السيرة النبوية » - لابن هشام - القسم الاول - ص ٣٥٠ شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

(٤) انظر مجلة « اقرأ » السعدية (عدد ٢٥٢) ص ١٥ الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩

ردود فعل الرسول ﷺ تجاه أساليب المشركين :

يختلف رد الفعل من الرسول ﷺ باختلاف الزمان والمكان وذلك حسب ماتقتضيه الحكمة . ففي مكة كانت ردود فعله ﷺ تعتمد على الأسلوب السلبي الإيجابي « الصبر » قال تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا ﴾ (١) فعند ما اشتد الصراع الإعلامي بين الحق والباطل أمر الله تعالى رسوله الكريم « بالصبر » وهو أسلوب سلبي ولكنه من أهم أسباب النصر في الصراع الإعلامي - فامتثل الرسول ﷺ أمر ربه وضرب للناس أروع مثل على الصبر وقوة التحمل « مما كان له أثر عظيم في بث روح التضحية والصبر بين المسلمين لذا كان هذا الأسلوب لا يقل مطلقاً عن الأسلوب الإيجابي من حيث القوة » (٢) والتأثير في ميادين الإعلام والتربية والتعليم وميدان العلاقات العامة إذا روعي فيه التوقيت .

وأما ردود فعله ﷺ على أساليب المشركين بعد هجرته إلى المدينة فيختلف كل الاختلاف عنها قبل الهجرة لأننا عندما نعيد النظر في سبب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة نلاحظ أن السبب الرئيسي هو أن قريشاً تجاوزت الحد في إلحاق الأذى بالمسلمين حتى بلغ إلى ارتداد بعضهم عن الدين وتشريد البعض الآخر . فكان لابد من إيقافهم عند حدهم بأسلوب يتناسب مع مواقفهم وطبائعهم « فأذن الله لرسوله ﷺ وأصحابه بالقتال والإنصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت في إذنه له بالحرب . . . قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (٣) .

ومنذ ذلك الحين أخذ الرسول ﷺ يردُّ بالقوة على المشركين وكل من يقف معها في حربها ضد الإسلام والمسلمين . وكان في هذا الأسلوب إقناع لقريش وأتباعها أن هذا الدين سيعلوا ولاستطيع قوة مهما بلغت من القضاء عليه أو النيل منه .

ثانياً : المنافقون وأساليبهم الإعلامية :

« لم يكن أمام الكافرين والذين لم يدخلوا في الدين الجديد إلا التظاهر بالإسلام والقيام

(١) المزمل / ١٠

(٢) الإعلام في صدر الإسلام - ص ١٢٨ بتصرف

(٣) تهذيب سيرة ابن هشام - ص ١١٦

بأركانهم مع قبائلهم»^(١) واعتمدوا في أساليبهم الإعلامية ضد هذه الدعوة على الكيد والمراوغة وفي بعض الأحيان تظهر منهم مواقف علنية عليها طابع النفاق .
قال تعالى : ﴿ فإذا برزوا من عندك بيئت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا ﴾^(٢) .

« فالمنافقون هم الذين يظهرون غير ما يبيتون . . . وهم اخطر من الكافرين ولهم النصيب الأوفى . . من الإفساد في الأرض »^(٣) قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد »^(٤) .

- ولقد بين الله سبحانه وتعالى الغرض من أساليبهم الإعلامية المجرمة التي اتبعوها في سبيل القضاء على هذه الدعوة بقوله تعالى : ﴿ ودُّوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾^(٥) يقول سيد قطب رحمه الله في معنى هذه الآية « إنهم لم يضلوا أنفسهم فحسب . . . إنما هم كذلك يبتغون إضلال المؤمنين »^(٦) وفي الآية دلالة على أنهم كفار ولو نطقوا بالشهادتين « والذي يكفر لا يستريح لوجود الإيمان والمؤمنين في الأرض ولا بد له من عمل شاق لرد المسلمين إلى الكفر ليكونوا كلهم سواء »^(٧) .

أهم أساليب المنافقين الإعلامية :

إن شر ما مُنيَ به النبي ﷺ في مدة إقامته بالمدينة المنورة هو ترويج شائعات المنافقين . وكان أشد هذه الشائعات على النبي ﷺ حادثتان ذكرهما القرآن الكريم لخطورتهما على هذا الدين .

١ - إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار قال تعالى : ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل والله العزة لرَسُوله

(٥) النساء/ ٨٩

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٦ ص ٣٥٧٣

(٦) في ظلال القرآن - المجلد ٢ ص ٧٣١

(٢) النساء/ ٨١

(٧) نفس المرجع - ص ٧٣١

(٣) الإعلام الإسلامي - ص ٥٩

(٤) البقرة/ ٢٠٥/ ٢٠٤

وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿١﴾ عن زيد بن أرقم قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيها شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال : لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴿٢﴾ وكان سبب هذه المقولة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار في غزوة بني المصطلق فاستغاث المهاجري بالمهاجرين كما استغاث الأنصاري بالأنصار . . فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال ما قال (٣) وله هدفان أساسيان من هذا الأسلوب .

أولاً : الحث على الحصار الإقتصادي للرسول ﷺ وأصحابه كما فعل القرشيون معهم قبل الهجرة حتى إذا اشتد عليهم الجوع لا يجدون مفرأ من الخروج من المدينة والتحول إلى مكان آخر .

ثانياً : حث الأنصار على إلقاء عهدهم للرسول ﷺ بمناصرتة وإخراجه مع المهاجرين من المدينة بالقوة .

وفي هذا دلالة واضحة على ماكان يبيته المنافقون للرسول ﷺ وأصحابه من حقد وعداء شديد .

٢ - حادثة الإفك قال تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (٤) وكان سبب نزول هذه الآية كما هو واضح من كتب التفسير هو إفك بعض المنافقين وبعض المؤمنين الصادقين الذين اشتركوا في هذه الشائعة من أمثال حسان بن ثابت بسبب قوة دعاية المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول على عائشة رضی الله عنها عندما ارتحل عنها الجيش وكانت معهم في بعض الغزوات فمر بها صفوان بن المعطل وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا فبرأها الله مما قالوا ﴿٥﴾ .

(١) المنافقون / ٧ ، ٨

(٢) تفسيرات بن تيمية - ص ٤٢٢ مطبعة - علمي بريس (مالكاؤن) (٥) فتح القدير - ج ٤ ص ١٥

(٣) فتح القدير - ج ٥ ص ٢٣٢ - بتصرف

وسببت هذه الشائعة حرجاً لم ير الرسول ﷺ في حياته أشد منه - حتى جاء الوحي ببراءتها من هذه التهمة الشنيعة .

« ولو نجحت إحدى هاتين الشائعتين في بلوغ الهدف منها لكانت خطراً على الدعوة وصاحبهما وكانت كفيلة بهدم الإسلام في مهده . . ولكن الله حمى هذه الرسالة من جميع هذه الشرور والشائعات » (١).

٣ - ومن أساليبهم الإعلامية في مواجهة هذه الدعوة : إذاعة ونشر كل ما يصل إليهم من أخبار الحرب والسياسة سواء أكانت هذه الأخبار مسرة أو مسيئة مطمئنة أو مثيرة وبثهم لهذه الأخبار وإشاعتهم لها يستفيد منه أعداء هذا الدين مما يعود بالضرر على الإسلام والمسلمين .

قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾ (٢) .

فهذه الآية تندد بأسلوب المنافقين هذا وتبين ماكان يوجب عليه الإخلاص والطاعة والإيمان وهو إعلام الرسول ﷺ وأولى الأمر منهم بالخبر والوقوف عند هذا الحد حيث ينظر فيه النبي ﷺ وأولوا الأمر ويستعينون بأهل الخبرة في الوصول إلى الحقيقة ويتم التصرف بعد ذلك وفقاً لما تقتضيه المصلحة وفي الآية كما نلاحظ تقرير قاعدة إعلامية جلية مستمرة وهي :

أنه ليس لرجال الإعلام أن يقوموا بنشر شيء مما يتصل بشئون الدولة وأمنها وسلامتها إلا بعد رفعه إلى أولى الأمر منهم وعلى أولى الأمر أن يبذلوا قصارى جهدهم لاستنباط الحقائق من الوقائع معتمدين في ذلك على فهمهم للأمور والاستشارة والاستعانة بالخبراء والمتخصصين في تلك الأمور ثم بعد الدراسة والتدقيق يأتي التقرير بما يذاع وينشر وما لا يذاع ولا ينشر حسب ما تقتضيه المصلحة مع مراعاة التوقيت المناسب .

٤ - تحالفهم مع اليهود للقضاء على الإسلام . قال تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ (٣) .

(٣) النساء/ ١٣٨ ، ١٣٩

(١) الإعلام في صدر الإسلام - ص ٧٣

(٢) النساء/ ٨٣

لقد اغتر المنافقون بما رأوه لدى اليهود من أسباب القوة وذلك بسبب قصر نظرهم وسوء ظنهم بالله « فecedوا معهم صلحاً لتوحيد جهودهم وكيدهم في موقف المعارضة والقضاء على هذه الدعوة »^(١).

٥ - تحريض اليهود على الصمود أمام هذه الدعوة : قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾^(٢). وفي هذه الآية دلالة على أن المنافقين كانوا يبذلون كل الجهود في مواجهة هذه الدعوة ومنها تحريض يهود بني النضير على الصمود والتصدي للمسلمين وعدم الخروج من المدينة عندما بعث إليهم الرسول ﷺ يأمرهم بذلك فقاموا أياماً يتجهزون فأرسل إليهم المنافق عبدالله بن أبي بن سلول أن لا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفائكم من غطفان »^(٣).

٦ - بناء مسجد الضرار : قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾^(٤).

وهذه الآية تشير إلى عمل قام به المنافقون وهو بناء مسجد الضرار قرب مسجد قباء بالمدينة المنورة وكان الهدف من إنشائه « الإضرار بالمسلمين والإسلام والكفر بالله وستر المتآمرين على الجماعة المسلمة الكائدين لها في الظلام والتعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت شعار الدين »^(٥).

فنهأه الله سبحانه وتعالى عن القيام والصلاة فيه بقوله « لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »^(٦).

فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه فهدم وحرق وصار بعد ذلك مزبلة . وعلى هذا نستطيع اعتبار جميع المنظمات القائمة في عصرنا هذا على أساس غير إسلامي

(٤) التوبة/١٠٧

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٦ ص ٣٥٧٣

(٥) في ظلال القرآن - المجلد ٣ - ص ١٧١٠

(٢) الحشر/١١

(٦) التوبة/١٠٨

(٣) تفسير كلام المان - ج ٧ - ص ٣٢٥

كالتى تدعو إلى الأمية والشعبوية أو إلى القومية أنها تؤدي ما يؤدي إليه مسجد الضرار من الإضرار بالإسلام والمسلمين وإن كانت ليست من بابه وبين ذلك هو أن المنظمة عادة تتكون من أعضاء يمثلون دولهم وشعوبهم فإذا كان من بين هذه الدول من يعتقد ديناً غير الإسلام أو يطبق نظاماً وشرعاً غير نظام الإسلام وشرعه فإن أعضاء هذه الدولة بلاشك سيزنون الأمور بميزان ذلك النظام وينظرون إلى الأحداث من خلاله وعلى ضوءه . ولكي تحقق هذه المنظمة بعض التقدم والنجاح في المسائل المطروحة يتحتم على الأعضاء الممثلين بها التحلي بالمرونة والاستعداد الدائم للتنازل عن بعض آرائهم ومقترحاتهم حتى تقترب وجهات النظر ويصلون إلى حل وسط في تلك القضايا . وقد تكون هذه الحلول في بعض الأحيان على حساب الإسلام ومخالفة لحكمه مما يضر بصالح الإسلام وأهله .

ومن هنا نعلم أن كل عمل فيه ضرر على المسلمين أو معصية لله أو تفريق بين المؤمنين أو معاونه لأعداء الدين فإنه محرم ومخالف لتعاليم هذا القرآن الذي ينهى عن كل مامن شأنه إضعاف هذا الدين وأهله .

وحركة النفاق هذه التي بدأت بدخول الإسلام واستمرت إلى يومنا هذا كان لها أثر واضح في سيرة هذه الفترة التاريخية . . وقد شغلت من جهد المسلمين ووقتهم قدراً كبيراً^(١) وما يدل على خطورتها ورود ذكرها في القرآن الكريم مرات كثيرة .

ردود فعله ﷺ تجاه هذه الحركة :

المنافقون يشكلون العدو الداخلي المختبئ في الصفوف وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح - والله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ بالحدز تجاه هذا النوع من الأعداء بالذات لخطره قال تعالى : ﴿ فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون ﴾^(٢) ولكنه لم يأمره بقتلهم إلا المنافقين الذين لم يهاجروا إلى الديار الإسلامية فإنه أمر المسلمين بقتلهم حيثما وجدوا قال تعالى : ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولئاً ولا نصير ﴾^(٣) . واستثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق مذكورة في قوله تعالى : ﴿ إلا الذين

(١) المرجع السابق - المجلد ٦ - ص ٣٥٧٢

(٢) المنافقون/٤

(٣) النساء/٨٩

يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴿١﴾ ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى « ويبدو في هذا الحكم اختيار الإسلام للسلم مع المنافقين حيثما وجد مجالاً له لا يتعارض مع منهجه الأساسي من حرية الإبلاغ . . وكفالة الأمن والاستقرار للمسلمين » ﴿١﴾ لذا نرى الرسول ﷺ لم يخرج المنافقين من الصف الإسلامي مع شدة مالاقي منهم من الأذى والصّد عن دين الله - وعندما قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه « مر عبّاد بن بشر فليقتل عبدالله بن أبي عندما كان يحاول الوقيعة بين المهاجرين والأنصار فقال له رسول الله ﷺ « فكيف يا عمر لو تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل . . ثم مشى الرسول ﷺ حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى أذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما » ﴿٣﴾ وهذا الفعل من الرسول ﷺ ليسغل الناس عن الحدث الذي كان بالأمس خوفاً من الفتنة - وهذا أسلوب عظيم من الأساليب غير المباشرة في تحقيق هدف من الأهداف المصرية والهامة بالنسبة للأمة . . وهو أسلوب مستخدم حالياً في إعلامنا المعاصر فنجد وسائل الإعلام لدولة من الدول تركز على حدث من الأحداث لصرف أنظار العالم عن قضية أخرى على جانب عظيم من الأهمية وذلك لغرض معين تريد تحقيقه من وراء ذلك .

ثالثاً : أهل الكتاب وأساليبهم الإعلامية :

« والقرآن الكريم عندما يحدثنا عن أهل الكتاب عموماً واليهود منهم بصفة خاصة نجدهم ناساً لا يتبعون ما أنزل إليهم » ﴿٤﴾ قال تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ﴿٥﴾ فليس غريباً عليهم رفض الدين الجديد قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم

(٥) الجمعة/٥

(١) النساء/٩٠

(٢) في ظلال القرآن - المجلد ٢ ص ٧٣٣

(٣) المرجع السابق - المجلد ٦ ص ٣٥٧٦

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم - محمد عبدالله درّاز - ص ١٥١ - دار الفكر الكويتي

رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴿١﴾ وذلك بسبب الحسد كما هو واضح من قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . . . ﴾ (٢) .

والركيزة الأساسية التي ينطلق منها إعلامهم هو أنهم « يعتقدون أن ليس عليهم حساب بشأن الطوائف الأخرى ولا الإلتزام بالعدل » (٣) وأنهم شعب الله المختار وهذه هي الركيزة التي ينطلقون منها في معادات كل الشعوب والأديان مستخدمين في عدائهم كل الأساليب الشيطانية قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينار لا يؤذيه إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (٤)

ونخبرنا الله تعالى عن موقف أهل الكتاب تجاه هذه الدعوة وهو أعلم بهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ أَتِيَتِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ (٥) وإذا كان الأمر كذلك فإن الذي لا يؤمن بالشئ لا يرتاح لوجوده ومن هنا نعلم أن أهل الكتاب سيذلون كل الجهود المتاحة لديهم للقضاء على هذه الرسالة قال تعالى : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلَوْنَكُمْ وَيُضْلَوْكُمْ بِمَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصْدُقُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبَغَوْهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

والقرآن الكريم عندما أخبرنا عن موقفهم من هذه الدعوة فإنه يخبرنا أيضاً عن المقصود من مقاومتهم لهذا الدين ويضعنا أمام الهدف الحقيقي لأساليبهم الشيطانية انه تحويل المسلمين من دينهم إلى دين أهل الكتاب (٨) .

حتى يكون الجميع سواء في الضلال ولن يرضوا عنهم أبداً حتى يتبعوهم في ملتهم وإلا فهي الحرب والصراع المستمر بين الحق والباطل إلى النهاية قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ .

(١) البقرة/١٠١ (٥) البقرة/١٤٥

(٢) البقرة/١٠٩ (٦) آل عمران/٦٩

(٣) المرجع السابق - ص ١٥١ (٧) آل عمران/٩٩

(٤) آل عمران/٧٥ (٨) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ١٠٠

وعندما نعرف هذا عن أهل الكتاب واليهود منهم بصفة خاصة لانستغرب ماقاموا به من كيد ومكر للقضاء على هذا الدين بشتى الأساليب الإعلامية القولى منها والعملية .

بعض أساليب أهل الكتاب الإعلامية :

كان اليهود يقومون بحملة إعلامية عنيفة ضد الإسلام والمسلمين للتشكيك فيه بأساليب شيطانية تتلاءم مع طبيعتهم التي وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شياطينهم ﴾ وهذه الأساليب فضحها القرآن الكريم في عدة مواطن سنذكر بعضها .

١ - تحريف الكلم عن مواضعه : فكانوا يأولون عبارات التوراة بغير المقصود منها وذلك لأهداف شيطانية المقصود منها « جحود دلالتها على هذه الرسالة الأخيرة ونفى بعض التشريعات والأحكام المنصوصة عندهم والتي يصدقها الكتاب الاخير (القرآن الكريم) .

وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد وتبعاً لهذا على صحة رسالة الرسول

ﷺ » (١)

قال تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه .. إلى قوله ﴾ فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ (٢) .

٢ - التشكيك في مصدر هذه الرسالة : قال تعالى : ﴿ مانسوخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ (٣) .

« إن اليهود كانوا يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف وتغييرها وفق مقتضيات النشأة الإسلامية الجديدة ذريعة للتشكيك في مصدرها » (٤) ويقولون للمسلمين لو كانت هذه الأوامر والنواهي من عند الله لما حصل فيها التغير والتبديل ولقد اشتدَّت حملة التشكيك هذه عندما جاءت الأوامر من الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

فقد كان اليهود يتخذون من صلاة الرسول ﷺ نحو بيت المقدس حجة لهم على صحة دينهم وعندما جاء الأمر بتحويل القبلة شقَّ ذلك عليهم لأن فيه دحضا لحجَّتهم

(١) المرجع السابق - المجلد ٢ ص ٦٧٥ بتصرف

(٢) البقرة/ ١٠٦

(٣) المرجع السابق - المجلد ١ ص ٩٩

(٤) النساء/ ٤٦

« فشنوا حملة واسعة للتشكيك في مصدر الأوامر التي يكلفهم بها الرسول ﷺ وفي صحة تلقيه عن الوحي »^(١) ويبدو أن هذا الأسلوب قد أثار الشكوك في نفوس بعض المسلمين بما جعلهم يسألون الرسول ﷺ عن سبب ذلك النسخ فنزل القرآن يبين لهم أن ذلك يرجع إلى حكمة الله تعالى الذي يختار الأحسن لعباده ويبين لهم غرض اليهود من هذه الشائعات قال تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملثتهم ﴾^(٣).

٣ - التضييل « بالإيمان أول النهار والكفر آخره » : قال تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار واكفروا ءآخره لعلهم يرجعون ... ﴾^(٤).

فاليهود كانوا يعلمون أن المشركين يثقون بهم وكانوا يرجعون إليهم في كثير من المسائل الهامة ويطلبون رأيهم فيها لأنهم أصحاب كتاب قال تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾^(٥) والمقصود بالذين كفروا في هذه الآية هم أهل المدينة الذين دخلوا في الإسلام بسبب تيقنهم بأن هذا هو الرسول ﷺ لأن اليهود كانوا يخبرونهم بقرب ظهوره ولكن اليهود لما علموا أنه الحق كفروا به ولم يؤمنوا به حسدا منهم لأن الرسول ﷺ ليس منهم . فأرادوا استخدام الثقة التي كانت موجودة عند العرب بهم للتشكيك في هذا الدين فقالوا نؤمن أول النهار ثم نرتد آخره فإذا علم العرب والمؤمنون بارتدادنا بعد دخولنا في الإسلام سيشتكون في أمره ويقولون : لو كان هذا الدين حقاً لما ارتد عنه اليهود بعد الدخول فيه وهم أهل كتاب .

واعتقد أن من هذا الأسلوب ما قام به الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميران » من زيارته لفلسطين المحتلة في ٣ مارس ١٩٨٢ م . ومن المعروف لدى الجميع أن المواقف الفرنسية السابقة لعهد « ميران » متضامنة مع الحق العربي والفلسطيني

(١) نفس المرجع - ص ٩٩ (٤) آل عمران/ ٧٢

(٢) البقرة/ ١١٥ (٥) البقرة/ ٨٩

(٣) البقرة/ ١٢٠

والسبب في ذلك ارتباط مصالح فرنسا الوثيق بالعالم العربي . وزيارة « ميران » هذه والتي جاءت عقب عدة تصريحات تعبر عن وجهة نظره تجاه العرب وموقفه من قضية فلسطين والتي من أهمها ذلك التصريح الذي نقلته عنه التايمز اللندنية « في يوم الخميس ١١ سبتمبر ١٩٨١ ونقلته عنها « الجزيرة السعودية » والذي يقول فيه « إنه لن يقف مطلقاً إلى جانب من يريد تدمير إسرائيل » (١) .

وهذا يكون قد أعلم العالم بالقول والعمل بموقف فرنسا وسياستها الجديدة تجاه الشرق الأوسط وأنها لم تعد كما كانت إلى جانب العرب بل تحولت تحولاً كاملاً وأصبحت تساعد وتساند إسرائيل اقتصادياً وعسكرياً لضمان استمرار اغتصابها للأراضي العربية تحت ستار المحافظة على أمن إسرائيل المزعوم .

وبهذا الأسلوب القولي والعملية يكون أيضاً قد أعلم جميع الدول التي كانت تخشى على مصالحها وعلاقاتها بالدول العربية أن موقفها هذا تجاه قضية الشرق الأوسط لا يضر بمصالحها لدى العرب . لأن التجارب أثبتت أن العرب ليسوا في موقف يسمح لهم بالإضرار بمصالح الدول أو التأثير والتأثر بأحداث العالم فهم لا يضرّون عدواً ولا ينفعون صديقاً والدليل ماثل أمامكم من الواقع فهذه فرنسا التي تعتبر من أشد الدول الغربية اعتماداً في اقتصادها على العالم العربي أقدمت على تخطي كل الحدود في معاداتها للعرب بعد أن كانت أفضل صديق لهم ومع هذا لم ولن تتأثر مصالحها كما كان يعتقد كثير من المراقبين السياسيين في العالم .

ولاشك أن عمل فرنسا هذا سيبحث غيرها على انتهاج نفس الخط الذي انتهجته فرنسا دونها خوف أو فزع على مصالحها . وغير مبالية بمشاعر العرب وأحاسيسهم .

٤ - اعانة الأعداء في حملتهم الإعلامية ضد هذا الدين .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ (٢) .

وسبب نزول هذه الآية هو ما أخرجه الطبري والبيهقي في الدلائل عنه قال : « قدم حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف مكة على قريش فخالقوهم على قتال رسول

(١) صحيفة « الجزيرة السعودية » عدد ٣٣٠٣ ص ١ الجمعة ١١ سبتمبر ١٩٨١

(٢) النساء - ٥١

الله ﷺ وقالوا لهم : أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب فأخبرونا عنا وعن محمد قالوا ما أنتم وما محمد ؟ قالوا : ننحر الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونفك العناة ونسقي الحجيح ونصل الأرحام . قالوا : فما محمد ؟ قالوا : صنبر : أي فرد ضعيف قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيح بنو غفار فقالوا : لا بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً»^(١) فأنزل الله هذه الآيات .

وهذا هو شأنهم في الماضي والحاضر وسيظلون يحاربون هذا الدين بشتى الأساليب الدعائية ويعينون أهل الباطل ولا يتركون شيئاً إلا واستخدموه إعلامياً ضد هذا الدين حتى وهم في أضيق الأوقات وأخرجها . فعندما حاصر الرسول ﷺ يهود بني النضير وأمر بتقطيع وتحريق نخلمهم « فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعييه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ »^(٢) فرد الله عليهم بقوله ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾^(٣) « ولكنهم أحياناً لخبثتهم وتمرسهم بالحيل الماكرة وللباسات العصر الحديث يتبعون في ذلك أساليب غير مباشرة »^(٤).

ردود فعله ﷺ تجاه أساليب أهل الكتاب :

فالرسول ﷺ كان يتبع الأسلوب الذي أمره الله به تجاه أهل الكتاب . فإن اليهود بطبيعتهم الفاشية الغليظة وبأفعالهم اللثيمة لا يليق معهم إلا الأساليب التي تعتمد على التهديد والتلويح بالقوة وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ يأياها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴾^(٥) وفي هذا رد على دعاة التركيز على وسائل الإعلام لتغيير الرأي العام الأمريكي وغيره نحو قضايانا العادلة - لأنه لو كان الإيمان والانصياع للحق بتبيينه وتوضيحه « لكنت يهود أول من آمنتم ولكن يهود كانت لها مصالح ومطامح وكانت لها أحقاد وعناد ومن ثم لم تؤمن »^(٦) بالحق لما عرفته . وهذه هي طبيعة أهل الكتاب جميعاً فإنهم لن ينصاعوا الى الحق بمجرد توضيحه لهم

(٤) المرجع السابق - المجلد ٢ ص ٦٨١

(٥) النساء/٤٧

(٦) المرجع السابق - المجلد ٢ ص ٦٧٧

(١) فتح القدير - ج ١ ص ٤٧٨

(٢) في ظلال القرآن المجلد ٦ ص ٢٨٤٦

(٣) الحشر/٥

ولن يغيروا موقفهم من هذه الأمة بسهولة لأن الله سبحانه وتعالى بين لنا هدف أهل الكتاب الذي يجمعهم وهو تحويل هذه الأمة عن دينها ولا يرضون غير ذلك . قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (١).

ومن أجل ذلك نهانا عن موالاتهم وطلب العزة منهم لأن العزة لله جميعاً قال تعالى : ﴿ يأياها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٢).

فكان في هذا النهى حاجزاً نفسياً وضعه الله سبحانه وتعالى بين المسلمين وأهل الكتاب وجاء اليوم وفي عصرنا هذا من الحكام العرب من ينادي ويقول إن الصراع بيننا وبين اليهود هو صراع نفسي قبل كل شيء فإذا استطعنا تحطيم هذا الحاجز جاءت المعجزة وانتهى الصراع إلى الأبد .

ولا يعلم هذا الزعيم « أن الصراع النفسي يحدث دائماً نتيجة لظروف واقعية وموضوعية هي التي تؤدي إليه » (٣) ولا شك أن دعوة هذا الزعيم دعوة للإستسلام لا للسلام ومحاوله لتفريق الأمة الإسلامية وتفقيتها وإضعاف روحها المعنوية وتسليم زمامها إلى اعدائها كما فعل غيره ممن يعتبر قدوة لديه من أمثال « مصطفى كمال أتاتورك » وغيره ممن ابتليت بهم هذه الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والحكمة من ذكر أساليب الأعداء الإعلامية المضادة في القرآن الكريم هي « تعليم الجماعة الإسلامية كل شيء عن طبيعة أعدائها وأساليبهم وتحذيرها من كيدهم ومكرهم وتوجيهها إلى المعركة معهم بقلوب مطمئنة » (٤) .

ومع الأسف فإن المسلمين اليوم هم آخر من يعلم مايدبر لهم من كيد ومكر وخداع . وهكذا يتضح لنا من هذا العرض البسيط للأساليب الإعلامية من خلال القرآن الكريم أن الصراع الإعلامي المرير كان مستمراً بين الإسلام والمعادين من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب . كما يتضح لنا أن انهزام أهل الباطل والمعادين لا يرجعهم إلى الحق كما أن الحق لا يتضاءل أمام باطلهم أو يندحر .

(١) البقرة/ ١٢٠

(٢) المائدة/ ٥١

(٣) المجلة - تصدر في لندن - العدد - ٣٧ - السبت ٣١/٢٥ أكتوبر ١٩٨٠ ص ٧٢

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ٢ ص ٦٧٢

ونلاحظ من تتبعنا لأساليب الإعلام في القرآن الحكم أن الأساليب القولية والعملية استخدمتها كل من الرسول ﷺ والمؤمنين في نشر هذا الدين كما استخدمها اعداء هذا الدين للقضاء عليه والحيلولة دون انتشاره . ولكن أساليب الإعلام عند الرسول ﷺ وأصحابه كانت تتميز عن غيرها بعدة خصائص جعلتها تتم بنجاح تام مهمتها في إظهار دين الله في الأرض رغم كره الكافرين الشديد ومقاومتهم له أعنف مقاومة بشتى الأساليب والطرق الإعلامية وهذه الخصائص هي ما سنعرض لبعضها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

الخصائص

للأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم خصائصه التي تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً ونحن في هذا الفصل نحاول أن نعرض لبعض هذه الخصائص بشيء من الإيضاح .

أولاً : الربانية :

فالأساليب الإعلامية في القرآن الحكيم مصدرها هو الله العليم الخبير بكل شيء قال تعالى : ﴿ وإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ^(٢) ومعنى هذا أنه يحمل في ثناياه علم الألوهية وحكمته ورحمتها وقدرتها « فلا عجب أن تكون هذه الأساليب وافية لجميع ما تتطلبه الإنسانية وقادرة على استيعاب جميع قضاياها في هذه الحياة من العقائد والمعاملات والأخلاق والعبادات وقد روى عن الشافعي أنه قال « ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها » ^(٣) .

وبما أنها من الله فإن أهدافها وأغراضها وما تحمله من رسالة إعلامية تظفر بقدر كبير من الهيبة والإحترام من قبل المؤمنين مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطاتهم الدنيوية .

أمثلة من القرآن :

ومن الأمثلة على ما يتمتع به الإعلام القرآني من هيبة واحترام ما قام به الرسول ﷺ وأصحابه من غزول بني قريظة عند مجاءه جبريل عليه السلام وقد هم أن يضع السلاح بعد الإنتهاء من غزوة الخندق التي وقع فيها نقض العهد الذي كان بين الرسول ﷺ وهذه الطائفة من اليهود

(١) النمل/٦

(٢) ثقافة الداعية - ص ٢

(٣) الفرقان/٦

(٤) الإتقان في علوم القرآن - ج ٢ ص ١٢٦

ومساعدة الأحزاب على حرب المسلمين وأخبره بأن الله تبارك وتعالى يأمره بغزو يهود بني قريظة فأخبر الرسول ﷺ المسلمين بذلك وأمرهم أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فسارع المسلمون الى تلبية أوامر الله ليقينهم بأن الله لا يأمرهم بشيء إلا وفيه جلب مصالح عظيمة لهم أو دفع مضار جسيمة عنهم . فحاولوا أن لا يصلي عليهم العصر إلا ببني قريظة وعندما لم يستطع بعضهم الوصول إليها إلا بعد العشاء الآخرة فإنه لم يصل العصر إلا بها بعد وصوله فاجتمع الصحابة رضوان الله عليهم بالرسول ﷺ على بئر « أنا » وشدّدوا الحصار على بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ « الذي حكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسيب الذراري والنساء فقال رسول ﷺ لسعد » لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة «^(١) وكان هذا العمل الذي أمرهم الله به فيه إعلام لكل من سولت له نفسه أن يغدر بالمسلمين وينقض عهودهم بأن مصيره الفشل والهلاك .

ومن هنا يتضح لنا قيمة هذا الأسلوب في الإعلام وما فيه من جلب الخير ودفع الضر عن المسلمين . فلذلك كانوا يسارعون في تنفيذ كل ما جاء من عند الله من أوامر ونواهي وبأسرع وقت ممكن لأنهم يعلمون أن في ذلك خيري الدنيا والآخرة . وهذه الحادثة أشار إليها القرآن الكريم بقوله ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ .

أما الأساليب الإعلامية التي من وضع البشر فإن رسالتها الإعلامية لا تنظر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة لأن مصادرها بشرية فلا بد أن تكون أهدافها متأثرة بأهوائهم وأغراضهم الشخصية مما يجعل النفوس تجرؤ على معارضتها وعدم تقبلها كل ما رأت في هذه المخالفة تحقيقاً لرغبتها وإرضاء لشهواتها .

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول من تحريض لقومه على إخراج المهاجرين من المدينة مستقلاً ما وقع بين المهاجرين والأنصار من خلاف عند « ماء المريسيع » في غزوة بني المصطلق وكان هذا موقفاً إعلامياً مناسباً لتحقيق أهدافه فخطب فيهم وهو يقول « هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو

(١) مختصر سيرة بن هشام ص ١٧٨

(٢) الأحزاب ٢٦ ، ٢٧

أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم»^(١) ولكنه لم يفلح في إخراج المهاجرين من المدينة بهذا الأسلوب الحقير الذي يخدم أهواءه وأغراضه الشخصية وهي الحصول على السلطة التي كان يعتقد أن الرسول ﷺ والمهاجرين هم السبب في انتزاعها منه ولا سبيل إلى الحصول عليها إلا باخراجهم منها .

وكاد هذا الأسلوب أن يؤدي به إلى الهلاك المحقق من قبل قومه بل من أقرب الناس إليه وهو ابنه عبد الله لولا أن الرسول ﷺ لم يأذن بذلك محافظة منه على شعور الأنصار قال تعالى : ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾^(٢) .

ولقد حاول القرشيون وأهل الكتاب بشتى الأساليب الإعلامية النيل من هذه الدعوة ولكنهم فشلوا كل الفشل في تحقيق شئ من أهدافهم لأن هدفهم الوحيد هو تحقيق مصالحهم الشخصية فلا تلقي رسالتهم الإعلامية أى احترام أو استجابة من قبل المستقبلين لها .

مثال آخر من الواقع :

وبعد أن القينا بعض الضوء على هذه النقطة ينبغي لنا أن نأتي بمثال من الواقع لكي تكتمل الصورة وتتم الفائدة » فمن المعروف أن العرب قبل الإسلام كانوا مولعين بشرب الخمر لا يجدون فيه منقصة ولا منكرأ وبعد ظهور الإسلام استمر المسلمون على شربه . . ولكن بسبب ما يترتب على شربها من مفساد دينية ودنيوية يدعو إلى ضرورة تركها والإبتعاد عنها جاءت الأوامر من الله تدعو إلى ذلك قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾^(٣) فكان لهذا الأمر قوة هائلة في معالجة هذه القضية تفوق قوة جميع الأساليب الإعلامية الوضعية القولية منها والعملي » عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما أنا أدير الكاس على بن ابي طالب وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجاجة حتى مالت رؤسهم من خليط بسر وتمر فسمعنا منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى اهرقنا الشراب وكسرنا الغلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد وإذا رسول الله ﷺ يقرأ « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر . . »^(٤)

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٦ ص ٣٥٧٦

(٢) المنافقون/٧

(٣) المائدة/٩٠

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري ص ٣٧ - ج ٧ - دار المغرب - بيروت .

ولقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا تخليص مواطنيها من شرب الخمر فأصدروا قوانين بتحريمه وقبل تنفيذ هذه القوانين قاموا بحملة دعائية تمهيدية استخدمت فيها جميع الأساليب الإعلامية المتطورة ولكن هذه الحملة فشلت فشلاً ذريعاً ولم تستطع أن توجد القنوات داخل النفوس بأضرار الخمر وبالتالي قاموا بمخالفة تلك القوانين فزاد الإدمان على شرب الخمر وبلغ في الولايات المتحدة عشرة ملايين وفي بريطانيا مليوناً وفي فرنسا أربعة ملايين^(١) فألغت هذه الدول قوانين المنع لعدم جدواها .

وهكذا يتضح لنا مدى القدسية والإحترام لما تحمله الأساليب القرآنية من أوامر ونواهي وتوجهات عند المسلمين لأنهم يدركون ما تحمله من خير وسعادة في الدارين . فاكسبت بذلك الفاعلية والتأثير والتوجيه والتغيير مما لا يوجد في غيرها من الأساليب الوضعية مهما كان حالها من القوة والتطور .

ثانياً : التوافق وعدم التناقض :

إذا تأملنا في معاني القرآن الكريم وأجلنا الفكر فيها فانا سنجد أن الأسس والمبادئ والأهداف والتقريرات الإيمانية والأخلاقية متسقة متطابقة تامة الانسجام والإحكام يؤيد بعضها بعضاً بالتصديق ويشهد بعضها للبعض الآخر بالتحقيق ولو كان ذلك من عند غير الله لاختلفت الأحكام وتناقضت المعاني وأبان بعضها عن فساد الآخر .

يقول المودودي رحمه الله في هذا المعنى « نرى القرآن الكريم يضع أمامه هدفاً بعينه لا يتغير سواء حين يتحدث عن قصة خلق السماوات والأرض أو حين يشير إلى ظواهر الكون أو يأتي بحوادث من واقع التاريخ البشري »^(٢) وبذلك تعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور فلذلك قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾^(٣) .

قال قتادة في معنى هذه الآية « إن قول الله لا يختلف وهو حق ليس فيه باطل وإن قول الناس يختلف . . وقال ابن زيد القرآن لا يكذب بعضه بعضاً ولا ينقض بعضه بعضاً ما جهل الناس من أمره فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم »^(٤) .

(١) الخمر بين الطب والفقه - محمد علي البار ص ٦ - مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) تفهيم القرآن المودودي ص ١٢

(٣) النساء/ ٨٢

(٤) تفسير الطبري - ج ٥ ص ١١٤

وقال الزجاج « ولولا أنه من عند الله تعالى لكان فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه (وهو كثير) مختلفاً بعبثه حق وبعثه باطل لأن الغيب لا يعمل به إلا الله تعالى » (١) .
ومن هنا يتضح لنا الفارق العظيم بين الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والأساليب الإعلامية التي هي من وضع البشر كل الوضوح في جانب أهدافها وتنفيذها في جميع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكل ما يأتي من البشر إذا أمعنا النظر فيه سنجد مليئاً بالخلط والتناقض فيما هو حق وما هو باطل وما هو خير وما هو شر وما هو صواب وما هو خطأ مما يؤدي إلى الاختلاف والتناقض في الآراء والأهداف وذلك لأن الإنسان مختلف أحواله فتختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك اختلافاً في كلامه وآرائه بالضرورة فلا يصادف إنسان يتكلم أو يعمل في مدة طويلة على غرض واحد وطريقة واحدة .

ويقول سيد قطب رحمه الله في هذا المعنى « فها من نظرية بشرية وما من مذهب بشري إلا وهو يحمل الطابع البشري . . جزئية النظرة والرؤية . . والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو الخطة التي تؤدي إلى الإصطدام بين مكوناتها إن عاجلاً أو آجلاً . . وهذا ناشئ من طبيعة الإدراك البشري المحدود ومن الجهل البشري بها وراء اللحظة الحاضرة فوق جهله بكل مكونات اللحظة الحاضرة . . . وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل الثابت الأصول ثبات النواميس الكونية » (٢) .

الذي يهدف إلى تحقيق غرض معين يحكم مبادئه ويحدد العلاقات بين أجزائه بل هذا الهدف هو السبب في وجود هذا الأسلوب الإعلامي أصلاً لذا لا نجد تناقضاً أو تعارضاً من شأنه أن يحد من فاعلية هذا الأسلوب أو قدراته على الإقناع والتأثير كما هو الحال في الأساليب الإعلامية الوضعية والسبب في ذلك ان الهدف العام من هذا الأسلوب يعتبر قيداً له .

ثالثاً : الواقعية :

المفروض في الأساليب الإعلامية المعاصرة أن تكون متلائمة مع تقدم المجتمع وحضارته في القرن العشرين فتلبي حاجاته الأساسية مع اعطاء صورة صادقة عن أخلاقه وعاداته وتقاليده وذلك كله لا بد أن يكون من واقعه وأن تعتمد في تأثيرها وتقدمها على تقصّي الحقائق وتدوينها بأمان ثم نشرها بواقعية وأمان . فتتسم بالصدق والنزاهة وعدم هتك أسرار الناس وعدم

(١) تفسير أبي السعود - أبي السعود - ج ١ ص ٧٤٤ مطبعة السعادة القاهرة

(٢) في ظلال القرآن - المجلد ٥ - ص ٧٢٢

المجاملة والإنحياز فيكون لها بذلك تأثيراً وفاعلية في توجيه المجتمع التوجيه السليم وتؤدي الغرض منها بفاعلية ونجاح تام فتلبي حاجات المجتمع وتعكس تطلعاته للحياة ولكن مع الأسف لا توجد في العصر الحديث أساليب إعلامية خالية من الذاتية فجميع الأساليب توضع بعناية تامة وبعد دراسة مستفيضة لغرض استخدامها لأهداف معينة بصرف النظر عن مدى صلاحية هذه الأهداف وواقعيتها ولا يمكن لأي إعلام مهما كانت أساليبه أن تكون خالية من الذاتية وذلك لأن العلوم الإنسانية منتمية إلى أوطان أو أشخاص أو مذاهب لهذا فإن التغيير ملازم لها فكلما تغيرت الأفكار والأزمان والأشخاص تغيرت هذه العلوم وتعددت وتباينت من هنا يمكننا القول بأن الضلال والانحراف الفكري لم يأت من العلوم الطبيعية بل جاء من العلوم الإنسانية لأن فرصة الكذب والخرافة أوسع والإعلام وأساليبه مرآة لهذه العلوم فكلما تعددت العلوم والأفكار وتباينت تعددت أساليب الإعلام تبعاً لها فتقلب الحقائق حتى تتلاءم مع الأهداف والأغراض ولا يستطيع أى إعلام أن يتسم بالحياد والموضوعية في مضمونه مهما كان هذا الإعلام متقدماً لأنه لو حاول ذلك لواجه « العقوبة » الصارمة من الحكومة أو الحزب الحاكم كما أنه قد يتعرض لغضب الجماعات والنقابات والهيئات والأحزاب التي تريد منه أن ينضم إليها^(١).

ولذلك فإن اختيار طريق الواقعية بالنسبة للموضوعات الإعلامية في مجموعها يشكل خطراً على هذا الإعلام ويجعله في موقف صعب لا يحسد عليه .

الواقعية في الإعلام القرآني :

أما الإعلام وأساليبه في القرآن الكريم فإنه يختلف كل الاختلاف عن غيره من أنظمة الإعلام وأساليبه لأنه من الله الذي لا تخفى عليه خافية قال تعالى : ﴿ الذي يعلم السر وأخفى . . ﴾ فلا يخضع لفلسفة دون فلسفة ولا لجنس دون جنس ولا لنظام دون نظام فهو موضوعي في كل شيء بعيدة مواضعه عن الأهواء والأغراض الذاتية لأن هدفه الوحيد هو هداية الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وإلى مافيه صالح البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة .

ومن هنا يمكننا القول بأن الأساليب الإعلامية في القرآن جاءت لتثير الطريق وتذكر

(١) فن الخبر - محمود آدم - ص ٢٢٠ - ط ١ بتصرف

بالحقائق مهما كانت هذه الحقائق . وحتى يتضح ذلك يحسن بنا أن نشير الى بعض الأمثلة من القرآن الكريم على هذه الواقعية .

١ - فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنها يساقون الى الموت وهم ينظرون وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ (١) .

فهذه الآية نزلت لتبين حقيقة المسلمين وخوفهم من قتال العدو في غزوة بدر الكبرى عندما خرج رسول الله ﷺ من المدينة طالباً لغير أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فعلمت قريش بخروج الرسول ﷺ فخرج أبوجهل ومقاتلوا مكة ليدبوا عنها وأخذ أبوسفيان بالغير طريق الساحل فنجت وجاء النفير فوردوا ماء بدر فشاور رسول الله ﷺ أصحابه وقال لهم إن الله وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فوافقوا (٢) ولكن آمأهم كانت معلقة بطائفة العير لأنها كسب عظيم لامشقة في إحرازه لضعف الحامية فلما ظهر لهم أنها فاتتهم وعلموا أن الطائفة « الموعودة » هي النفير وأن القتال لابد منه صعب عليهم ذلك وأخذوا يتذرعون إلى رسول الله ﷺ ويتوجعون حتى أن الله وصف حالهم بقوله « كأنها يساقون إلى الموت وهم ينظرون » وفي هذا تصوير بالغ للواقع الذي كان عليه المسلمون في ذلك الوقت العصيب مع أن هذا الخوف الذي كانوا فيه لاداعي له لأن الله قد وعهم بالنصر مهما كان حالهم .

« فعن أبي أيوب الأنصاري قال : قال : رسول الله ﷺ وسلم ونحن بالمدينة » إني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغمناها ؟ فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال ماترون في قتال القوم ؟ فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا : لا والله مالنا طاقة بقتال العدو ولكننا أردنا العير ثم قال : ماترون في قتال القوم ؟ فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو إذاً لآنقول يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى « إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون قال : فتمنينا معشر الأنصار أن قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم وقال : فأنزل الله على رسوله ﷺ » كما أخرجك ربك من بيتك

(١) الأنفال/٥-٧

(٢) تفسير القاسمي - محمد جمال الدين القاسمي ص ٢٩٥٤ - ج ٨ - عيسى البابي الحلبي

بالحق»^(١) فهذه الآيات ذكرت واقع المسلمين وموقفهم من قتال أعداء الدين وما كانوا فيه من خوف وتردد لا لتوبيخهم أو تشويه صورتهم وإنما اعتبر هذا الموقف منهم موقفاً إعلامياً صالحاً لأن يتلقى فيه المسلمون درساً هاماً يفيدهم في حياتهم المستقبلية فذكرهم بسوء موقفهم هذا وبضعف ثقتهم بالله وبنبيهم لئلا يقع ذلك منهم مرة أخرى .

٢ - ومن الواقعية في الإعلام القرآني وأساليبه أن الرسول ﷺ كان مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام فجاءه رجل أعمى يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله فضجر رسول الله ﷺ منه وعبس في وجهه وأعرض عنه فنزل القرآن الكريم يتكلم عن الواقع ويعلن الحقيقة ويعاتب رسول الله ﷺ عتاباً شديداً ولم يستر عليه أو يبرر موقفه هذا من الرجل الأعمى الضعيف قال تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتفتنعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة .. » عبس/ ١-١١

ويقول سيد قطب رحمه الله « إنها المرة الوحيدة في القرآن كله يقال للرسول ﷺ « كلا » وهي كلمة ردع وزجر في الخطاب ذلك لانه الامر العظيم الذي يقوم عليه هذا الدين »^(٢).

وهو أن الميزان الذي أنزله الله للناس مع الرسل ليقوموا به القيم كلها هو إن أكرمكم عند الله أتقاكم « وأنه لأفضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى فكان ماوقع من الرسول ﷺ فيه خرق لهذا الميزان العظيم فكان لا بد من تنبيهه وإعلام الناس بالميزان الحقيقي ميزان الله الذي لا ينظر إلى الصور والأشكال وإنما إلى الأعمال الصالحة التي يراد بها وجهه تعالى .

ولم تقتصر الأساليب الإعلامية في القرآن على مراعاة الواقعية في بعض الأحداث وإغفالها في البعض الآخر فكما أنه القى الضوء على بعض المواقف التي أخطأ فيها المسلمون وحذرهم من تكرارها فإنه أيضاً القى الضوء على بعض المواقف الحميدة

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ص ٥٥٥ ج ٣ - دار الشعب القاهرة .

(٢) في ظلال القرآن - ص ٣٨٢٤ - المجلد ٦

التي وقعت من بعض الصحابة الأجلاء فمن ذلك إشادة القرآن الكريم ببعض مناقب أبي بكر الصديق وموقفه العظيم في نصرته الحق في جميع الأوقات والمواطن .
قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ (١).

ففي هذه الآيات عتاب للمسلمين ومابدا منهم في غزوة تبوك من تردد في الخروج مع رسول الله ﷺ وفي سياق هذا العتاب لم يغفل القرآن استثناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويذكر الحقيقة من واقع مواقفه التي كان يتميز بها عن غيره من الصحابة الأجلاء فيقول « ثاني اثنين إذ هما في الغار » فالقرآن الكريم في هذه الآية نصّ على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحد الإثنين الذين توجهوا إلى الغار ودخله فهما سواء في هذا الموقف العصيب وفي التعرض لما يكون من الكفار لو عثروا عليهما .
« والمساواة في هذه الإحتجابة تشهد لأبي بكر بتمام الإستعداد للتضحية من إيمان كامل وعزيمة صادقة وبذل للروح عن طيب خاطر في مؤازرة الرسول ﷺ » (٢).

وذكر واقع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحقيقة موقفه في مناصرة الدعوة من أول مهدها إلى أن أظهرها الله تعالى فيه تشجيع له ورفع لمعنويته وإعلام للمسلمين بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً فلتكن أعمالهم مثل أعماله ومواقفهم مثل مواقفه في الإقدام على الحق وعدم التردد أو الخوف من مناصرته .

ومما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم كان موضوعياً وواقعياً في جميع أخباره ، ولكن هذه الموضوعية وتلك الواقعية لم تصرفه عن بيان الحق وتوضيحه في كل ما ينقله لنا من موضوعات لأن نقل الواقع المجرد دون توضيح الحق فيه يعتبر تضليلاً إعلامياً وحجباً للحقيقة ومع الأسف فإننا نرى في الوقت الحاضر كثيراً من المفكرين الإعلاميين ينادون بضرورة الواقعية المجردة في نقل الأخبار والموضوعات دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى فيها لأن ذلك في نظرهم قد يؤدي إلى قلب الحقائق أو حجبها أو تأويلها حتى تتلاءم مع أفكار المحللين وتخدم أهدافهم وأغراضهم الشخصية .
وهذا وإن كان فيه شيء من الصواب إلا أن الأخبار والموضوعات إذا نقلت أيضاً

(١) التوبة/٤٠

(٢) نفحات القرآن - عبد اللطيف السبكي - ج ٣ - ص ٤٥ - يصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

بكل مافيهما من محاسن ومساوىء فإن القارىء قد يصعب عليه التمييز بين الحق والباطل وربما كان الباطل أقوى حجة وأظهر بياناً فأخذ به .

فإذا لابد من الجمع بين نقل الحقائق بواقعية تامة وأمان ثم التعليق عليها وإظهار الحقيقة مهما كانت هذه الحقيقة . وهذا لا يمكن تحقيقه الا إذا أوجد رجل الإعلام المسلم الذي يتقيد بأوامر الله ونواهيه ويهتدي في سلوكه وعمله بالهدى الإعلامي في القرآن الكريم فيتحرى الصدق في الأخبار والموضوعات ثم يدرسها بعناية ويدرس مدى جدواها الإعلامية ثم ينقلها بواقعية وأمان مع إظهار الحق في هذه الموضوعات التي يقدمها مدعومة بالأدلة والبراهين كما هو الشأن في الإعلام القرآني وعندها سيأخذ الإعلام مكانه الحقيقي في قيادة الرأي العام للوصول به إلى الغاية الشريفة التي أنزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها وهي إرشادهم إلى مافيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة - وهذه الغاية هي التي سنعرض لها بالذكر في الخوصصة التالية إن شاء الله تعالى .

رابعاً : شرف القصد :

إن الأسلوب الإعلامي الناجح المؤثر هو الذي يقوم على شرف القصد والأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم جمع بين الهداية والحكمة والموعظة الحسنة والإصلاح التوجيهي والتربوي والتشريعي وكل مامن شأنه أن يسعد البشر أفراداً وأسرراً وجماعات ودولاً في دينهم ودنياهم .

والمتتبع للقرآن الكريم وأساليبه يدرك بوضوح مدى سيطرة هذا المفهوم على الأفكار والأغراض التي يهدف إليها ولذلك وصفه الله تعالى بقوله ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ (١) .

فهذه الآية توضح وتبين القصد من إنزال القرآن الكريم وهو هداية الناس إلى أفضل السبل وأصلحها وتبشير المؤمنين الصالحين بالأجر الكبير وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم في الآخرة . ويفهم من هذه الآية أن هدى القرآن شامل لصلاح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة معاً كما أنه عام لجميع الناس .

ويقول سيد قطب رحمه الله في معنى هذه الآية إن القرآن الكريم « يهدي للتي هي أقوم

(١) الإسراء/٩

في عالم العبادات وبالموازنة بين التكاليف والطاقات . . . ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وأزواجاً وحكومات وشعوباً ودولاً وأجناساً ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لاتتأثر بالرأى والهوى . . ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها وتعظيم مقدساتها وصيانة حرمتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووثام «^(١) فاكسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان .

من هنا نعلم أن الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم يبني ولا يهدم يصون ولا يبدد يرفع راية التعاون على البر والتقوى ويصون نفسه عن الدنيا والخوض في الأعراض والحرمات وتلوث سمعة الأبرياء قال تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(٢).

ففي هذه الآية بيان لما أعده الله للذين يحبون أن تشيع الفاحشة وأفعال القبح بين المؤمنين فأخبرنا الله سبحانه وتعالى عما أعد لهم يوم القيامة من عذاب مؤلم وذلك بسبب غشهم لأخوانهم المسلمين ومحبة الشر لهم وجراءتهم على أعراضهم فإذا كان هذا الوعيد الذي ذكر في الآية لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب فكيف بما هو أعظم من ذلك من اظهاره وفعله ؟

« وأسلوب الآية ينطوي على تلقين قوى عام الشمول والاستمرار بوجوب الوقوف من مثل تلك الفتنة التي تحب أن تشيع الفاحشة في أوساط المسلمين موقف الشدة - والتأديب والتنكيل في كل ظرف ومكان وهذا فيه مافيه من الحق والحكمة »^(٣) وقال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾^(٤) فالآية تنهي الناس عن اتباع ما لا يعلم وتأمروهم بالتثبت في كل ما يقال ويفعل . ويقول طنطاوي جوهرى في تفسيره لهذه الآية « فلا تقل رأيت ولم تر ولا سمعت ولم تسمع ولا علمت ولم تعلم ولا تقل في أحد ما ليس لك به علم ولا تتبعه ولا تتكلم فيه بالحدس والظن »^(٥) لأن الإنسان مسئول أمام الله تعالى عن كل ذلك فحقيق بالعبد الذي سيسأل

(٢) النور/ ١٩

(١) في ظلال القرآن المجلد ٤ ص ٢٢١

(٣) التفسير الحديث - حمزة عزة دروزة ص ٣٣ ج ١٠ - مطبعة عيسى البابي الحلبي

(٤) الإسراء/ ٣٦

(٥) الجواهر في تفسير القرآن - طنطاوي جوهرى - ص ١١ ج ٩ - مصطفى الحلبي - ط ٢

عما قال وفعل أن يعد للسؤال جواباً وذلك لا يكون إلا بكفها عما يكره الله سبحانه وتعالى من الأقوال والأعمال الذميمة .

ويفهم من هذه الآية الكريمة النهي عن التقليد الأعمى في كل الأمور ومنها الإعلام وأساليبه فلا تتبع النظم الإعلامية ولا تقلدها في كل ما تشيعه وتفعله فأغلب هذه النظم قائم على كشف أعراض الناس وقذفهم والمساعدة على اشاعة الفاحشة وإثارة البغضاء بينهم . ومع الأسف فإن الإعلام العربي اليوم معظم مادته مستوردة من الوكالات العالمية والتي قامت على تبني هذه الأنظمة وخدمة أهدافها ولذلك فإنها لا ترحي إلى الاعلام العربي وأجهزته إلا بما يتمشى مع أغراضها وأهدافها في تفكيك هذا المجتمع وإضعافه .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (١) .

ففي هذه الآية أيضاً نهى الله عز وجل المؤمنين عن كثرة الظن السيئ لأن الظن غالباً ما يكون خالياً من الحقيقة كما نهى عن التجسس والتفتيش عن عورات المسلمين ونهى أيضاً عن الغيبة وهي كما قال رسول الله ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه » .

فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة - القرآن ومنهجه الدقيق في الإعلام فلا جرى وراء الفضائح لجعلها حديث الغادي والرائح ولا إسراع بنشر نبأ قبل التثبت من جلية الخبر وتقدير العواقب في جانب الفرد والمجتمع إذا شاع وذاع . ولا اشتغال بالتافه من الحديث مع العابثين بالقيم ولا مبالغة في قتل الوقت ولا استهتار بعقلية الجماهير ولا استشارة لميولهم الدنيا وغرائزهم السفلى .

وبذلك نعلم أن الغرض الشريف والهدف النبيل من الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم هو الوصول بالناس إلى أعلى مستوى ممكن من الكمال . . بحيث تكون تصرفاتهم وأفعالهم وأفكارهم وميولهم وفق المنهج الذي أراده الله وقد تحقق ذلك كله في رسول الله ﷺ لذلك أمرنا الله تعالى بالتأسي به (٢) قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٣) ولقد ساهم هذا المفهوم في أهمية هذه الأساليب وفعاليتها وقدرتها على التأثير والتغيير والتوجيه .

(١) الحجرات/١٢

(٢) انظر « أصول الدعوة » - ٦٨

(٣) الممتحنة/٦

أما الأساليب الإعلامية في العصر الحديث فإن الغرض الأساسي منها هو تأريث الأحقاد بين الطبقات وإثارة الفقراء على الأغنياء وتحريض الأقليات على الأكثرية وبعث النعرات والعصبية وتقديس تراب الأرض وتفضيله على رابطة العقيدة - كما أنها تنفخ أبواق الحرب في غير قضية ولا هدف سوى إرضاء الساسة وسماسرة السلاح الجشعين . كما أن الإعلام في العصر الحديث من أهم أغراضه محاربة السلطة وصرف النظر عن أخطائها وخطاياها من أجل قليل من المال زد على ذلك أن أكثر نظم الإعلام تقوم على تبني الدعوات الشاذة والمبادئ الهدامة التي تفتك بروح المجتمع وتعمل بأوامر الملحدّين فتشغل ملايين الشباب بأمور تافهة عن الإهتمام بقضاياهم المصيرية ومشاكلهم الحياتية الرئيسية والتفكير في مستقبل أيامهم وأيام أمهم .

فهذه الدعوات الضالة والرموز المهتزة والمعرفة التي يتضمنها الإعلام اليوم لا يمكن أن تكون مخلصاً أمينة لأنها قائمة على التعصب الذميص للتراب أو للون أو للعرق . ولا سبيل للمسلمين اليوم في الخلاص من هذا الضلال والإضلال الذي يعيشونه إلا بالعودة إلى المصدر الحقيقي الثابت الذي لا يتغير ومحاولة الاستفادة من هديه في الإعلام وأساليبه « عندها لم يبق مجال لهذا الضياع وهذا الوهم وهذه الخرافة في عالم الأفكار ولم يبق مجال للظن والشبهة والفروض الوهمية في عالم البحوث والعلوم^(١) فإذا فعلنا ذلك فسيكون لدينا منهج إعلامي أساسه البحث عن الحقيقة مهما كانت بلا إثارة أو افتعال وتقديمها بأسلوب واقعي بلا انفعال أو تشنج وبروح علمية لا تهويل فيها ولا تجريح ، إعلام يحترم الطرح الموضوعي والعلمي احترامه للعقل البشري الذي كرمه هذا الدين الحنيف ، إعلام يبيّنه الأرض الإسلامية على امتداد مساحاتها وتعدد مواطنها وما تحتضنه من تراث إنساني رائع ، إعلام يحترم القيم النبيلة والأفكار البناءة يسعى بذلك كله إلى عقل القارىء ووجدانه .

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٤ - ص ٢٢٢٧

الباب الثاني : نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره .

أولاً : أسلوب الخبر في القرآن .

ثانياً : أسلوب القصة في القرآن .

ثالثاً : أسلوب المثل في القرآن .

رابعاً : أسلوب الحكيم في القرآن .

الفصل الثاني : بعض طرق تأثير القرآن الكريم .

أولاً : ذكر الحقيقة .

ثانياً : التوليد .

ثالثاً : التدرج .

رابعاً : التذكير .

خامساً : التكرار .

سادساً : التشويق .

« الباب الثاني »

نماذج من الأسلوب الاعلامي في القرآن وطرق تأثيره

عمل القرآن الحكيم من خلال إعلامه عن أغراضه المختلفة بالعديد من الأساليب وطرق التأثير . بعضها أشرنا إليه في الباب الأول والبعض الآخر لم نشر إليه . . والجدير بالذكر أن هذه الأساليب تارة تكون متداخلة وتارة تأتي على شكل انفرادي حسب ما تقتضيه الحكمة الإعلامية . وهي في كلتا الحالتين أساليب أصيلة لا غنى لأى إعلام عنها في جميع الأجيال . والباحث يستعرض في هذا الباب نماذج أخرى من أساليب القرآن الإعلامية وبعضاً من طرق تأثيره محاولاً بذلك إعطاء صورة أوضح عن الأسلوب الاعلامي في القرآن .

الفصل الأول

نماذج من الأسلوب الاعلامي في القرآن

أولاً : أسلوب الخبر :

أهمية الخبر الإعلامي :

إن أهمية الاخبار ليست وليدة العصور الحديثة وإنما هي قديمة قدم الدهر لارتباطها بالصفات الإنسانية والاجتماعية في نفوس البشر . ورغبة الإنسان في معرفة الأخبار ناشئة عن طبيعة أصيلة لديه وهي أنه يكره الألغاز ويضيق ذرعاً بالمعميات وذلك أن تطوره كامن في كل ما هو معلوم فإذا أضاف جديداً إلى معلوماته ازداد يقيناً وإدراكاً لعالمه وازداد اطمئناناً وسار خطوات على درب التقدم » وقد جاء في كتاب تاريخ التيمس - وهي صحيفة انجليزية مشهورة : أن الخبر هو تسجيل لمحاولات الفرد المثابر نحو اختراق رداء ذلك الغموض بعيد المدى الذي يكتنف أفقه ^(١) وهذا التعريف يوضح مالمدى الإنسان من الفضول وحب الإستطلاع على كل مايجري ويحدث حوله . وإذا راجعنا القرآن الكريم نجد مصداقاً لهذا التطلع قال تعالى : ﴿ ولنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوؤ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ^(٢) ، فقد كان حب الإستطلاع هذا هو الذي أدى بهم إلى ارتكاب أول خطيئة في الجنة وذلك أن الشيطان جعله مدخلاً للتأثير على آدم وحواء وإقناعهما بالأكل من الشجرة حيث أخبرهما بأنها شجرة الخلد والملك الذي لا ينتهي أبداً وبدافع من حب الإستطلاع والوقوف على الحقيقة أكلا من الشجرة ووقعوا في الخطيئة التي كانت سبباً في إخراجهما من الجنة .

(١) دراسات في الفن الصحفي - ابراهيم امام - ص ٩٥ - الانجلو المصرية .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٥ ، ٣٦ .

ويقول محمد عطا في كتابه « الأسلوب الإعلامي والعلاقات العامة » « إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من غير أن يلم بالأحداث التي تتصارع من حوله سواء في محيطه أو المحيط العالمي كما أنه لا يستطيع أن يحيا من غير أن يجدد ويزيد معارفه وثقافته وإلا أحس بالجمود والركود وبالرتابة والملل » .

لهذا أصبحت اهتمامات الناس وتلبية رغباتهم هي شغل الإعلاميين الشاغل فقد حرصوا على التأكيد على ضرورة جمع الأخبار الداخلية والخارجية التي يهتم بها الناس وصياغتها بالأسلوب الذي يشبع هذه الاهتمامات ويرضيها مهما كانت هذه الاهتمامات رفيعة أو ضيعة . فجميع الإعلاميين يتمسكون في تعريفاتهم للخبر الإعلامي « باهتمام الناس » كشرط أساسي لإطلاق صفة الخبر على كل وصف أو تقرير عن حدث بدون قيد لهذا الإهتمام أو تمييز .

« ولقد لعب هذا الشرط دوراً خطيراً في حياة المجتمعات إذ أدى إلى انصراف هذه الأجهزة عن الأخبار الجادة المفيدة وانصراف الناس معها إلى أخبار الرقص والغناء والمثليين والممثلات . . وعلى هذا قيسست أهمية الخبر وقيمته بعد أن حصرت وظيفته في تلبية اهتمامات الناس بهذا الإطلاق غير المتحفظ »^(١) .

وأما إذا تتبعنا الأخبار الإعلامية في القرآن الكريم نجده استثمر هذه الإهتمامات وجعلها مدخلاً لقلوب الناس ومشاعرهم في محاولاته لبناء الإنسان وتربيته وتوجيهه لأن صلاح الإنسان شرط في صلاح الحياة وفساده ضمان لفسادها لذا نرى القرآن الكريم حاول ترقية اهتمامات الناس قبل تليتها لأن تليتها قبل الترقية أو بعد إفسادها لا يؤدي إلا إلى الدمار والهلاك .

معنى الخبر في اللغة والإصطلاح :

معنى الخبر في اللغة :

من (خَبَرْتُ) الشيء أخبره من باب قتل خُبراً علمته فأنا خَبِيرٌ به واسم ما يُنْقَلُ ويُتَحَدَّثُ به خَبْرٌ والجمع أخبارٌ »^(٢)

(١) الإعلام في ضوء الإسلام - عمارة نجيب - ص ٢٤٥ - مكتبة المعارف بالرياض

(٢) احمد بن محمد المقرئ الفيومي - المصباح المنير - ج ١ - ص ١٦٢ - المكتبة العلمية - بيروت

معنى الخبر في اصطلاح البلاغيين :

يقسم أهل البلاغة الكلام إلى قسمين خبر وإنشاء :
فالخبر عندهم هو : الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته أى يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب وذلك بأن تكون النسبة الكلامية المفهومة من الكلام مطابقة لما في الخارج والواقع فيكون الخبر صدقاً والمخبر به صادقاً أو غير مطابقة له فيكون الخبر كذباً والمخبر به كاذباً .
كقولك (جاء زيد) و (ان الأمير منتصر) . و (ان الحق يعلو ولا يعلى عليه) .

وأما الإنشاء فهو : الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ولا يصح أن يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب^(١) كقوله تعالى : ﴿ عسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ وقوله : ﴿ يا حى خذ الكتاب بقوة وقوله : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ .

وجدير بالذكر هنا ان الإعلاميين ذهبوا أيضاً في تقسيمهم للفن الإعلامى والصحفي إلى ما يشبه التقسيم البلاغى للكلام « حيث قسم الإنجليز الفن الصحفي إلى قسمين رئيسيين أما القسم الأول فهو الأخبار وأما القسم الثاني فهو المعالم وهذا القسم الثاني يهتم بتوضيح معالم الأنباء والأفكار . فالخبر يعطي الحقيقة مجردة أما المعالم ففسر ما وراء الخبر^(٢) .

ولقد ذهب الإعلاميون الأمريكيون إلى ما يشبه هذا التقسيم للفن الصحفي حين قال (ليستر ماركل محرر (النيويورك تايمز) في محاضرة له بمعهد الصحافة الدولية :

- * أن تقول « إن لكميلين شن حملة سلام » فهذا نبأ .
- * وأن تقول « لماذا شن لكميلين حملة السلام في هذا الوقت بالذات » ؟ فهذا تحليل النبأ .
- * وأن تقول « إنه ينبغي أن نحترم حملة السلام التي شنّها الإتحاد السوفيتي » فهذا رأى وينفرده كتاب الأعمدة الصحفية . . .^(٣)

وإذا تأملت هذا التقسيم فقد تخرج منه بفهم مفاده أن الخبر عند الإعلاميين هو ما احتمل التصديق أو التكذيب في ذاته وأن المعالم هي التي لا تحتمل التصديق أو التكذيب في ذاتها كالآراء التي تتضمنها الإفتتاحيات والمقالات والتحقيقات بأنواعها .

(١) د . احمد النادي شعلة : البلاغة (علم المعاني القسم الاول) ص ١١٣ - دار الطباعة المحمدية بالأزهر « القاهرة » .

(٢) دراسات في الفن الصحفي - ص ١٣٩

(٣) ابراهيم ومعي - الخبر الإذاعي - ص ٦٨ - ط ١ - دار الفكر العربي ، القاهرة .

معنى الخبر في اصطلاح الإعلاميين :

لم أقف على تعريف من التعريفات احتار فيه علماء فن من الفنون كتعريف علماء الإعلام للخبر الإعلامي حيث بلغوا به ما لا يقل عن مائة تعريف هذا مع اعترافهم في كثير من تصريحاتهم التي أدلوا بها بالعجز عن وضع حد جامع مانع له ، وإليك مقالته د. محمود أدهم في هذا الصدد : « من الملاحظ أن « تعريف الخبر » هو مسألة حار فيها العلماء واختلفت حولها الآراء وهذه الحيرة وهذا الاختلاف لم يولد اليوم فقط بل يعودان إلى أكثر من قرن من الزمان »^(١) ويقول د. إبراهيم وهي أيضاً - « بالرغم أن السؤال عن مفهوم لفظ الخبر يبدو سؤالاً ساذجاً أو لمجرد توضيح الوقت في البحث عن البديهي وإثبات ما هو ثابت إلا أن البحث في إيجاد معنى محدد لمعنى كلمة « الخبر » امتد في أعماق الماضي وقد يمتد إلى المستقبل »^(٢).

ولا يسع الباحث إلا أن يقرر حقيقة أن هذه الحيرة التي اكتنفت رجال الإعلام في مجال تقديمهم لتعريف الخبر قد انعكست عليه وأصبح في حيرة من أمره في اختيار أفضل هذه التعريفات وأقربها إلى الصواب - فهل يقدم التعريفات جمعها ويضيف إليها تعريفاً آخر ؟ أم يكفي بتقديم تعريف واحد يرى أنه التعريف الأمثل للخبر ؟ أم ماذا ؟ وبعد التفكير ملياً في هذا الوضع رأى كحل وسط أن يقتصر على التعريف الذي قدمه د. محمود أدهم كبديل لبقية التعريفات بالإضافة إلى تعريف آخر رأى صاحبه أنه جمع فيه محاسن أكثر التعريفات الأخرى .

تعريف د. محمود أدهم :

« الخبر : وصف موضوعي دقيق تطلع به الصحيفة أو المجلة قراءها في لغة سهلة واضحة وعبارات قصيرة على الوقائع والتفاصيل - والأسباب والنتائج المتاحة والمتابعة لحدث حالي أو رأى أو موقف جديد لافت للنظر أو فكرة أو قضية أو نشاط هام تتصل جميعها بمجتمعهم وأفراده ومافيه أو بالمجتمعات الأخرى كما تساهم في توعيتهم وتثقيفهم وتسليتهم وتحقيق الريح المادي لها »^(٣).

تعريف جلال الدين الحماصي :

« الخبر الصحفي هو كل خبر يرى رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة ما بأنه

(١) فن الخبر - ص ٩ ، ط ١ .

(٢) الخبر الإذاعي - ص ٦٨ ، ط ١ .

(٣) فن الخبر - ص ٤٢ ، ط ١ .

جدير بأن يجمع ويطلع وينشر على الناس لحكمة أساسية هي : أن الخبر في مضمونه يهم أكبر جمع من الناس ويرون فيمادته إما فائدة ذاتية أو توجيهها ما لأداء عمل أساسي أو تكليفاً بواجب معين إلى آخر ما يراه الناس واجباً يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤديه نحوهم» (١).

وفي ضوء هذين التعريفين وغيرهما يمكنني القول أن الخبر هو كل ما احتتمل التصديق أو التكذيب في ذاته كما هو معلوم ولكن ليس كل خبر صالح أن يكون خبراً إعلامياً بل هناك مواصفات قدمت على شكل تعريفات للخبر لا بد للمشتغلين في هذا الحقل من معرفتها ومراعاتها عند اختيار الأخبار الصالحة للنشر فكلما كان الخبر مشتملاً على هذه المواصفات أو جلها كلما كانت فرصته أكبر في الحصول على امتياز النشر عبر وسائل الإعلام المختلفة من بين آلاف الأخبار التي ترد يومياً إلى قسم الأخبار . ومن هذه المواصفات على سبيل المثال لا الحصر : أن يكون الخبر حديثاً بمعنى أنه ابن يومه ، ومثيراً بمعنى أنه ملفتاً للأنظار ، وذافائدة تعود على أكبر عدد من الناس ، وجاداً بمعنى أنه يتعلق بالاحوال والمواقف الهامة التي من شأنها التأثير في حياة الناس اليومية . وظريفاً بمعنى أنه مسلياً ومرفها عن القارئ . . . إلخ .

تعريف الخبر القرآني :

وقبل التعرض للخبر القرآني يحسن بي الإشارة إلى أن كلمتي (خبرونبأ) وردتا في القرآن في العديد من الآيات كما وردتا في حديث مروي عن علي رضي الله عنه أخرجه الترمذي في فضائل القرآن يقول فيه : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . . . » (٢).

وهذه الظاهرة في حد ذاتها جعلتني أتساءل عن الفرق بين لفظتي (خبرونبأ) هل هما كلمتان مترادفتان ؟ أم هناك فرق بينهما ؟ فرجعت إلى كتب اللغة ولكنني لم أعثر على أحد فرق بينهما حتى كاد أن يكون هناك إجماع على أنها كلمتان مترادفتان لولا ما روى عن الرغبة أنه قال : « النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاث . . . » (٣). ثم لجأت إلى كتب الإعلام لعلي أجد تعليلاً لهذه الظاهرة ولكن

(١) نفس المرجع - ص ١١ .

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول - ج ٨ ص ٤٦٢

(٣) الزبيدي - تاج العروس - ج ١ ، ص ١٢١ - دار مكتبة الحياة بيروت

النتيجة لم تكن أحسن حظاً من سابقتها حيث لم أجد أيضاً أحداً من رجال الإعلام فرق بينهما إلا ما كان من د. محمد فريد عزت الذي قال بعد استقراءه للآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (خبر ونبا) . إن القرآن الكريم استعمل كلمتي (النبا والخبر) بمعنى التحدث عن الماضي وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعمل فيه جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز . فاستعمل (النبا والأنباء) في الإخبار عن الأحداث البعيدة الغور زماناً أو مكاناً والتي لفها الزمن في أطوائه وكذلك في الأخبار الصادقة العظيمة التي لها خطر وشأن على حين استعمل (الخبر والأخبار) في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لا تزال مشاهداتها قائمة ماثلة للعيان »^(١).

ولكن المتتبع للآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (خبر ، وقصة ، نبا) إذا أمعن النظر فيها ربما توصل إلى فهم يخالف مذهب د. محمد فريد عزت ذلك أنه سيجد الآيات التي وردت فيها كلمة خبر يكون متعلقها دائماً خاص بالمستقبل القريب العاجل أو البعيد الآجل . مثال المستقبل القريب : قوله تعالى : ﴿ إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتىكم منها بخبر أو أتىكم به شهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾^(٢).

مثال المستقبل البعيد : قوله تعالى : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾^(٣). كما أن المتتبع سيجد الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة (قصة) متعلقها دائماً الحاضر إذا اقترنت بكلمة (نبا) كما في قوله تعالى : ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ﴾^(٤). وقوله تعالى : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾^(٥). وأما إذا وردت كلمة (قصة) دون اقترانها بكلمة (نبا) في آية واحدة تعين تعلقها بالماضي كما في قوله تعالى : ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾^(٦).

وقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾^(٧).

أما المتتبع لكلمة (نبا) في الآيات القرآنية فسيجد أن متعلقه عام فقد يأتي مرة متعلق

(١) دراسات في فن التحرير الصحفي - ص ٢٠ ، ط ١ .

(٥) سورة طه : الآية (٩٩)

(٦) سورة النساء : الآية (١٦٤)

(٧) سورة غافر : الآية (٧٨)

(٢) سورة النمل : الآية (٧٧)

(٣) سورة الزلزلة : الآية (٤)

(٤) سورة الأعراف : الآية (١٠١)

بالأحداث الماضية ومرة بالأحداث المستقبلية ومرة أخرى بالأحداث الجارية ولكن يتعين تعلقه بالماضي إذا اقترنت به كلمة (خبر أو قصة) .

الأمثلة :

* من الأمثلة على تعلق النبأ بالأحداث الماضية قوله تعالى : ﴿ وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْخَلْقِ إِذْ قَرَّبَّا قَبْرَيْنَا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ (١).

* مثال تعلق النبأ بأحداث المستقبل قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٣) .

* مثال تعلق النبأ بالأحداث الجارية قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (٥) لان المراد بالنبأ هنا القرآن العظيم .

* مثال النبأ في حالة تعين تعلقه بالماضي لوروده مع كلمة (خبر) قوله تعالى : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ (٦) .

* وأما مثال النبأ في حالة تعين تعلقه بالماضي لوروده مع كلمة (قصة) قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ . . ﴾ (٧) .

وعلى هذا يستطيع الباحث أن يقرر أن القصة تكون للأحداث التي وقعت في الماضي وأن الخبر للأحداث التي ستقع في المستقبل القريب العاجل أو البعيد الآجل وأما النبأ فهو عام قد يستخدم للأحداث الماضية وللأحداث المستقبلية كما يستخدم للأحداث الجارية وأنه يتعين تعلقه بالماضي إذا اقترنت بأحد اللفظين (خبر أو قصة) .

وفي ضوء ما سبق يمكنني القول أن الخبر القرآني : هو الخبر المتعلق بحدث سيقع في المستقبل القريب العاجل أو البعيد الآجل والذي يتضمن تبشيراً أو إنذاراً أو وعداً أو وعيداً بقصد التأثير على المستقبل وتوجيهه التوجيه السليم الذي يكفل له سعادة الدارين .

(٥) سورة ص : الآية «٦٧»

(٦) سورة التوبة : الآية «٩٤»

(٧) سورة هود : الآية «١٠٠»

(١) سورة المائدة : الآية «٢٧»

(٢) سورة الأنعام : الآية «٦٧»

(٣) سورة الحجرات : الآية «٦»

(٤) سورة النمل : الآية «٢٢»

أمثلة على الخبر القرآني :

والآن وبعد أن تكلمنا عن الخبر وأهميته يحسن بنا أن نقدم بعض الأمثلة من الأخبار الإعلامية في القرآن وبيان أغراضها :-

مثال ١ : حينما ظهر الفرس على الروم فرح المشركون لذلك لأنهم ليسوا أهل كتاب مثلهم وحزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب فنزل القرآن الكريم ليطمئنهم بالنصر على كفار قريش ويخبرهم بأن الروم ستغلب الفرس في السنوات القليلة القادمة . وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها وحدثت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين قال تعالى : ﴿ الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ (١).

مثال ٢ : كان القرآن الكريم يعد المؤمنين من وقت لآخر بالأمن والنصر على الأعداء وذلك فيه تخفيف عنهم ورفع لمعنوياتهم قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . . . ﴾ (٢).

روى عن أبي العلية أنه قال : في سبب نزول هذه الآية « كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة يدعون إلى الإسلام وهم خائفون حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة وأذن لهم بالقتال وكانوا بها خائفين . . . ثم أن رجلاً من أصحابه ﷺ قال : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ ما يأتي علينا يوم نأمن ونضع فيه السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ لن تغبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيهم حديدة فأنزل الله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض . . ﴾ (٣) وهذا السبب يعطينا فكرة واضحة عن المناخ الذي نزلت فيه هذه الآيات وهو مناخ ساخن مشحون بالخوف والفرع الذي يجيم على المسلمين بسبب الحروب المتتابة التي شنت عليهم من قبل أعداء هذا الدين من كل جانب مما جعل بعض الصحابة يضيق صدره عن كتمان ما يجده هو وأصحابه من شدة وهلع ويشكوا إلى الرسول ﷺ حالهم . فجاءت هذه الآية في الوقت المناسب لتبشر المؤمنين وتقرر حقيقة سنها الله في الكون وهي أن النصر والعاقبة الحسنة لا بد وأن تكون للمؤمنين بالله ورسوله مهما كانت

(٣) فتح القدير - ج ٤ ، ص ٤٩

(١) سورة الروم : الآيات من ١ - ٥

(٢) سورة النور : الآية (٥٥)

الظروف والأحوال وهذا فيه من إزالة الخوف ورفع المعنويات والتثبيت والإطمئنان مالا يخفي ولقد تحقق هذا الوعد والذي قبله وغيرهما من الوعود الواردة في مثل قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ﴾ وقوله : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ فنصر الله المؤمنين على من خالفهم فمنحهم الله أكتاف المشركين يوم بدر ودانت لهم الجزيرة العربية كلها ودخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها .

مثال ٣ : ومن الأخبار القرآنية قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ماوَلَهُمْ عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

يقول صاحب المنار : إن الله تعالى . . . علم أن أهل الكتاب سيقولون إن محمداً ليس على بينة من ربه لأنه غير قبلته . . . وسيقول المنافقون إنه صلى أولاً إلى بيت المقدس استمالة لأهل الكتاب . . . ثم غلب عليه حب وطنه وتعظيمه فعاد إلى استقبال القبلة فهو مضطرب في دينه (٢) وما ذلك إلا لإشاعة الشكوك والفرقة في صفوف المسلمين ، فسارع القرآن الكريم بنحو الرسول ﷺ والمؤمنين بما سيقع من اعتراض اليهود وغيرهم على تحويل القبلة وما سيقومون به من تشويش إعلامي واضطراب في صفوف المسلمين قبل وقوعه وتلقيهم الحجة البالغة عليه والحكمة السديدة فيه .

وبالوقوف على هذه الأمثلة وغيرها يتضح لنا مدى تتبع القرآن الكريم للأوضاع القائمة وآمال الناس وآلامهم وأنه كان لا يرى عثرة إلا بادرها بالهدى ولا ظلمة إلا بددها بالضياء ولكنه مع ذلك كان يراعي الحكمة في جميع أخباره فلا يأتي الإخبار عن أمر من الأمور إلا بعد أن يتأكد نفعه وفائدته وأما إذا كان الإخبار يؤدي إلى الإساءة والإضرار فإنه يمسك عن ذلك فلا يأتي خبر ولا توجيه إلا إذا تحققت فائدته. وحان الوقت المناسب له .

ومع أن القرآن الكريم راعي الحكمة في كل ما يقول ويأمر به فإنه أيضاً امتدحها وأمر بها وأخبر أن من رزقه الله بها فقد نال حظاً عظيماً قال تعالى : ﴿ ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ولا شك أن الحكمة مطلوبة في كل شيء ولكنها من أهم الأمور التي يحتاجها الإعلام وخصوصاً في العصر الحديث وإذا فقدت الحكمة في الإعلام فربما نتج عن ذلك أمور خطيرة كتسمم العلاقات بين الدول أو إدانة الأبرياء وتشويه سمعتهم ومن

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٢) .

(٢) محمد رشيد رضا - تفسير المنار : ج ٢ ، ص ٦ ، ط ٢ .

الأمثلة على فقدان الحكمة في توقيت نشر الخبر ما حدث في أمريكا « من اختطاف رضيع من عربته الصغيرة ووضع الخاطف ورقة صغيرة يطلب الفدية . . وأمرت الشرطة بعدم إذاعة الخبر . . . ولكن هناك صحيفة رأت في الموضوع خبراً مثيراً للقراء فنشرت الخبر وتبعتها الصحف الأخرى في ذلك . . ففشلت خطة رجال الشرطة وعثر على الطفل بعد أيام جثة هامدة وضاع أثر الجريمة^(١) وكانت هذه النتيجة السيئة بسبب ترك الحكمة وعدم التقيد بالوقت المناسب لنشر الخبر .

فعلى المسلمين اليوم الإهتمام في اعلامهم بالهدى القرآني والتذرع بالحكمة في اختيار الأخبار ووقت نشرها وخصوصاً أن أكثر المادة الإعلامية في أيامنا هذه تصل إلينا عن طريق وكالات الأنباء العالمية وغالباً ماتكون أخبارها الموجهة إلى العالم الإسلامي مختارة ومدروسة بعناية بحيث تحدد أهداف تلك الدول التي تمتلك هذه الوكالات .
والآن وبعد أن أنهينا الكلام عن أسلوب الخبر ننقل إلى أسلوب آخر من أساليب القرآن الكريم الإعلامية « وهو أسلوب القصة القرآنية » .

ثانياً : أسلوب القصة :

القصة في اللغة والإصطلاح :

قبل الدخول في الكلام عن القصة يجدر بنا ان نعرفها حتى نتمكن من فهمها وفهم أغراضها ومراميها الإعلامية فنقول إن القصة في اللغة من « قص أثره قصاً وقصيصاً تتبعه وللخبر أعلمه » فارتداً على آثارهما قصصاً « أى رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر - ونحن نقص عليك أحسن القصص نبين لك أحسن البيان والقص من يأتي بالقصة^(٢) .
ويحدد المعاصرون القصة بأنها حكاية حوادث وأعمال وتصوير شخصيات بأسلوب مشوق ينتهي إلى غاية مرسومة وغرض مقصود^(٣) .

والمراد بها في القرآن الكريم الإخبار عن أحوال الأمم والنبوات السابقة واطهار ماتضمنه من حقائق وعبر بقصد إعلام الناس بها ودفعهم إلى التفكير والتأمل في تلك الحقائق وفي تلك المواقف وأنواع السلوك التي تصدر عن هذه الأمم تجاه هذه الحقائق في مراحل مختلفة من التاريخ .

(١) دراسات في الفن الصحفي - ص ١٠٨

(٢) القاموس المحيط - القيروز آبادي - المجلد ٢ ص ٣١٣ - مؤسسة الحلبي وشركاه « القاهرة » .

(٣) فن القصة - احمد ابوسعيد - ج ١ - ص ٧ - دار الشرق الجديد بيروت

القصة أسلوب قرآني :

وقبل أن نتحدث عن أغراض القصة التي هدف إليها القرآن الكريم يجدر بنا أن نقرر بأن القصة بصورة عامة أسلوب من أساليب الإعلام يصغى إليه السامع وترسخ عبره في النفس . وذلك لأن القصة المحكمة الدقيقة تطرق السامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكمل .

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن القصة تعتبر بحق من أقوى الأساليب الإعلامية لأنها تخلط بين التعليم والخبر وتوجه الفكر والضمير والسلوك نحو الأهداف والأغراض المرسومة . ولعل السبب في خطورة هذا الأسلوب كما يقول رمضان لاوند « ان الإنسان بطبيعته يميل إلى التقليد ولما كانت أحداث القصة متمثلة في شخوص تفكر وتتصرف وتصنع الأحداث . . . فإنها تبدو للقارئ أو السامع وكأنها نماذج بشرية تملك جاذبية غير عادية ثم يحاول أن يقلد هذه النماذج على نحو تم به التعاطف الكامل معها » (١) .

لهذا كانت القصة موضع اهتمام الأفراد والجماعات واتخذ منها المفكرون والفلاسفة أسلوباً من أهم الأساليب لتحقيق أهدافهم وعرض آرائهم ومذاهبهم في فهم الحياة وتفسير مشكلات هذه الحياة .

لذا نرى أن أهم مميزات القصص في القديم هي إظهار بعض أيام العرب وتصوير بطولات بعض الأفراد فيخلط فيها الخيال بالواقع ويرز فيها التحيز لإشباع رغبة قومية أو أمجاد شخصية . وأما أهم مميزات في العصر الحديث « أن الحرية الجنسية هي أساس الحياة الاجتماعية الراقية وأن كل محافظة على الحشمة والعفة بقية من رواسب التخلف وأن التفوق العرقي أمر لا مندوحة عنه في معاملة الأجناس الأخرى » (٢) .

فتركزت هذه المميزات في أعماق المؤمنين بهذه القصص وأثرت في أفكارهم وسلوكهم .

بعض أغراض القصة القرآنية :

ولما كان الغرض من الإعلام القرآني هو شد الناس إلى القيم الإنسانية الرفيعة وتوعيتهم بالحقائق السماوية الخالدة ولا سيما حقيقة التوحيد في الألوهية والربوبية وحقيقة البعث والنشور والجزاء والحساب وغير ذلك من الحقائق الهامة التي لها علاقة مباشرة بسعادة البشرية فإنه جعل القصة أسلوباً من أساليبه الإعلامية في تحقيق هذا الغرض وتوجيه الناس

(١) من قضايا الإعلام في القرآن - ص ٢٣٤

(٢) نظرات تحليلية في القصة القرآنية - محمد المجذوب - ص ٩ - مؤسسة الرسالة .

إلى الخير وابعادهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائفة معتمداً في ذلك على فاعلية أسلوب الخبر والحكاية في زلزلة الأفكار الزائفة والعادات السقيمة مستخدماً في ذلك أرقى أسلوب عرفته البشرية في التوجيه « لذا فإن القصة القرآنية تميزت دائماً بنوع واضح من التحسين والتقبيح . . . تحسين العمل الصالح وتقبيح العمل الفاسد . . . فهي تقول الحق وتروى الوقائع دون مبالغة ولكنها تعتمد الأسلوب الفني والإثارة النفسية لتمنح الوقائع المروية قوة إيحائية وقدرة معنوية^(١) .

والقارئ للقصة القرآنية يدرك أثناء قراءته أنها سيقى لتؤكد وتثبت بعض الحقائق التي وردت في القرآن الكريم كحقيقة وحدانية الله في الألوهية والعبودية وأنها الأساس الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين من لدن آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . وحقيقة البعث والنشور والجزاء والحساب . وحقيقة موقف الأمم من أنبيائهم الداعين إلى هذه الحقائق وحقيقة أن كل أمة من هذه الأمم لا بد أن تنقسم إلى فرقتين على أساس العقيدة فريق يستجيب لدعوة أنبيائه فيؤمن ويصدق بكل ما جاءه من ربه وفريق يقف أمام هذه الدعوة بالكيد والصد عنها . وحقيقة أن الله ينصر أوليائه ويهلك أعداءه الذين كذبوا رسله وأشركوا في عبادته .

نماذج من القصة القرآنية :

ولكى ندرك أثر القصة القرآنية في تحقيق هذه الأغراض نورد فيما يلي نماذج من القصص القرآني ونرى مدى تحقيقه لهذه الأغراض .

أنظر من قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبيٍّ إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرُّعون ﴾^(٢) .

١ - لقد اشتملت هذه الآيات على مجموعة من قصص الأنبياء الذين يحملون الحقيقة الأساسية التي يقوم عليها الدين كله ويتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التاريخ إلى أمهم وتوضيحها لهم مستخدمين في ذلك مالداهم من أساليب قولية وعملية وذلك لحرصهم على هداية الناس إلى الحق وإنقاذهم من الخطر الذي سيواجهونه في الدنيا

(١) من قضايا الإعلام في القرآن - ص ٢٤٠

(٢) سورة الأعراف - الآيات من ٥٩ - ٩٤ .

والآخرة بسبب شركهم بالله في الألوهية والعبودية .

« فلم يكن هناك رسول من عند الله دعا إلى رب قبيلة أو رب أمة أو رب جنس كما أنه لم يكن هناك رسول دعا إلى إلهين اثنين أو آهة متعددة . . . لقد جاءت الرسل رسولاً بعد رسول بالتوحيد وبربوبية رب العالمين » (١) .

وهذا فيه دليل على أن مصدر هذا الدين وغايته واحدة وأنه من عند الله الذي لا شريك له وهو الذي أرسل الرسل لتبليغ هذه الحقيقة إلى الناس .

٢ - وفي كل مرة يقف رؤساء القوم وكبرائهم في وجه كلمة الحق ولم ينقادوا له فقدحوا في رسلهم أعظم قدح ونسبوا إليهم الضلالة والسفاهة وأبوا أن تكون العبودية والدينونة لله رب العالمين وحده . وهي الحقيقة التي قامت عليها الرسالات كلها وقام عليها دين الله كله وبذلك ينقسم قوم كل نبي إلى فرقتين متباينتين على أساس العقيدة وعندها يأخذ الله المكذبين المستكبرين وينجى الطائعين المستسلمين قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ (٢) .

يقول سيد قطب رحمه الله « ماجرت سنة الله قط بفتح ولا فصل قبل أن ينقسم القوم الواحد إلى أمتين على أساس العقيدة وقبل أن يجهر أصحاب العقيدة بعبوديتهم لله وحده وقبل أن يشتوا في وجه الطاغوت بإيمانهم » (٣) .

٣ - ونلاحظ من الآيات أن كل نبي من هؤلاء الأنبياء يخبر قومه بخوفه وشفقتة عليهم من العذاب الأبدي والشقاء السرمدى وهذا لا يكون إلا في يوم الجزاء والحساب يوم القيامة وفي هذا محاولة من هؤلاء الرسل اقناع قومهم بهذه الحقيقة « حقيقة الحياة بعد الموت . . لأنها هي التي تربطنا بفكرة البعث والحساب وبفقدانها ينطلق البشر كالوحوش الجائعة يأكل بعضها بعضاً ويفقد الإنسان كرامته وقيمتة كالمشاهد في ظل الأنظمة القائمة على الإلحاد » (٤) .

وبعد انتهاء السياق من بيان السنة الجارية يتجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ يطلعه على العاقبة الشاملة لابتلاء تلك القرى وماتكشف عنه من حقائق عن طبيعة الكفر

(١) في ظلال القرآن - المجلد ٣ - ص ١٣٠٥

(٣) المرجع السابق - ص ١٣٠٥

(٤) نظرات تحليلية في القصة القرآنية - ص ٤٥

(٢) سورة الشورى : الآية ٧

وطبيعة الإيمان ثم عن طبيعة البشر الغالبة كما تجلت في هذه الأقوام قال تعالى : ﴿ وأرسلنا في قرية من نبيّ إلّا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرّعون ثم بدلنا مكان السية الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء وانسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ (١) . ثم بين الغرض من ورود هذه القصص وما اشتملت عليه من أحداث ومواقف ليتخذ الناس العبر ويزدجر الظالمون ويتعظ المتقون قال تعالى : ﴿ تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ (٢) .

٤ - ولاشك أن إعلام الرسول ﷺ والمؤمنين بهذا النصر الذي أعدّه الله لإنبيائه وأوليائه وإعلامهم بما أعدّه الله لإعدائهم وأعدائهم من هلاك وأن هذه سنة من سنن الله لا تتغير ولا تبدل مهما كانت الظروف والأحوال . فيه تثبيت لقلب رسول الله ﷺ وأصحابه ورد للثقة في نفوسهم وبث الطمأنينة في قلوبهم وإزالة الهم والقلق الذي كانوا يشعرون به بسبب ما يواجهونه من كيد المشركين لهم وللدعوة التي جاء بها النبي ﷺ من ربه . وكان لهذه القصص أثر عظيم في الإيحاء للمؤمنين بالتحلي بالصبر والثبات في مواجهة كل الصعوبات التي تواجههم حتى وصل بهم الأمر في النهاية إلى النصر على أعدائهم ومعارضهم في مدة وجيزة من الزمن .

٥ - والقرآن الكريم أثناء عرضه لهذه الحقائق عن طريق القصص وبيان مواقف كلا الطرفين المؤمنين بها والمكذبين وجزاء كل منها وعاقبته يوجه العواطف القوية الصادقة نحو هذه الحقائق التي هي أساس الدين ومبادئه ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق وكل ما هو خير وكل ما هو جميل وفي الوقت نفسه يقوم بتكوين « عواطف قوية وصادقة ضد كل ما هو قبيح وذميم من الأشياء والناس . . وبذلك تنذبذب المبادئ التي شاخت وهرمت وأصبحت لاتسير الحياة والأحياء » (٣) .

٦ - وورود هذه القصص وما جرى فيها من مواقف وأحداث على وجه الدقة والإتقان فيه البرهان القاطع على أن ماجاء به الرسول ﷺ وحى من الله وأنه مرسل من عنده ليخرج الناس من الظلمات إلى النور لأن هذه الأمور لا يمكن معرفتها إلا بالنقل لمن غاب

(١) سورة الأعراف : الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٠١

(٣) القصص في العصر الإسلامي - عبدالمهدي الفؤادي - ص ٣٣ - دار الزمان بغداد .

عنها أو بالدراسة والتلقي والتعليم والرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا صلة له بالعلم والتعليم . قال تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ ^(٢) .

وللقصة القرآنية أغراض إعلامية كثيرة أخرى من أهمها :-

أ - تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى أن الشيطان عدوهم الأكبر آلى على نفسه أن يفتنهم وأن يبذل كل الجهود من أجل أن يسد في وجههم كل سبيل إلى الجنة وأن يمنعهم من عودتهم إليها بعد أن كان السبب في خروجهم منها « وكان إبراز هذه العداوة الخالدة . . . عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعوا إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير » ^(٣) ولأهمية قصة آدم عليه السلام نرى القرآن الكريم يطالعنا بها في سور عدة لتأكيداتها وتعميقها في النفوس حتى يأخذوا حذرهم منه لأن هذا هو الطريق الوحيد الذي يجنبهم الشقاء الأبدي ويضمن لهم السعادة والفوز بالعودة إلى الجنة قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ^(٤) . واقرأ إن شئت من قوله تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ^(٥) .

يتبين لك من عرض هذه القصة في القرآن مدى حقيقة وجدية هذه المعركة

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٤ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٣ .

(٣) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ١١٩ - مكتبة القرآن - بيروت .

(٤) سورة البقرة : الآيات ٣٤ - ٣٧ .

(٥) سورة الأعراف : الآيات ١١ - ٢٤ .

الخالدة مع الشيطان الذي أصرَّ على ملاحقة الإنسان في كل حال وعلى اتيانه من كل صوب مستخدماً في ذلك كل الأساليب الشيطانية لتحقيق هدفه وهو القضاء عليه وتضليله وجره إلى جهنم وبئس المصير .

لذا نرى القرآن الكريم يطالعنا على هذا الإنسان في كثير من الأحيان وقد ضل عن الطريق المستقيم ووقع في شرك الشيطان وحبائله فإذا به يبحث عن الهداية والنجدة فتأتيه العناية الإلهية والعون من الله فيرسل له الرسل تهديه إلى الطريق المستقيم .

ب - ومن الحقائق التي تهدف القصة القرآنية إلى إبرازها بيان عاقبة الصلاح وعاقبة الإفساد ومن ذلك قصة ابني آدم عليه السلام التي وردت في سورة المائدة من قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ (١) .

فهذه الآيات أبرزت كلا الأخوين في وضعه المميز فهابيل إنسان ربّاني ارتفعت نفسه عن الحقد والحسد لأنها امتلأت بمراقبة الله والخوف منه « والخائف من الله لا يقدم على الذنوب خصوصاً الذنوب الكبار » (٢) .

وأما قابيل فهو إنسان مهياً بطبعه للجريمة إنه ثار بأخيه وغضب لمجرد ما قام به من عمل طيب كان سبباً في رضا الله عنه وسدَّ عليه هذا الغضب جميع السبل فأصبح لا متنفس له سوى ارتكاب الجريمة تحت ضغط هذا الغضب العنيف فقتل أخاه وخسر الدنيا والآخرة .

وهذه القصة توحى بالنهي والتخويف من الإقدام على القتل والإفساد في الأرض . كما توحى بالترغيب في تقوى الله عز وجل وفعل الخيرات وترك المنكرات .

ج - ومن أهداف القصة القرآنية أيضاً بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على الخوارق كقصة بني إسرائيل مع القتل الذي لم يعرف قاتله واختلفوا فيمن قتله حتى كادت تحصل فتنة دامية بينهم ولم يكن هناك طريق للخروج من هذه المشكلة

(١) سورة المائدة : الآيات من ٢٧ - ٣١ .

(٢) تفسير كلام المنان - ج ٢ - ص ٢٧٩

إلا بمعجزة فأمرهم الله تعالى على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بأن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ففعلوا وماكادوا يفعلون فأحياء الله وأظهر لهم الحقيقة حيث أخبرهم بقاتله . وكان في إحيائه وهم يشاهدونه مايدل على قدرة الله على كل شيء ومنها إحياء الموتى وليست هذه هي القصة الوحيدة التي تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى : ﴿ فهناك خبر الألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماهم الله ثم أحياهم وخبر عزيز الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها . . . فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ (١) .

وقصة خلق آدم عليه السلام إلى غير ذلك من القصص الخارقة للعادة والتي تهدف إلى إثبات قدرة الله على الخلق وعلى الإعادة بعد الموت والجزاء والحساب . وهكذا تكون القصة في القرآن بالنسبة إلى الرسول ﷺ وأصحابه معلماً يرشد ويوجه ويسلّي فتتعهد تنمية الطاقات النفسية التي لا بد من تغذيتها لمواجهة الصعوبات التي تواجههم وتمنحهم في الوقت نفسه الشوق إلى ما عند الله فيمدهم ذلك بمزيد من الصبر الذي يتطلبه الصراع بين الحق والباطل وطبيعي أن هذه الموحيات العليا تظل هي بالنسبة للاحقين من المؤمنين حتى نهاية الحياة .

فعلى الإعلام الإسلامي اليوم أن يستفيد من هدى القرآن في هذا المجال « ففي القصص القرآني تربة خصبة تساعد على النجاح في تحقيق أهدافهم بما أحتوت عليه هذه القصص من سيرة النبيين وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات وأحوال الأمم » (٢) .

مع العلم أن كل ما في هذه القصص حقائق ثابتة مصاغة في صورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة . قال تعالى : ﴿ تتلوا عليكم من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ (٣) .

وبهذا أكون قد ألقيت بعض الضوء على أسلوب القصة في القرآن . ويمكنني الآن الانتقال إلى أسلوب آخر من أساليب القرآن الكريم الإعلامية

(٣) سورة القصص : الآية ٣ .

(١) نظرات تحليلية في القصة القرآنية ص ٤٤ .

(٢) مباحث في علوم القرآن - ص ٣١١ .

التي استخدمها في كثير من الأحيان لتحقيق بعض أهدافه وأغراضه السامية .

ثالثاً : أسلوب المثل :

المثل وفائده الإعلامية :

المَثَلُ في اللغة : كلمة تسوية يقال هذا (مِثْلُهُ) و (مَثَلُهُ) كما يقال (شِبْهُهُ) و (شَبْهُهُ) و (المَثَلُ) ما يُضْرَبُ به مِن : (الأمثال) . و (مَثَلُ) الشيء أيضاً بفتحين : صِفَتُهُ . . . و (مَثَلُ) له كذا (تمثيلاً) إذا صَوَّرَ له مِثَالَهُ بالكتابة أو غيرها ^(١) .

وعرّفه ابن السكيت بقوله : « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شَبْهُهُ بالمثال الذي يعمل عليه غيره » ^(٢) .

ومعنى هذا أن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يسهل فهمه ويمكن إدراكه والتمثيل هو ذلك القالب الذي يبرز المعقول في صورة مجسمة ويلبس المعنى ثوب المحسوس ويفصّل المجمال ويوضّح المبهم مما يجعل النفس تتقبله والعقل يقتنع به .

وكان من فضل الله وتدبيره على عباده أن جعل ضرب الأمثال أسلوباً من أساليبه يبرز به المعقول في صورة المحسوس الذي يلسمه الناس فتقبله النفوس المؤمنة وتعترف به فتزداد تمسكاً واقتناعاً بإيمانها وتنكره النفوس المريضة الجاحدة فتزداد غواية على غوايتها قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٣) .

لذا نلاحظ أن أسلوب المثل في القرآن تناول حقائق عدة « فدعا إلى الإيمان ونفّر من الكفر وفضح النفاق وحضّ على الإنفاق ونادى بالخير وندد بالشر وصوّر الطيب والخبيث والصالح والطالح وغير ذلك مما أشاد به أو أشار إليه » ^(٤) .

(١) مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي - ص ٣٣٧ - المطبعة العامة الشرفية - ط ٢

(٢) مجمع الأمثال - الميداني - ج ١ - ص ١٣ - دار مكتبة الحياة بيروت .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) الأمثال في القرآن - محمود الشريف - ص ٨ - دار عكاظ للطباعة والنشر ط ٢

بعض الجوانب الإعلامية للمثل القرآني :

ولكي يتضح لنا مدى جدوى أسلوب المثل القرآني من الناحية الإعلامية لابد لنا من النظر في بعض هذه الأمثال ومحاولة اظهار بعض الأغراض الإعلامية التي وضع هذا الأسلوب لتحقيقها والتي من أهمها :-

١ - إثارة غريزة الطمع أو الخوف في نفس المخاطب :-

ففي إثارة غريزة الطمع يتجه الإنسان بدافع ذاتي إلى مايراد توجيهه له . وفي إثارة غريزة الخوف والحذر يبتعد الإنسان بدافع ذاتي عما يراد إبعاده عنه^(١).

مثاله من القرآن :

* إثارة غريزة الطمع في نفس المستقبل :

فمن المعلوم أن كل إنسان بداخله غريزة الطمع وهي من الغرائز التي طبعه الله عليها وهذا واضح من قوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير الشديد ﴾^(٢) . فهذه النفس التي جبلت على الحب الشديد للأخذ والكره الشديد للعتاء إذا تركت على حالها تسير على غير هدى من الله فإنها لن تقف عند حد وستتطرف إلى مالا نهاية في الطمع والجشع حتى يصبح هذا الطمع وهذا الجشع مرضاً من امراض النفس المستعصية التي لاتقف آثارها وأضرارها على صاحبها وحده بل تعصف بجميع مصالح المجتمع الأخلاقية والإقتصادية والسياسية .

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يحمي هذا المجتمع من التفكك والإنهيار بسبب هذا الحرص وهذا المرض فقدم لها علاجاً نفسياً يرغب النفس في الإنفاق بسخاء دونها خوف أو وجل فضرب لها مثلاً بين لها فيه الثواب العظيم الذي أعده الله للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته يوم القيامة مما يثير غريزة الطمع فيها فيضعف تمسكها بما لديها من مال ويدفعها للإنفاق بسخاء وهي راضية مطمئنة دونها خوف أو وجل رغبة منها في الحصول على هذه الزيادة العظيمة قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾^(٣) .

وعلى هذا فاننا نستطيع القول إن النفس كالطفل على فطرته إذا امتلك حلوى فإنه

(١) الأمثال القرآنية - عبدالرحمن حبنكة الميداني - ص ٦٢ - دار القلم « دمشق » .

(٢) سورة العاديات - الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

يرفض بإصرار إعطاء أخيه شيئاً منها ولو كانت أكثر من حاجته فيقوم والده بترغيبه في دفع بعض الحلوى لأخيه ليضعف من إصراره على تمسكه بها فيقول له إذا أعطيت أخاك بعض هذه الحلوى فسأشترى لك دراجة مثل دراجة فلان فيبتسم الطفل ويذهب بنفسه وهو راضٍ ويدفع لأخيه شيئاً من الحلوى أملاً في الحصول على هذا الوعد المغربي .

وقد تجعل بعض الدول هذه الغريزة مدخلاً إعلامياً لها للحصول على بعض المكاسب الاقتصادية والعسكرية والسياسية كأن تتقدم دولة كبرى لدولة ما طلباً للسماح لها بوضع بعض القواعد العسكرية أو أبراج المراقبة في أراضيها فتمتنع هذه الدولة فتقوم الدولة الكبرى بتقديم ما يغري هذه الدولة لتضعف من رفضها وتوافق على بعض أو جل ماطلبتها منها كأن تقول لها إن هذه القواعد أو هذه الأبراج سيكون المستفيد منها الأول هو أنتم للمحافظة على أمنكم من الداخل والخارج هذا بالإضافة إلى ما سنقدمه لكم من معونات اقتصادية ومالية وعسكرية لتحسنوا بها أوضاعكم وتعزوا بها قوتكم وتضرب لها مثلاً : ببعض الدول التي قبلت هذا العرض وماحقته من أمن ورخاء وتقدم محاولة بذلك اقناعها بأنه أمر عادي ولا داعي للخوف والفرع منه فتضعف مقاومة هذه الدولة ومعارضتها للفكرة ثم توافق على الطلب المقدم لها إن لم تسع لاهثة للحصول عليه .

* إثارة غريزة الخوف والحذر في نفس المستقبل :

وكما أن الله تبارك وتعالى جعل من غرائز الإنسان التي طبعه عليها غريزة الطمع والحب الشديد للخير فإنه أيضاً جعل من غرائزه الخوف الشديد من فقدان النعمة أو عدم الحصول عليها قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ (١) .

والقرآن الكريم جعل هذه الغريزة مدخلاً لإجبار المخاطبين ودفعهم إلى الابتعاد عن ما يراد أبعادهم عنه . قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

ذهب أكثر المفسرين إلى أن القرية المراد بها هنا مكة وذلك لما دعا عليهم رسول الله ﷺ

(١) سورة المعارج : الآيات ١٩ - ٢١ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٢ .

وقال : ﴿ اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام ﴾ (١) .

فلقد أنعم الله سبحانه وتعالى على مكة وأهلها من دون جميع الناس قبل الإسلام بالأمن والاستقرار حيث جعل فيها البيت الحرام الذى تعظمه جميع العرب وتحترم كل من يقيم في مكة بسببه وتمتنع عن القيام بأي عمل تخريبي فيها فاطمأن كل من دخلها حتى ولو كان قاتلاً . كما أنه أغدق على أهلها نعمه حيث جبي إليها ثمرات كل شيء من جميع الأقطار مع أنها في واد ليس فيه زرع ولا شجر واستمر أهل مكة على هذا الحال حتى جاءهم رسول منهم يعرفون صدقه وأمانته يأمرهم بما فيه نفعهم وينهاهم عما فيه ضرهم فكذبوه وكفروا بنعم الله عليهم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وهذا المثل الإعلامي المضروب الغرض منه دفع أهل القرى إلى الاعتبار بما جرى لأهل مكة وحضهم على الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وتخويفهم وتحذيرهم من عاقبة الكفر بأنعم الله .

وهذا الغرض والذي قبله أعنى (إثارة غريزة الخوف وإثارة غريزة الطمع) من الأمور التربوية المهمة التي ركز عليها القرآن الحكيم وأكثر منها في بيانه .

ومن أسلوب إثارة غريزة الخوف في الإعلام المعاصر . التصريح الذي أدلى به « موسى أرنيز » سفير إسرائيل في أمريكا وأذاعه راديو إسرائيل عدة مرات والذي أعلن فيه أن إسرائيل ستقوم بتطبيق القضاء والتشريع الإسرائيلي في الضفة كما فعلت في الجولان العربية في حالة عدم التوصل إلى اتفاق بشأن الحكم الذاتي مع المفاوضين المصريين (٢) .

٢ - حث المستقبل على فعل الشيء أو الإبتعاد عنه بالترغيب فيه أو التنفير منه :

فالقرآن الكريم اتبع أسلوب ضرب الأمثال في بعض الأحيان لإبراز الجوانب الحسنة لبعض الأمور وتزيينها أو لإبراز بعض الجوانب السيئة وتشيينها للترغيب فيها أو للتنفير منها .

(١) فتح القدير - ج ٣ - ص ١٩٩

(٢) انظر صحيفة الشرق الأوسط - عدد ١٢٠٧ - الجمعة - ١٩ مارس ١٩٨٢ م ص ١ .

* الترغيب في الكلمة الطيبة والتنفير من الكلمة الخبيثة :

قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ (١) .

في هذا النص القرآني ضرب الله سبحانه وتعالى مثلين أحدهما للكلمة الطيبة وثانيهما للكلمة الخبيثة .

فالكلمة الطيبة شبهها بالشجرة الطيبة أصلها راسخ بسبب تمكنها من الأرض الطيبة الخصيبة بعروقها . وفروع هذه الشجرة جميلة خضراء متجهة الى السماء مرتفعة في الهواء . وهذه الشجرة الطيبة الخيرة تؤتي أكلها الطيب في كل ساعة من ساعات الليل أو النهار وفي جميع الأوقات من غير فرق بين شتاء أو صيف بإرادة الله ومشيئته .

وهذا مثل الكلمة الطيبة يتبناها الإعلام الإسلامي ويجعلها القاعدة الأساسية التي ينطلق منها في البث والنشر فلا يقول إلا ما هو طيب وحسن وجميل فيرشد الناس إلى الخير ويحثهم عليه ويبين لهم الشر ويدعوهم إلى اجتنابه مستنداً في ذلك إلى هدى ربه ممثلاً لأوامره ومجتنباً نواهيه فيصبح كل ما يقوم به من عمل إعلامي يثبت في القلوب المؤمنة والنفوس الطيبة فتستجيب لأهدافه وأغراضه وهي راضية مطمئنة لأنها على يقين بأن هذا الإعلام لا يرشدها ولا يوجهها إلا إلى خير دنياها وآخرتها لأنه نابع عن إيمان بالله مبلغ لأوامره ونواهيه بإخلاص وتفان وصدق فيثمر الخير المتمثل في إشاعة المحبة والتآخي والتعاون بين المسلمين ويحقق جميع أهداف الأمة العامة منها والخاص على المستويين الداخلي والخارجي في جميع الأوقات والظروف .

وأما الكلمة الخبيثة فإنه شبهها بالشجرة الخبيثة في الأرض الخبيثة ليس لها أصل ثابت ولا عروق متمكنة تعصف بها ريح خبيثة تقتلعها من جذورها وهذه الشجرة ليس لها ثمرة صالحة تنتجها وإن وجدت فهي ثمرة خبيثة عديمة الفائدة وهذا مثل الكلمة الخبيثة يتبناها الإعلام ويجعلها أساساً لإعلامه فلا يبث ولا ينشر إلا كل ما من شأنه أن يشوه صورة الناس

(١) ابراهيم/ ٢٤ - ٢٦ .

وصورة الحقائق أو يفضح الأعراض أو يشيع الفاحشة أو يفسد الأخلاق أو يضلّل الرأي العام والخاص أو يبعد عن دين الله . فهذا الإعلام لن يجد صدًى ولا قبولاً في النفوس الطيبة الطاهرة لأنها لا تطمئن إليه وتشك في كل ما يرشدها أو يوجهها إليه فهو لا أصل له فيها ولا مكان لأن ما يبشّر لا ينبع عن إيمان بالله ولا يبلغ أوامره ونواهيه بل هو في خدمة الشيطان وتحقيق أهدافه المتمثلة في زرع الشر والفساد في الأرض . فهذا الإعلام لا ثمرة له ولا قيمة وإن أثمر شيئاً فسيكون خبيثاً يتمثل في زرع الشقاق والنفاق في المجتمع ويقضى على أواصر الحب والتراحم والتواد والتعاون ويقطع الروابط الأسرية والاجتماعية والدولية مما يجعل الناس يعيشون في جو من الحقد والكراهية والبؤس والخوف والإرهاق النفسي والجسدي في جميع الأوقات والظروف ولن يكون له خير أبداً على الأمة لا في دنياها ولا في آخرتها لأن كل إناء بما فيه ينضح .

والغرض الإعلامي من هذين المثالين المضروبين للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة كما هو واضح ترغيب في الأولى وتنفير من الثانية .

وما أحوج الإعلام الإسلامي اليوم أن يتبنى هذه القاعدة الإعلامية وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالاسلام والمسلمين فلا يذيع ولا ينشر إلا ما هو طيب وجميل وأن يتحاشى كل ما هو مستقبح من الكلام الذي من شأنه أن يهدم ولا يبنى ويفسد ولا يصلح فإنه إذا فعل هذا سيكسب ثقة الناس ورضى الله مما يسهل عليه تنفيذ مهمته التي أناطها الله تبارك وتعالى به وهي قيادة الأمة إلى السعادة الأبدية .

* التنفير من نقص العهد :

إن الاسلام اهتم بمسألة الوفاء بالعهد وتشدد فيها لأنها الضمان الوحيد لبقاء قاعدة الثقة في التعامل بين الناس والتي بدونها لا يمكن أن يقوم مجتمع كريم يسوده التعاون والتراحم . لذا فإن القرآن الحكيم لم يقف عند حد الأمر بالوفاء والنهي عن نقضه بل استخدم أسلوب المثل في تقييح نكث العهود وتشويه ذلك الأمر في النفوس وتقييحه في القلوب قال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً . . . ﴾ (١) .

(١) النحل : ٩١ ، ٩٢

كان لعمر بن كعب بن سعد بنت تسمى « ربطة » وكانت إذا غزلت الصوف أو شيئاً آخر نقضته لحمقها . . حتى يصبح لافائدة منه فلا هو غزل تنتفع به ولا صوف يُنتفع به فكذلك الذي يعطي العهد ثم يقطعه لا هو وفي بالعهد إذا اعطاه ولا هو ترك العهد فلم يعطه^(١).
ومامن عاقل يرضي لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه ولا فائدة .

* التنفير من الغيبة :

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الاسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لاتمس وهي من كرامة المجموع والغبية والنميمة والتجسس على عورات الناس كلها أمور من شأنها أن تهدم هذا الصرح المتين الذي بناه القرآن وتعهده من وقت لآخر بالتربية والتعليم ومن شأنها أن تمزق هذا المجتمع العظيم وتقطع أوصاله وتجعله فرقاً وشيعاً تسوده الأحقاد والبغضاء وسفك الدماء .

فكان لا بد من من المحافظة على هذا المجتمع وحمايته من هذا الخطر ولا يمكن تحقيق هذا إلا بوضع حاجز نفسي دون هذا العمل وتنفير الناس منه . فضرب لهذا العمل الشنيع مثلاً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٢).

فشبه اغتيال المسلم لأخيه بأكل لحمه وهو ميت (وذلك ان . . المغتاب لما كان يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حالة غيبة روحه عنه بالموت ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه لكونه غائباً عن ذمة كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه)^(٣) .

وهكذا وضع الله سبحانه وتعالى حداً للغيبة وأضرارها الجسيمة بهذا الحاجز النفسي الذي يبعدهم عن هذا العمل الشنيع وينفرهم منه ليعيش الناس في مجتمع نظيف آمنين على بيوتهم وأسرارهم وأعراضهم .

(١) الأمثال من الكتاب والسنة - الترمذي - ص ٢٤

(٢) الحجرات/ ١٢

(٣) أعلام الموقعين - ابن قيم الجوزية - ج ١ - ص ١٧٠ - دار الفكر بيروت .

٣ - تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المستقبل :

فالتمثيل في بعض الأحيان يكون أفضل أسلوب إعلامي لتقريب المراد إلى ذهن المخاطب من الأمثلة على هذا .

* تشبيه عمل الكافر بالرماد :

إن الإيمان في الإسلام هو الأصل الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير وتتعلق به كل ثمرة من ثماره وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته صائر إلى ذبول وجفاف وبهذا يتحقق التكامل والتناسك في جميع الأعمال فتتناسق وتتعاون وتسلك طريقاً واحداً في حركة واحدة لها دافع معلوم وهدف مرسوم .

لذا فإن القرآن الكريم أهدر قيمة كل عمل لايعود إلى هذا الأصل بأسلوب من شأنه أن يقرب هذا المعنى إلى النفوس ويقنعها به فساق لهم مثلاً بين لهم فيه أثر الكفر ونتيجته على الأعمال فشبه أعمال الكافر بالرماد الذي هو أدق الأشياء وأخفها فإنه إذا اشتدت به الريح لا يبقى منه شيء فكذلك أعمال الكافر إذا هبت عليها ريح الكفر فإنها تزيلها ولا تبقى لها أثراً وما ذلك إلا لأنها لا تستند إلى أساس قوي من الإيمان والعقيدة قال تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (١) .

يقول سيد قطب رحمه الله في معرض تفسيره لهذه الآية (هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكافر فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالبائع وتصل البائع بالله مفككة كالهباء والرماد لا قوام لها ولا نظام فليس المعوّل عليه هو العمل ولكن باعث العمل . فالعمل حركة آلية لا يفرق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالبائع والقصد والغاية (٢) .

وفي هذا المثل المضروب تحذير من الكفر والحض على اجتنابه لما له من آثار سيئة على الأعمال الصالحة حتى أنه يجعلها عديمة الفائدة والأثر فيخسر صاحبها دنياه وآخرته .

(١) إبراهيم/١٨

(٢) في ظلال القرآن المجد ٤ - ص ٢٠٩٤

* تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون :

قال تعالى : ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١) .
فهذا النص القرآني يطلعنا على الحور العين في الجنة وهن ذوات صور يمكن إدراكها بالحس
الظاهر ولكن هذا متعذر في الدنيا مما جعلهم مجهولات الحال لنا . فضرب الله لنا مثلاً
يُقَرَّبُ لتصورنا ما هن عليه من جمال وكمال يسر القلب ويروق الخاطر « فهن كاللؤلؤ الرطب
الصافي البهي المستور عن الأعين والريح والشمس الذي يكون لونه من أحسن الألوان لا
عيب فيه بوجه من الوجوه » (٢) .

فأسلوب المثل في الحقيقة من أجمل الأساليب الإعلامية وأسلسها في تقريب الأمور التي
لا يمكن إدراكها بالحس أو التصور سواء كان المارد من تقريها الترغيب فيها أو التنفير منها
أم لتحقيق غرض آخر من أغراض المرسل . فعلى كل حال هو أسلوب إعلامي يفهمه
الخاصة والعامة على السواء .

٤ - احضار المعنى المراد في نفس المستقبل بصورة المثل الذي مثل به ، فإن احضار المعنى
المراد في نفس المستقبل بصورة المثل الذي مثل به « قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه
واستحضاره له باستحضار نظيره » فإن النفس تأنس بالنظائر والأشياء الأنس التام » (٣) .

مثاله من القرآن :

* احضار ضرر الشرك وفائدة التوحيد في نفس المستقبل :

لما كان الشرك هو العامل الأول في القضاء على السعادة البشرية التي أرادها الله تبارك
وتعالى للبشرية لأنه يجثم على قلب الإنسان ويغطي عقله ويضعف إرادته فيسهل انقياده
إلى شهواته وأهواء أوليائه فيشقى بذلك في حياته وبعد مماته .

لما كان الكفر يفعل هذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يحضر ضرره في نفس المستقبل
لجذب انتباهه بأسلوب من أروع أساليبه غير المباشرة فضرب له مثلاً ليصور له به هذا
المعنى بوضوح ويجعله ماثلاً في نفسه قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء

(١) الواقعة/ ٢٢ ، ٢٣

(٢) تفسير كلام المنان ح ٧ - ص ٢٦٤

(٣) أعلام الموقعين - ح ١ - ص ٢٣٩

متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون ﴿١﴾ .
 فهذا المثل كما نلاحظ لم يبين بصراحة ضرر الشرك وفائدة التوحيد ولكنه استحضر هذا
 المعنى في ذهن المستقبل العاقل بصورة المثل الذي مثل به . فكما أن العبد المملوك لعدة
 أشخاص يتخاصمون فيه وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه وتكليف وهو حائر متمزق
 الاتجاهات والقوى لا يستوي بالعبد الذي يمتلكه سيد واحد وهو يعلم مايطلبه منه ويكلفه
 به فهو مستريح مستقر على طريق واحد صريح وواضح . كذلك المشرك الذي يعبد آلهة
 متعددة مع الله لا يستوي مع المؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا يشرك به شيئاً .
 وبهذا المثل يكون القرآن الكريم قد حرك الضائر الحية وأثار العواطف والمشاعر للتحرر
 من الشرك وافراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة .

* احضار ضعف الأدياء من دون الله وأن القوة لله جميعاً في نفس المستقبل

إن في هذا الكون قوة واحدة هي قوة الله عز وجل وماعداها من قوة الخلق فهي قوة
 واهية وهزيلة فأراد الله سبحانه وتعالى : إحضار هذا المعنى في نفس المستقبل فضرب له
 مثلاً قال فيه : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن
 البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ (٢) . فهذا المثل أحضر حقيقة الإلحاد إلى
 غير الله تبارك وتعالى والتعلق به في الشدائد طلباً منه النصرة والعزة والنفع في نفس
 المخاطب وجذب انتباهه إلى أن من يفعل ذلك كمثل العنكبوت الضعيفة التي اتخذت
 لنفسها بيتاً من خيوط واهية ليحميها من الآفات والمصائب فهي وما تحتتمي به سواء في
 الضعف والوهن والغرض الإعلامي منه دفع المخاطب إلى عدم التعلق واللجوء إلى غير الله
 عز وجل في السراء والضراء .

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المثل المضروب وعملوا بمقتضاه لصاروا أقوى من جميع
 القوى المعارضة لفكرهم وعقيدتهم ولداسوا كبرياء الجبابة في الأرض ولدكوا معاقلهم
 وحصونهم ولعادت لهم السيطرة والقوة والمنعة كما كانوا من قبل .

وأظن أن ماقدمته من أمثال يكفي لبيان أن هذا الأسلوب كان من الأساليب الإعلامية
 الناجحة التي استخدمها القرآن الحكيم في كثير من الأحيان لتحقيق بعض أغراضه

(١) الزمر/٢٩

(٢) العنكبوت/٤١

الإعلامية الهامة لما لها من وقع خاص في النفوس وبلاغ مبين في الموعظة وقوة عظيمة في الإقناع قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ﴾ (١).

وقد اسعان بهذا الأسلوب الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة وإقامة الحجة على الناس . فعلى المسلمين اليوم الاستفادة من هدى القرآن في هذا الأسلوب والإستعانة به في إعلامهم لتوضيح الحقائق والترغيب فيها أو التنفير منها بتقريبها والتشويق إليها عن طريق ضرب الأمثال .

رابعاً : أسلوب الحكيم :

إن القرآن ظل يتحرك ويعمل وينشئ تصوراً جديداً ويقاوم التصورات الجاهلية داخل الأمة الإسلامية وظل أيضاً يدافع عن هذه الأمة وبقايا العثرات مدة ثلاثة وعشرين عاماً بشتى الأساليب والطرق وذلك لأن الله سبحانه وتعالى نزل هذا القرآن لينشئ فيها حياة كاملة ويحركها ويقودها إلى شاطئ الأمان بين الأشواك والعثرات ومشقات الطريق التي تتناثر فيها العقبات وكانت نتيجة ذلك :-

أولاً : برزت أوضاع جديدة في المجتمع الجديد الذي جعل يأخذ شخصيته الخاصة ويتعلق به الأفراد تعلقاً وثيقاً . فلم يعودوا أولئك الأفراد المبعثرين ولاتلك القبائل المتناثرة إنما عادوا أمة لها كيان ولها نظام ولها وضع يشد الجميع إليه ويهم كل فرد فيه أن يعرف خطوطه وارتباطاته وهي حالة جديدة أنشأها القرآن الكريم بسياسته وطريقته في القيادة .

ثانياً : تغلغلت العقيدة الجديدة وسيطرت على نفوس الناس حتى صار كل أحد يتحرج أن يأتي أمراً في حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأى العقيدة فيه وشعورهم هذا جعلهم يقفون دائماً على قدم الإستعداد لتلقي كل توجيه من العقيدة الجديدة لتصوغ حياتهم الجديدة على أساسها مبرأة من كل شائبة .

لذا نرى القرآن الكريم يطالعنا بكثير من المواقف التي يسأل فيها المسلمون نبيهم ﷺ عن شئون شتى تصادفهم في حياتهم الجديدة يريدون معرفة كيفية السير فيها وفق تصورهم

(١) العنكبوت : ٤٣ .

ونظامهم الجديد ولقد عمّت هذه الأسئلة على كثير من الأمور حتى انها شملت ظواهر الكون الذي يعيشون فيه .

كما يطالعنا بأساليبه الإعلامية في اجابته عن كل سؤال وعلى كل تساؤل يصدر من هذه الجماعة ومتابعته للأحداث الهامة وطريقة معالجته للمشاكل الخاصة والعامة في الحياة اليومية والمستقبلية .

معنى أسلوب الحكيم :

ومن خلال تطلعاتنا في القرآن الكريم نلاحظ ظاهرة غريبة في بعض الأحيان وهي أنه يعدل في بعض أجوبته عما تقتضيه بعض الأسئلة الموجهة . ولقد أطلق السكاكي على هذا النوع من الإجابات « أسلوب الحكيم » وكل أساليب القرآن الكريم حكيمة . كما عرّف هذا النوع من الأساليب « على بن محمد الجرجاني » بأنه عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم^(١) .

ولقد اتبع القرآن الكريم هذا النوع من الأساليب لأنه بصدد انشاء أمة لها تصور خاص ونظام خاص ومجتمع خاص تستطيع أن تصنع المعجزات في انقاذ البشرية من الهاوية وقيادتها إلى بر الأمان .

وعلى هذا الأساس نشاهده لايشغل نفسه فيما لافائدة منه في المهمة التي جاء من أجلها ولكنه لا يضيع ولا يغفل أى فرصة ليلفت الأنظار إلى كل ماله علاقة مباشرة أو غير مباشرة بما يهم سعادة الناس في حياتهم الخاصة والعامة .

بعض الأمثلة على هذا الأسلوب :

ومن الأمثلة على هذا النوع من الأساليب القرآنية :

قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ .^(٢)

يقول السكاكي (إن اصحاب رسول الله ﷺ سألوا عن الهلال لم يبدوا دقيقاً مثل الخيط ثم يزايد قليلاً حتى يمتلأ ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيهاً على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ماسألوا عنه)^(٣) .

(١) كتاب التعريفات - على بن محمد الشريف الجرجاني - ص ٢٣ مكتبة لبنان « بيروت » سنة ١٩٧٨ م .

(٢) البقرة/ ١٨٩

(٣) الإنشقاق في علوم القرآن ، ج ١ - ص ١٩٦ .

فأخبرهم بأن بها يعرفون مواقيت عباداتهم من الصيام وأوقات الزكاة والكفارات وأوقات الحج كما يعرفون بها مواقيت معاملاتهم كأوقات الديون المؤجلة ومدة الإجازات ومدة العدد والحمل وغير ذلك مما هو من حاجات الخلق فجعله تعالى حساباً يعرفه كل أحد صغيراً كان أو كبيراً عالماً كان أو جاهلاً .

فالقرآن الكريم عدل في جوابه عن مقتضى سؤالهم وهو إخبارهم عن الدورة الفلكية وكيف تتم واتجه بجوابه على هذا السؤال إلى واقع حياتهم العملية وحديثهم عن وظيفة الأهله في واقعهم وفي حياتهم لأن هذا هو المهم بالنسبة لهم في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخهم .

مثال آخر :

قال تعالى : ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (١) .

فهذه الآية تبين لنا أن أصحاب النبي ﷺ سألوه عن حقيقة ما ينفق من الأموال فأجيبوا ببيان طرق إنفاقها تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه .

فأخبرهم أن كل ما ينفق من الأموال يكون للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ميمون بن مهران بعد تلاوته لهذه الآية (هذه مواضع النفقة ماذكر فيها طبعاً ولا مزماراً ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان) (٢) .

وبفضل هذا التوجه يكون قد ربط جميع طوائف المجتمع في رباط التكافل الإجتماعي الوثيق بين بنى الإنسان في إطار العقيدة المتين .

وكان في هذا التوجيه تنبيهاً لهم على أن معرفة هذه الأمور التي أرشدهم إليها أعظم بكثير مما سألوا عنه وطلبوا معرفته من نوع الأموال التي ينبغي الإنفاق منها لأن الإنفاق يكون من كل شيء فيه خير ومنفعة لبني الإنسان .

مثال آخر :

قال تعالى : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم

(١) البقرة/٢١٥

(٢) تفسير القرآن العظيم - المجلد ١ - ص ٣٦٧

الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (١).
(فمن المعروف أن « ما ») تستخدم في السؤال عن ماهية الشيء وجنسه ولما كان هذا السؤال في حق البارئ سبحانه وتعالى خطأ لأنه لا جنس له فيذكر ولا تدرك ذاته عدل موسى عليه السلام إلى الجواب بالصواب ببيان الوصف المرشد إلى معرفته (٢).
فقال له إن ماسألتني عنه هورب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغه سلطانك يا فرعون ولا علمك .

ولاشك أن جواب موسى عليه السلام هذا يكفي ذلك التجاهل الذي بدى من فرعون ويغويه لأنه يوحى باستصغار فرعون وبطلان ما يدعيه من ألوهية كما أن فيه إلفات لنظر فرعون إلى هذا الكون الهائل والتدبر والتفكر فيه لكي يتوصل إلى حقيقته وحقيقة رب العالمين لأن هذا هو الأجدر به ويقومه أن يبحثوا ويسألوا عنه لا عن ماهية الله سبحانه وتعالى .

فتعجب فرعون من جواب موسى وعدم مطابقته للسؤال لذا التفت إلى من حوله . وقال لهم « ألا تستمعون ؟ » أى إلى جوابه الذي لم يطابق السؤال .

ولم يتأخر موسى عليه السلام في الرد عليه وعلى قومه بصفة أخرى من صفات رب العالمين فقال « ربكم ورب آبائكم الأولين » ليطل بذلك ما يعتقدون من ربوبية فرعون نصاً وإن كان دخل في الأول ضمناً . لذلك لم يطق فرعون السكوت لأن الملاء حوله يستمعون إلى الحقيقة التي تدمر كل ما يعتمد عليه في دعواه للألوهية ومن ثم رمى قائلها في تهكم بالمجنون .

« قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون » ولما لاحظ موسى عليه السلام عدم فطنة قومه أغلظ عليهم في الثالث بقوله « رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون » .

وبهذا الأسلوب وصل القرآن الكريم بقلوب الناس إلى الغرض المنشود في رفق وفي هدوء وفي غير معسفة ولا اصطناع .

هذا الأسلوب وغيره من الأساليب الإعلامية التي أشرنا إليها فيما تقدم من هذا البحث الموجز أرشدنا إليها القرآن الكريم لنقيم عليها نظاماً إعلامياً فريداً في أسلوبه يأخذ بيد الإنسان كما هو ويبدأ به من حيث هو ثم ينتهي به إلى آفاق لا تصل إليها البشرية بغير

(١) الشعراء/ ٢٣ - ٢٨ .

(٢) الاتفاق في علوم القرآن - ج ١ - ص ١٩٦ .

هذه الأساليب ولم تبلغ إليها إلا حين سارت على هذا النظام في هذا الطريق .
وقبل أن تنتقل إلى الفصل الثاني من هذا الباب يحسن بنا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب ليس مستخدماً الآن في الإعلام على هذا النحو الذي أشرنا إليه وإنما الذي يستخدم الآن في الإعلام شيء آخر يمكننا أن نطلق عليه « أسلوب لفت الأنظار ويتمثل في تركيز وسائل الإعلام على قضايا جانبية وإثارة الضجيج الإعلامي حولها لتوهم الناس بأهميتها وذلك بهدف اشغالهم عن قضايا هامة وخطيرة تتعلق بأمنهم واستقرارهم في الحاضر والمستقبل . وهذا الأسلوب على هذا النحو يعتبر من أهم المبادئ النازية في الدعاية يقول « جوبلز » (يجب أن تعمل الدعاية على تسهيل عملية الإبدال وذلك بتركيز مشاعر الجماهير العدوانية نحو أهداف بديلة مثل كراهية اليهود والبولشفيك) (١) .

ومن الأمثلة على أسلوب لفت الأنظار هذا : الضجيج الإعلامي الذي أثارته إسرائيل وجميع وسائل الإعلام العالمي حول الصواريخ التي نصبته سوريا في لبنان وكان هدفها الحقيقي لفت أنظار العالم العربي والإسلامي عن العملية التي كانت إسرائيل تنوي القيام بها والتي قامت بها بالفعل بعد ذلك بوقت قصير وهي ضرب المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو ١٩٨١ م .

وساعد على انجاح هذا الأسلوب تحكم وكالات الأنباء العالمية في الاخبار الخارجية واعتماد العالم الإسلامي على كل ماتوحيه هذه الوكالات من أنباء مع العلم أن أغلب العاملين بها يهود متعصبون ومن ثم نلاحظ أن الإعلام الإسلامي لا يهتم بقضاياها وإنما يهتم بما يوحى إليه من قبل لوكالات العالمية للأنباء الشرقي منها والغربي كل حسب انتمائه .
ومن الأمثلة على « أسلوب لفت الأنظار » التركيز الإعلامي على الثورة الإيرانية وعلى قضية الرهائن الإيرانيين في ١٩٧٩ م وأخيراً الحرب العراقية الإيرانية ولفت أنظار العالم الإسلامي والعربي إلى كل ما يحدث في هذه المنطقة من العالم وذلك لشغل العالم الإسلامي عن قضية الشرق الأوسط وتحرير القدس من الصهاينة الذين هم في الحقيقة أشد خطراً على هذه المنطقة من كل شيء لأن كل ما يحدث فيها من قلاقل وفتن واشعال للحرائق هنا وهناك إنما هو بفعلهم وتديبرهم الشيطاني لأن هذا هو شأنهم منذ القدم ومن صميم عقيدتهم .

(١) الإعلام الدولي - احمد بدر - ص ٣١٢ - مكتبة غريب « الفجالة »

ولقد نجح أسلوبهم هذا في تحقيق جميع أهدافهم فصارت اسرائيل تسرح وتمرح في المنطقة دون أى تنديد حازم من الاعلام العربي فنفذت جميع مخططاتها في هذه المنطقة من تخريب العالم العربي اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً ومن القيام بعمليات عسكرية بقصد إذلال العرب وتشويه صورتهم في العالم كضرب لبنان من وقت لآخر والقيام بعملية تدمير المفاعل النووي العراقي وأخيراً عقد أخطر تحالف عسكري استراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة على المنطقة .

واعتقد أن العالم العربي في طريقه إلى استعمار أشد من سابقه إذا استمر على هذا الحال من التفكك والتمزق وعدم التركيز واختلاف الأهواء والاتجاهات مما نتج عنه مواقفهم السلبية تجاه جميع القضايا الهامة والتي تهدد أمن وسلامة المنطقة . وإذا استمرت الولايات المتحدة واسرائيل تنتهجان هذا الأسلوب تجاه هذه المنطقة على هذا المنوال . فإنه لن تكون هناك وحدة أو اتحاد في العالم العربي والاسلامي إلا بمعجزة من الله سبحانه وتعالى وهو القادر والقاهر فوق عباده .

الفصل الثاني

بعض طرق تأثير القرآن الكريم

تحدثت في الفصل السابق عن نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم وفي هذا الفصل أبين بعض الطرق التي استند إليها القرآن الكريم في التأثير على الرأي العام . لأنه من المعروف أن من أصعب الأمور تغيير الآراء والمعتقدات الراسخة في نفسية فرد أو في نفسية الشعوب .

ومع ذلك فإننا إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم استطعنا الوقوف على بعض الطرق التي استند إليها في التأثير على الآراء والمعتقدات الباطلة التي كانت راسخة في ذلك الوقت في نفوس الناس وأذهانهم إلى أبعد الحدود وهدايتها إلى الطريق المستقيم ووجدنا أن هذه الطرق صالحة لكل زمان ومكان لتحقيق الهدف المنشود وهو توجيه الناس الوجهة السليمة التي تكفل لهم السعادة في الدارين .

وسأحصر كلامي في هذا الفصل على الطرق الآتية على التوالي :-
ذكر الحقيقة ، التوليد ، التدرج ، التذكير ، التكرار ، التشويق .

١ - ذكر الحقيقة

أعني بذكر الحقيقة هو ما ذكره « رمضان لاوند »^(١) من أنها « مناقشة كل قضية من القضايا المطروحة بمنهج موضوعي لا يلتفت فيه إلى أى عامل من العوامل المعارضة التي تتعارض مع

(١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٦٣

قول الحقيقة (١)

وقبل التّكلم عن ذكر الحقيقة في القرآن الكريم يحسن بي الإشارة إلى قوة هذا المبدأ الإعلامي في التأثير على الرأى العام وترسيخ المعلومات وكسب ثقة الناس . فأقول إن الإعلام الذي يستند إلى قول الحقيقة يكون أقوى في التأثير وأبقى على الزمن من الأكاذيب والتهاويل والشائعات وباستطاعته توثيق العلاقات بين المرسل والمستقبل بحيث لا تشوب هذه العلاقات أى شائبة من الريبة والشك . وليس أخطر على العمل الإعلامي من أن تكذب الوقائع مايجرى على ألسنة الإعلاميين وماتسجله أعلامهم - وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل في الفطر الإنسانية « الدّأب في البحث عن الحقائق والإستمرار في التفتيش عن الحلول الصحيحة والإجابات المقنعة لكل ما يصدر عن الفكر الإنساني من مسائل ومشكلات . . والتي ستظل باقية مابقيت التغيرات والتطورات المادية والمعنوية (٢) والتزام الصدق في عرض الحقائق وروايتها كما وقعت هما الضمان الأساسي للفوز بثقة الناس وقبولهم لأراء المرسل وإذالم تكن أخبار المرسل ملتزمة بالدقة والصدق التام ولو في مرة واحدة من المرات فإن ذلك يسبب للمستقبل ضيقاً شديداً ويزعزع الثقة في رسالة المرسل وأهدافه ونواياه لأن من يكذب مرة لا يأمنه الناس بعد ذلك بالمرة ولذلك عندما أراد الرسول ﷺ الجهر بالدعوة صعد الصفا ونادى قومه وقال لهم « لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي . ؟ فأجابوا جميعاً بصوت واحد ماجربنا عليك كذباً » .

ومن هنا يتضح لنا خطورة هذا المبدأ في الإعلام فإنهم لو أخذوا عليه كذبة واحدة في حياته لكان في ذلك مدخلاً وحجة لهم في عدم قبول هذه الدعوة وصد الناس عنها .
« والواقع أن في وسع الإعلام الموضوعي الذي يتعامل بمقاييس الإستقامة وموازن الموضوعية أن ينتزع الثقة من قلب كل إنسان لا يعارض الحق عن مكابرة وعناد » (٣).

(١) وعلى هذا يكون « بيجن » قد صدق قومه عندما اتخذ قراراً بتطبيق التشريع الإسرائيلي « على مرتفعات الجولان السورية عام ١٩٨١ م الذي يعني الضم الرسمي لهذا الجزء الهام الى فلسطين المحتلة .
ويكون « ريجان » قد حابا الزعماء اليهود عندما أكد لهم تأييده لبقاء القدس موحدة في ظل السيادة الإسرائيلية ولم يصدق العرب عندما أبدى استعداد حكومته في المساهمة لحل قضية الشرق الأوسط وفي إظهاره لهم الصداقة والود والمحافظة على مشاعرهم .

(٢) الإعلام في ضوء الإسلام ص ١٧٧ .

(٣) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٦٤ - بتصرف

ولا عجب إذا في أن يكون الإعلام في القرآن الكريم يعتمد في تأثيره على العرض الموضوعي وقول الحقيقي لأنه يتعامل مع العقول والقلوب والنفوس ويحترمها ويحترم أصحابها . لذا استطاع أن يفوز بثقتها وينجح في التعامل معها . وليس أدل على ذلك من الحقائق التي نجدها في القرآن الكريم والتي جاءت على ألسنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم كحقيقة التوحيد التي هي جوهر الرسالة وحقيقة الوصايا والتوجيهات التي نادى بها جميع رسل السماء والتي لم تتغير ولم تبدل إلى يومنا هذا وحقيقة الحجج والأدلة العقلية والمنطقية التي يصدر بها جميع هؤلاء الرسل للبرهنة على هذه الحقائق . كل ذلك يثبت أن الحق واحد لا يتغير وأن مصدره واحد لا يتغير وأن جميع من حمل هذه الحقائق أخلاقهم واحدة ويسيروا على نهج واحد وخطة واحدة لهداية البشر إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

هذا من حيث عموم ما اشتمل عليه القرآن الكريم من حقائق . وأما من حيث الجزئيات فإن جميع ما في القرآن الكريم من أخبار وتوجيهات حقائق ثابتة .

بعض الأمثلة القرآنية :

ولتتم الصورة ويكتمل المعنى في هذه النقطة الهامة من البحث ينبغي لي الإستشهاد ببعض الأخبار والوقائع التي وردت في هذا الكتاب الحكيم لتوضح كيفية عرضه للحقائق وترسيخها في نفوس الناس وعقولهم .

١ - قال تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (١) .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة لهاتين الآيتين رسوله نوح عليه السلام بأن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين بالإضافة إلى أهله ووعدته بنجاة كل من ركب في هذه السفينة من الغرق وهو يعلم أن وعد الله حق وأنه لا يخلف الميعاد ولكنه ظن أن الوعد شامل لجميع الأهل من آمن منهم ومن لم يؤمن فلذلك دعا ربه بأن ينجي له ابنه حسب وعده له عندما رآه سيهلك مع المالكين فعندها بين الله سبحانه وتعالى له حقيقة الأهل وحقيقة القرابة المعتبرة عند الله بأنها قرابة العقيدة لا قرابة النسب بنوء كانت أم أخوة أم غير ذلك فكل قرابة لا تقوم على أساس العقيدة فهي باطلة ولا اعتبار لها وعلى هذا الأساس فإن ابنك ليس من أهلك الذين

(١) هود/٤٥ - ٤٦ .

وعدتك بإنجائهم لأنه لا يدين بما تدين به وهذه الحقيقة تكررت في عدة مواضع من القرآن الكريم منها ما نزل في عم رسول الله ﷺ « أبي لهب » من وعيد بمصير أسود ينتظره يوم القيامة وهو عذاب الله الأليم قال تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب . . . » (١) . ولم ينجه من هذا المصير كونه عم رسول الله ﷺ ومن أهله وأقربائه وكذلك ما نزل في الوليد بن المغيرة من الوعيد الشديد بما سيلقاه يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ سأصليه سقر . وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر عليها تسعة عشر ﴾ (٢) .

ولم يشفع له من هذا المصير كونه عربياً ومن قوم رسول الله ﷺ وسلم وكان المسلمون يقاتلون كفار قريش وهم أقرباؤهم في الحسب والنسب . فكان الإبن يقاتل أباه والأب يقاتل ابنه وما ذلك إلا لأنه لا اعتبار لهذه القرابة بدون الإشتراك في هذه العقيدة حتى إن الإرث والعصبة لا تكون بين الأقرباء إلا إذا وجد الإشتراك في العقيدة . ومن هنا نتضح لنا حقيقة أخرى وهى عدم جواز قيام أى وحدة أو اتحاد تحت أى شعار غير شعار الإسلام (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

٢ - قال تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾ (٣) .

وكان سبب نزول هذه الآية أن الأدعياء كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام في حكم الأبناء من جميع الوجوه فأراد الله سبحانه وتعالى : ﴿ أن يبين حقيقة الأدعياء وأنهم ليسوا في حكم الأبناء وأن أزواجهم لا جناح على من تبناهم في نكاحهن ﴾ . وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلن عن حقيقة هامة لها صلة مباشرة بآراء الناس ومعتقداتهم جعل لها سبباً حتى تكون أقوى تأثيراً وأشد رسوخاً وهذا واضح من طريقة القرآن ونزوله منجماً حسب الحوادث فكان زيد بن حارثة قد تبناه الرسول ﷺ حتى نزل « أدعوهم لأبنائهم » فصار يدعى لأبيه « حارثة » وكانت تحته « زينب بنت جحش » فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى وذلك لإظهار حكم الزواج بزوجات الأدعياء كما قال سبحانه « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » وهذا من الإعلام العملي المقترن بالقول وهو من أرقى أساليب الإعلام في ترسيخ الحقائق .

(٣) الأحزاب/ ٣٧ .

(١) المسد/ ١ - ٣ .

(٢) المدثر/ ٢٦ - ٣٠ .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (١) .

سبب نزول هذه الآية هو ما ذكر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعد الجبل فسمعت يهودياً يقول : قتل محمد فقلت لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه فنزلت هذه الآية . . . وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (٢) . فعندما ظهر هذا الموقف من الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو صعوبة قبوله واقتناعه بموت رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية تبين الحقيقة وتذكر بها وهى أن الرسول ﷺ من جنس الرسل الذين قبله وظيفتهم تبليغ رسالة ربهم ، وتنفيذ أوامره ليسوا بمخلدين وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله لأن الواجب على الناس عبادة ربهم في كل وقت وعلى كل حال ولا يجوز لأى إنسان كائناً من كان ترك ما جاء به الرسول ﷺ من إيمان وجهاد أو دفع زكاة بمجرد موت الرسول ﷺ كما يعتقد بعض الناس ولقد ظهر هذا الاعتقاد الذي تحذر منه هذه الآية بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ارتد كثير من العرب عن الإسلام بالكلية أو امتنع عن القيام ببعض أركانه كالزكاة مثلاً . فتصدى لهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق بحزم حتى أعاد الناس في جزيرة العرب إلى الاسلام .

« وعلى هذا فقس فإن كل ما جاء به القرآن الكريم من أخبار وإرشادات وتوجيهات فهى حقائق سواء منها ما كان يتعلق بسياسة الدولة أو الأفراد والجماعات أو ما يتعلق منها بإصلاح المجتمع والأخلاق » (٣) .

والسبب فى ذلك كما يقول رمضان لاوند « إنه لا يقصد من وراء ما يدعوا إليه وينادى به وفى طريقة معاملته للناس مصلحة آنية ولا كسباً سياسياً مرحلياً ولا يهتم بتحقيق أغراض طارئة » (٤)

إنه الإعلام الذى يصدر عن الحق ولا يقول إلا الحق الذى تشده الفطرة الإنسانية السليمة .

لذا أمر الله نبيه الكريم ﷺ بأن يصدع بهذه الحقيقة « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . . . »

(٣) من قضايا الإعلام فى القرآن - ص ١٥٥

(٤) نفس المرجع - ص ١٥٧

(١) آل عمران / ١٤٤

(٢) فتح القدير - ج ١ ص ٣٨٨ .

أى أنهم يدعون إلى الله على علم وبصيرة بما يدعون إليه ولذلك لا يقومون إلا بعرض الحقائق وكل ما لهم به علم وأنهم لا يدعون الناس إلى شيء يجهلونه أو على شك منه .
مكانة الصدق في الإعلام القرآني :

ولجلالة مكانة الصدق وعلو شأنه ذكر القرآن الكريم اتصاف الله تبارك وتعالى بصفة الصدق في مواضع كثيرة قال تعالى : ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا . . ﴾ (١) .
وقوله تعالى : ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ (٢) .
وقوله تعالى : ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ (٣) .
فهذه الآيات تدل على أنه لا أحد أصدق من الله لأن كلامه تعالى صادر عن العلم المحيط بكل شيء . ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى فلا يحتمل أن يكون خبره غير صادق لنقص في العلم كما لا يجوز أن يكون كذلك لغرض أو حاجة لأنه تعالى غني عن العالمين .
وأما خبر غيره فيحتمل الصدق والكذب عن عمد وعلم أو عن جهل وسهو ولذا لا يجوز إثارة أخبار المخلوقين على أخباره جل وعلا كما يفعل كثير من المقلدين الضالين ﴾ (٤) .
وكذلك نجد القرآن الكريم يصف رسل الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام بالصدق وذكر الحقيقة قال تعالى : ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ (٥) . فمن الطبيعي إذا أن يكون الرسول ﷺ قدوة وأسوة ومثلاً في الصدق وأن يظهر خلق الصدق فيه منذ نشأته تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ الله يعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٦) .

الترغيب في ذكر الحقيقة والتنفير من حجبها :

ولعلم الله سبحانه وتعالى أن الباطل والكذب قرينان لطباع كثير من الناس ملائمان لشهواتهم استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في الحض على الصدق والإلتزام به فبين محاسنه ورغب فيه كما نهى عن الكذب وبين مساوئه وخوف منه في مواضع كثيرة من القرآن الحكيم حتى يرسخ في أذهان الناس أن الصادق المحق عظيم المنزلة عند الله عز وجل وعند

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) انظر هذا المعنى في تفسير المنار ج ٥ ص ٣١٧ « بتصرف » .

(٥) سورة يس : الآية ٥٢ . (٦) سورة الأحزاب : الآية ٢٢ .

(٧) موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي - ج ١ ص ٤٣ - مكتبة الرائد العربي « بيروت » .

خلقه والكاذب المبطل ساقط المنزلة عند الله وعند خلقه قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) .
ففي هاتين الآيتين ترغيب في الصدق وقول الحقيقة والتصديق بها حيث جعلها عنوان التقوى ولقد وصف من قام بالكذب بالظلم وتوعده بالعذاب الأليم وذلك للتنفير من الكذب والكذابين قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ (٣).

وقوله تعالى في مجال الإعلام بهذا الدين ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (٤).

وكما أن القرآن الكريم دعا إلى التثبت وتحري الحقيقة فإنه أيضاً بين الآثار الضارة التي تترتب على إهمال ذلك قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٥).

فالله سبحانه وتعالى يأمرنا في هذه الآية بالتثبت في خبر الفاسق لأن في قبول خبره على الإطلاق خطراً كبيراً على الأمة لما قد يحصل بسببه من إتلاف النفوس والأموال بغير حق .
وباستطاعتنا تصور مدى خطر قبول خبر الفاسق بدون تحفظ عندما نعلم أن سبب نزول هذه الآية هو « أن الرسول ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضي الله عنه لأمه مصداً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم » (٦) وقال تعالى أيضاً في معرض بيان الآثار الضارة التي تترتب على الظن وعدم التثبت من الحقيقة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (٧).

نهى الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية عن كثرة الظن وهو كثرة الإتهام للناس لأن بعض ذلك يكون كذباً وبعيداً عن الحقيقة والواقع مما يترتب عليه الإثم المحض « وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « ولا تنظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن

(١) التوبة/ ١١٩

(٢) الحجرات/ ٦

(٣) الزمر/ ٣٣

(٤) تفسير أبي السعود : ج ٥ ، ص ١٧٤ - مكتبة الرياض الحديثة .

(٥) الزمر/ ٣٢

(٦) سورة الحجرات : الآية « ١٢ » .

(٧) الحاقة/ ٤٤ - ٤٦

إلا خيراً تجد لها في الخير محملاً . . . وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً » تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه » (١).

هذا فيما يتعلق بالصدق في الأقوال وأما ما يتعلق بالصدق في الأفعال الذي هو ضرورة من ضرورات الإعلام الإسلامي فقد قال الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (٢) أى أنهم صدقوا الله تعالى بالوفاء بعهدهم فأكملوها على خير وجه وبذلوا مهجهم في مرضاته وسبلوا نفوسهم في طاعته .

وقال ابن القيم في معرض كلامه عن الصدق في الأقوال والصدق في الأفعال : (ان الصدق في الأقوال هو استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها . . والصدق في الأحوال هو استواء اعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة) (٣) .

وما تقدم يتضح لنا مدى أهمية الصدق في الأقوال وفي الأفعال بالنسبة للإعلام الإسلامي وأنه لا بد من مراعاتها إمتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وذلك في كل عمل إعلامي مهما كانت الظروف والأحوال إلا ما استثنى منها بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه والذي سأتكلم عنه في النقطة التالية إن شاء الله تعالى .

الحالات التي يجوز فيها الكذب في الإعلام :

والآن وبعد أن عرفنا الصدق ومعنى ذكر الحقيقة في الإعلام وأهمية ذلك بقى علينا معرفة أن الإعلام الإسلامي يجوز فيه الكذب في حالتين فقط .
الحالة الأولى : يجوز للإعلام الإسلامي أن يكذب ويحجب الحقائق إذا كان في حرب نفسية أو عسكرية مع الأعداء وعليه بذل كل الجهود في تضليلهم والقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم . وذلك يكون بهندسة الأساليب الإعلامية وإخراجها بطرق فنية وذكية

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ، ص ٢١٢ - دار احياء التراث العربي بيروت .

(٢) سورة الاحزاب : الآية (٢٣) .

(٣) موسوعة أخلاق القرآن : ج ١ ، ص ٤٧ مكتبة الرائد العربي - بيروت

توحي بمعلومات من شأنها تضليل العدو وغرس روح الهزيمة في صفوفه تحت ستار من الحقائق الموهومة كأن تنشر وسائل الإعلام أن قائد جيش الأعداء قد مات أو قتل ويكون القصد بذلك قائداً لهم في الأزمان الماضية وكأن تنشر أن الجيش الذي سيحارب الصين مثلاً أوله في أرض المعركة وآخره في منابت الزيتون . وهذا ما فعله « هبيرة بن المشمرج الكلابي » عندما بعثه قتيبة بن مسلم على رأس وفد للتفاوض مع ملك الصين فقال له ملك الصين انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه فقال له هبيرة : كيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟^(١) إلى آخر ما قاله مما كان سبباً في فتح الصين سلماً ونزول ملكها على شروط المسلمين .

ومن الكذب في الإعلام أيضاً أن يقوم القائد الاسلامي بتنظيم بعض العمليات العسكرية داخل أرض العدو وينسبها للإسلامي إلى منظمات داخل أرضه ويعمل سبب قيام هذه المنظمات بتلك العمليات بأنها تعاني من الجور والإضطهاد والظلم الشديد الذي جعلها غير راضية عن سياسة الحكم في بلادها فلجأت إلى القوة والعمل المسلح لتغيير نظام الحكم فينقسم العدو على نفسه وتضعف بذلك قوته . أو ينسب هذه العمليات إلى دولة صديقة للعدو ويعمل ذلك بعدة أمور تزرع الخلاف والشقاق بين الدولتين العدوتين فتضعف بذلك قوتها .

والواقع أن الكذب في الحروب ليس كذباً لأن أي أمة عندما تعلن الحرب على أمة أخرى تكون بذلك قد ألغت ما بينهما من تفاهم وتبادل منافع وحيث لاتفاهم ولاتبادل منافع فإنها ستفعل كل ما تستطيعه من أجل تحقيق النصر حتى ولو أدى بها ذلك إلى الكذب والتضليل والخداع « فمثلاً مثل من قال الآخر : سأقص عليك خبراً كاذباً ثم قص عليه فليس هذا كذب لأنه لم يخبره بغير ما يعتقد فإن اعتقد السامع صدق الخبر فاللوم عليه »^(٢) .

والحالة الثانية : يجوز للإعلام الاسلامي الكذب وحجب الحقائق إذا كانت هناك طائفتان مسلمتان في نزاع أو صراع بينهما . فلا بد للإعلام الاسلامي أن يبذل كل جهوده من أجل احتواء هذا النزاع والتخفيف من حدته والقضاء عليه ولو أدى ذلك إلى الكذب بأن يحرص

(١) تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبري - المجلد ٤ - ج ٨ ص ١٠١ - دار احياء التراث العربي - بيروت

(٢) كتاب الأخلاق - احمد امين ص ١٩٠ مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .

على أن يكون جميع ما ينشره أو ينقله من أقوال وتصريحات لبعض المسؤولين في طرف من أطراف النزاع عن الطرف الآخر جميلاً ويؤوّل ما كان منها قبيحاً لأن نشره يمكن أن يزيد الخلاف ويحدّ من فرص الإتفاق . كما أنه لا بد أن يقوم بتكذيب كل ماتشره أجهزة الإعلام الأجنبية حول هذا النزاع ولو كانت صادقة إذا كان في ما تنشره من أخبار يزيد الخلاف بين الطرفين أو ينقله إلى غيرهم .

وهاتان الحالتان لا يمكن للإعلام الإسلامي تحقيقهما مع ما ينطويان عليهما من أهمية إلا إذا كانت هناك وكالة أنباء إسلامية قوية تعتمد عليها أجهزة الإعلام في جميع المعلومات (١) وأما إذا ظلت هذه الأجهزة على ما هي عليه الآن من الإعتماد على وكالات الأنباء الأجنبية في جميع المعلومات والأخبار فإن الوضع بلا شك سينعكس تماماً وتقع الشعوب الإسلامية في التضليل الإعلامي في الحرب والسلام على السواء كل ما كانت هناك حاجة للأعداء في تضليل الرأي العام الإسلامي كما أن خلافاتها ستنتشر وتزداد عمقاً في كل المجالات الفكرية والعملية .

وهناك حالة ثالثة : أجاز الإسلام الكذب فيها « وهى كذب الرجل لزوجته وكذبها له إذا كان المراد منه إظهار الود والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك وأما إذا كان المراد منه المخادعة في منع ما عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أولها فهو حرام باجماع العلماء » (٢) والإسلام أجاز الكذب في هذه الحالة لأن النزاع بين الزوجين لا يقتصر عليهما بل يعرض الأسرة كلها للضياح وهو أساس المجتمع .

وهذه الحالات الثلاث التي أشرنا إليها آنفاً مستفادة من الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه والذي يقول فيه « إن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله تعالى عنها أخبرت أنها

(١) إنه في بعض الأحيان يصعب على أجهزة الإعلام المتخصصة بجمع المعلومات الحصول على المعلومات الهامة التي تتعلق بأمن الإسلام والمسلمين وخصوصاً في بلاد الأعداء . . ففي هذه الحالة يتحتم على قادة الأمة بذل الجهود في تسهيل هذه الصعاب حتى ولو أدى ذلك إلى تجنيد بعض المسلمين ودفعهم إلى التسلل بطرق غير نظامية إلى داخل أراضي العدو وبين صفوفه للحصول على هذه المعلومات وهذا ما نستفيدة من العمل الذي قام به « نعيم بن مسعود » في غزوة الخندق وقول الرسول ﷺ « إنما الحرب خدعة » . ومن ارسله ﷺ « لحذيفة بن اليمان » ليأتيه بخبر العدو في نفس الغزوة . وما فعله « عكاشة بن محصن » في سرية عبدالله بن جحش عندما حلق رأسه لإيهاهم عير قريش التي مرت بهم انهم قاصدون إلى البيت الحرام لأداء العمرة وليشعرهم بالأمن والإطمئنان حتى يتسنى له ولبن معه تنفيذ ما استقر عليه رأيهم في سر ودقة تأمين .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - المجلد ٨ - ج ١٦ ص ١٥٨ - دار الفكر - بيروت بتصرف .

سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً قال ابن شهاب : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقوله الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ^(١)

والحقيقة أن التزام الإعلام الصدق في كل مايقول ويفعل يحتاج إلى إيمان قوى وعزيمة صادقة واحتمال كريم لتبعات الصدق . قال ابن القيم « حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي لا يطيقه إلا أصحاب العزائم » وقال الجنيدي « حقيقة الصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب » ^(٢) وأقوم طريق يوصل إلى الصدق وذكر الحقيقة أن يخالف رجل الإعلام هوى نفسه وأن يوافق الحق والعدل مهما كان مرّاً .

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن هذه السمة « أى سمة ذكر الحقيقة » والصدق في جميع الأحوال والظروف والتي امتاز بها الإعلام القرآني هي التي جعلته يغير الرأي العام في جميع المجالات في العقيدة والأخلاق والمعاملات في مدة وجيزة من الزمن .

ما هو المفروض في الإعلام المعاصر ؟

والمفروض في الإعلام المعاصر أن يتوخى الصدق والحقيقة في جميع أساليبه لأن هذا هو مايدعوا إليه القرآن الكريم وتؤكدته الدراسات الحديثة في مجال الإعلام وأثره في المجتمع حتى أن لجنة حرية الصحافة « ذهبت إلى أن أولى وظائف هذه الوسائل في المجتمع المعاصر هي إعطاء تقرير صادق وشامل وذكي عن الأحداث اليومية في سياق يعطي لها معنى ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة تميز بين الوقائع والآراء وتفصل بينهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً » ^(٣) لأن الإعلام الذي يعتمد في أساليبه على نقل الحقائق إلى أمتة يمنع تداعيها وتضليلها وأما إذا أخفق في ذلك فإنه سيقودها إلى كثير من المآسي والآلام كما حدث ذلك في مصر عام ١٩٦٧ م حينما لم يقدم الإعلام المصري الحقائق « إذ كان يرفع شعارات الحماس والإنفعال . . . ويقدم الأكاذيب إلى شعبه بدلاً من توجيهها إلى عدوه بالطرق الذكية على أنها حقائق ومن ذلك ما أذاعه مدير صوت العرب في ١٦ مايو ١٩٦٧ م في تعليق له ذكر فيه قوة إسرائيل العسكرية بأنها تشتمل على عدد من دبابات « سبرمان »

(١) نفس المرجع ص ١٥٧

(٢) موسوعة أخلاق القرآن - ج ١ - ص ٤٩ .

(٣) فن التحرير الإعلامي - عبدالعزيز شرف - ص ١٣٤ - الهيئة المصرية للكتاب « القاهرة » .

القديمة . . . ومدافع فرنسية عيار ١٠٥ ملليمترات وأنها لا تمتلك جيشاً يستطيع الإشتراك في المعارك النظامية » (١).

وكان الهدف من هذه الأكاذيب والشائعات تحقير قوة إسرائيل العسكرية ورفع معنويات الشعب وطمأنته بالنصر خوفاً من تفككه وتداعيه عند معرفته حقيقة إسرائيل التي كانت تعد العدة لهذه الحرب منذ أمد بعيد وحقيقة العرب الذين كانوا في ذلك الوقت يغطون في نوم عميق أو يضرب بعضهم البعض الآخر بحجة توحيد العرب تحت شعار القومية أو البعث أو غير ذلك من الشعارات ولم يعدوا للحرب عدته .

لذلك عندما وقعت الهزيمة عام ١٩٦٧ م واجتاحت إسرائيل الجيوش العربية في أيام معدودة وعندما عرفت الجماهير العربية حقيقة الأمر أصيبت بصدمة وحالة من الذهول .

حجب الحقائق من أخطر أساليب الحرب النفسية :

والجدير بالذكر أن الإعلام العالمي اليوم اعتمد في حروبه النفسية على قول غير الحقيقة وترديد الشائعات وتزوير الأخبار وتلفيق الوقائع .

وهذا يعتبر من أخطر الأساليب في تغيير الرأي العام المحلي والعالمي تغييراً خطيراً لصالح تلك الدول التي تقوم بهذا العمل الدنيء على حساب حجب الحقائق لتفتك بحريات الشعوب النامية والمحبة للسلام .

ومن الأمثلة على ذلك الحملة النفسية المنظمة التي شنتها ومازالت تشنها القوى المعادية ضد الإسلام والمسلمين أثناء الصراع العربي الإسرائيلي معتمدة في ذلك على أسلوب نشر الشائعات والأكاذيب بهدف تحطيم نفسياتهم قبل أن يبدأ جيشهم بالتحرك والدخول في المعركة فشوشت الأذهان وجعلت الشعوب العربية في حيرة وتردد ورعب مميت وساعدها على تحقيق ذلك الغياب الإعلامي للدول العربية ومساعدة وكالات الأنباء العالمية لها . مع العلم بأن جميع هذه الوسائل تدعى أنها تتحرى الصدق وذكر الحقيقة ومهما إدعت هذه الوسائل أو قيل عنها بأنها تتحرى الصدق والحقيقة فإن ذلك لا يعدو كونه طريقة ذكية لتحقيق المصالح والأهداف لأن كل ماتقدمه هذه الوسائل من حقائق تكون في أغلب الأحيان غلاباً لما تقصده من تخريب وتدمير للشعوب النامية والمحبة للسلام . فعلى هذا

(١) نفس المرجع - ص ١٣٥ - بتصرف .

يكون كل ماتقدمه هذه الوسائل من حقائق إنما هو بهدف تحقيق المنافع الخاصة لا بسبب الحرص على تقصى الحقائق والمحافظة على الأخلاق .

وهذا أمر طبيعي ولا نتوقع منهم غير هذا لأن القرآن الكريم قد حذرنا منهم وأخبرنا في كثير من آياته أنهم أعداء ولن يرضوا عنا في حال من الأحوال حتى تتبع ملتهم .

ويسبب الحملات الإعلامية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء في عصرنا هذا والتي تعتمد على أساليب الدعاية والكذب والاختلاق وحجب الحقيقة فقد أصبح كثير من المفكرين الإعلاميين من أمتنا يشعرون بضرورة إيجاد إعلام إسلامي يعتمد على الأسلوب النقي النظيف الذي يقول الحقيقة ويصدق أمته مهما كانت الصعاب . ولا يمكننا تحقيق ذلك إلا إذا عبأنا كل مانملكه من وعى وحماسة وإمكانات مادية وفنية للتحرر من تضليل الإعلام الوافد الذي يستظل بالتقدم التكنولوجي العصري .

ونعتمد في إعلامنا على مانستفيدة من الهدى الإعلامي في القرآن الكريم حتى نستطيع الوقوف بشموخ في وسط هذا الصراع الإعلامي الخطير الذي أصبح يسود عالمنا اليوم والذي أصبح تأثيره شاملاً لجميع ميادين الحياة البشرية ونستطيع أيضاً توجيه شعوبنا وأمتنا التوجيه السليم نحو الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة وذلك عن طريق ذكر الحقائق وتوليدها .

٢ - التوليد :

وهذه طريقة أخرى من طرق القرآن الكريم في التأثير وترسيخ المعلومات والأفكار في النفوس فإذا قرأت القرآن الكريم وتأملت فيه تجده في كثير من الأحيان يعمد الى حذف بعض الأفكار والحقائق التي لا يمكن أن يصح المعنى الظاهر أو يتم إلا بالعمل بها ولكنه في الوقت نفسه يسبك تلك المعاني الباقية بطريقة تجعل جميع الأفكار والمعاني لازمة للمعنى المتبادر من ألفاظه وإن كانت غير مفهومة من الألفاظ ولا مقصودة من السياق وقد يكون وجه التلازم ظاهراً وقد يكون خفياً يحتاج إلى دقة نظر ومزيد تفكير وقد يفهم بأدنى تأمل وعلى هذا يكون مرادنا بالتوليد كما هو واضح من معناه : - استخراج حقائق وأفكار غير مفهومة من الألفاظ ولا مقصودة من السياق ولكنها لازمة للمعنى المتبادر من السياق لتوقف صحة وإتمام العمل بالمنطوق عليها . وقد يحتاج فهم هذا التلازم إلى بعض التدبر قل أم كثر حسب ظهور وجه التلازم وخفائه بين المعنى المنطوق به والمعاني المتولدة عنه

وهذه الطريقة ليست من باب القياس لأن من يفهم اللغة العربية يستطيع أن يدرك أن النص يتناول المعاني والأفكار المحذوفة كتناولها المنطوق سواء بسواء من غير حاجة إلى اجتهاد أو قياس لأنها متلازمان ولا يمكن تحقيق تلك المعاني المنطوقة بدون تلك المعاني المحذوفة ومن الأمثلة على ذلك :- لو أرادت دولة ما تأسيس فريق كرة قدم عالمي يمثلها في المباريات العالمية فإنه يتولد عن هذه الفكرة وجوب تأسيس نادي للكرة وإنشاء ملاعب للتدريب وتأمين جميع ما يحتاجه النادي واللاعبون من تجهيزات واحضار المدربين المتخصصين في هذه اللعبة إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن تحقيق هذه الفكرة بدون إيجادها .

أمثلة قرآنية على التوليد :

والآن وبعد أن بينا معنى التوليد وضررنا له مثلاً توضيحياً نعرض لك بعض الأمثلة على هذه الطريقة من القرآن الكريم لكي تفتح لنا الباب الى احتذائها في اعلامنا المعاصر .

١ - قال تعالى : ﴿ فلا تقل لها أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ (١) .

ففي هذه الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن أدنى مراتب العقوق وهو التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ كما نهى عن نهرهما وهو نفض اليدين عليهما وهذا أدنى مراتب العمل السيئ ولكن يتولد عن تحريم التأفف والنهر في هذه الآية تحريم كل ما هو مساو لهذا القول وهذا العمل أو يفوقهما في الإساءة والأذى كالضرب والشتم لأن هذا وإن لم يذكر في الآية إلا أنه في حكم المذكور أو أولى بالحكم منه . فمن امتنع عن التأفف والنهر ولكنه قام بالضرب والشتم لا يعتبر قد قام بما أمر به وهو عدم عقوق الوالدين لقيامه بما هو أعظم من التأفف والنهر .

٢ - ومن الأمثلة على هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾ (٢) .

فالآية : دالة بمنطوقها على تحريم أكل الأوصياء مال اليتامى ظلماً ولكنه يفهم من ذلك ويتولد عنه تحريم إضاعة مال اليتيم بأن يأكلوها غيرهم أو يقوموا بإحراقها أو إتلافها بأي نوع من أنواع الإتلاف لأن الأوصياء إذا لم يأكلوا أموال اليتامى ظلماً

(١) الإسراء/ ٢٣

(٢) النساء/ ١٠

ولكنهم قاموا بإتلافها بطريقة أخرى غير الأكل فإن هذا لا ينقذهم من الوعيد المذكور في الآية وإن كانوا قد امتنعوا عن أكلها بالباطل المذكور في الآية إلا أنهم لم يمتنعوا عن لازم ذلك وهو إتلافها بأى شكل من أشكال التلف .

٣ - ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ﴾ (١) .

فالجمل الأولى من الآية ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ﴾ .
تفيد أن أهل الكتاب منهم طائفة أمناء بحيث لو أمنت الواحد منهم على قنطار من النقود يرده إليك ويفهم من هذا ويتولد عنه أنك إذا أمنت هذه الطائفة على أقل من ذلك كدينار أو درهم فإنها سترده لك لأن الذي يرد القنطار من باب أولى أن يرد ما هو أقل منه .

والجمل الثانية « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً » .
تفيد بأن من أهل الكتاب طائفة خائنة : بحيث لو أمنت أحدهم على دينار لا يؤده إليك ويفهم من هذا ويتولد عنه أنك لو أمنت هذه الطائفة على أى شىء آخر أعظم من الدينار لن تردّه إليك لأن الذي لا يرد الدينار فمن المستحيل عليه أن يرد القنطار .
٤ - ومن الأمثلة عليه أيضاً . قال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (٢) .

فهذه الآية تأمر بإقامة الصلاة ولكننا لانستطيع القيام بالواجب المأمور به في الآية إلا إذا قمنا بشيء آخر لم يذكر ولم يشر إليه في الآية لأن الواجب المأمور به تتوقف صحته وتماه عليه وهو الطهارة وحينئذ يفهم من هذا الأمر ويتولد عنه وجوب القيام بالطهارة لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وعلى هذا فإن جميع النصوص الموجهة للصلاة يتولد عنها وجوب الطهارة لأنها لا تتم إلا بها وإن كانت الطهارة واجبة بأدلة أخرى .

٥ - وكذلك قوله تعالى : ﴿ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (٣) .

(١) آل عمران/ ٧٥

(٢) البقرة/ ٤٣ .

(٣) التوبة/ ٧٣ .

وقال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير ﴾ (١).

فهذه الآيات فيها أمر بالجهاد وقتال المشركين لأنهم سبب كل فتنة وفساد في الأرض . ويتولد عن هذا الأمر وهذا الوجوب شيء آخر لم يرد ذكره ولا الإشارة إليه في الآيات السابقة وهو الإستعداد للجهاد بكل ما نستطيعه من قوة عقلية وبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على القتال وتحقيق الواجب فيدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطائرات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والرأى والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع به شر أعدائهم والتدريب على استخدام الأسلحة والشجاعة والتدبير (٢) وبهذا يكون كل أمر بالجهاد يتولد عنه الأمر بالإستعداد له لأنه يستحيل القيام به . إلا بذلك ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وإن كان الإستعداد للجهاد قد أمر به في نصوص أخرى .

ومن هنا يتضح لنا صحة ماكتبه على حسب الله حيث يقول :
« وليس من الفقه في الدين أن يقف المرأ عند ظواهر الألفاظ وينصرف عن تدبر كلام الله وقد ذم الله المنافقين على أخذهم بالظواهر بقوله سبحانه مخاطباً المؤمنين « لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » (٣).
فالوقوف عند الظواهر يبعد عن مقاصد الشريعة ويبطل حكماتها .

التوليد في الإعلام القرشي :

وقد استخدم اسلوب التوليد بهذا المعنى الذي قدمناه في الصراع الإعلامي قديماً وحديثاً من ذلك ماقامت به قريش من دعوة الرسول ﷺ إلى التقارب وهذا ماأشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ قل يأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ماعبد لكم دينكم ولي دين ﴾ (٤) فسبب نزول هذه

(١) الأنفال/ ٣٩ .

(٢) تفسير كلام المنان - ج ٣ ص ١٨٣ .

(٣) اصول التشريع الإسلامي - على حسب الله ص ٢٥ - مطبعة العلوم (بمصر) ط ١

(٤) الكافرون/ ٦١

الآية هو ما ذكر عن ابن عباس أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن التهكم بآلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال : ماهي ؟ قالوا تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فجاء الوحي من عند الله بهذه السورة^(١).

والجدير بالذكر أن أسلوب التقارب هذا من أخطر أساليب المشركين على الإسلام وبيان ذلك أن معنى التقارب هو أن يسير كلا الطرفين خطوات نحو الآخر حتى يلتقيا في منتصف الطريق فالذي في أعلى الجبل مثلاً لا يمكن له أن يلتقي أو يتقارب مع الذي في أسفله حتى ينزل نحوه ويصعد الذي في أسفله تجاه الذي في أعلاه حتى يتقاربا أو يلتقيا في منتصفه - فلا شك أن الخاسر هو الذي كان في أعلى الجبل وأما الذي كان في أسفله فإنه كاسب من ناحيتين :

الأولى : خسارة الطرف الأول بنزوله من أعلى القمة إلى منتصف الجبل .

الثانية : صعود الطرف الثاني من الحضيض / إلى منتصف الجبل .

وهذا أسلوب في أغلب الأحيان لا يلجأ إليه إلا من هو على الباطل أو غاصب لحقوق غيره بهدف قلب الحقائق واحراز كسب معنوي أو مادي في القضية المطروحة .

وعندما طرح المشركون فكرة التقارب هذه على الرسول ﷺ كانوا يقصدون من ورائها تحقيق أحد أمرين : إما أن يوافق الرسول ﷺ على هذه الفكرة فيتولد عن موافقته عليها عدة أمور من أهمها - اقناع الرأي العام بأن الحق إلى جانبهم وأن الرسول ﷺ ليس على شيء وقبوله بالتنازل عن ما يدعوا له أو بعضه أكبر دليل على بطلانه لأن الحق لا يعدل عنه إلى غيره بأى حال من الأحوال .

ومنها وضع الرسول ﷺ على أول طريق الاستسلام ورضوخه لمبادئهم وعقائدهم الباطلة .

وبهذا يكونون قد حققوا أهم أهدافهم وهو القضاء على هذا الدين وأهله .

وإما أن يرفض الرسول ﷺ قبول هذه الفكرة التي عرضها المشركون فيتولد عن رفضه هذا عدة أمور من أهمها : إشعار كثير من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام بأن قريشاً قد

(١) فتح القدير ج ٥ - ص ٥٠٨

أنصفت الرسول ﷺ ولم تدخر وسعاً في الوصول إلى حل سلمي لتسوية النزاع القائم بينهم والذي كانوا يعتقدون أنه نزاع شخصي فقدموا كل مالمديهم من مال ومقترحات وحلول وسط لإرضاء الرسول ﷺ ولكنه رفض وهذا من شأنه أن يحدث انشقاقاً في صفوف المسلمين وخصوصاً أن بينهم حديثي عهد بالإسلام فربما اقتنعوا بوجهة نظر القرشيين وأنقدوا الرسول ﷺ بعدم قبوله لهذا العرض لما فيه من انصاف لكلا الطرفين وخطوة أولى نحو العودة إلى الوحدة والاتحاد التي ينشدها الجميع ولم يستطيعوا تحقيقها لاختلافهم في وجهات النظر حول الأساس الذي ينبغي أن تكون عليه هذه الوحدة وهذا الاتحاد .

وأما السابقون الأولون من المسلمين والذين فهموا هذا الدين ومراميه وأهدافه حق الفهم واعتبروا بذلك قادة الرأي والفكر فيه فإنهم يرفضون بشدة فكرة التقارب والتفاوض مع المشركين . وذلك لعلمهم أن الحق واحد ولا يجوز التخلي عنه أو عن بعضه إلى غيره وأنه لا بد أن يعلو ولا يُعْلَى عليه لأن فيه العدل والفلاح وسعادة البشرية في الدارين وأنه لا بد من القضاء على الباطل وإنقاذ البشرية من ويلاته وبلائه .

وهذا يتحقق للمشركين تصديع الصف الإسلامي الواحد وتقسيمة فرقا وشيعاً يعارض بعضهم بعضاً فتختلف أهواؤهم وأغراضهم حتى يصل بهم الأمر إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم فيكونون بذلك قد وضعوا الإسلام في أول طريق الزوال وهو انشغاله بنفسه عن الدعوة إلى مبادئه وحقائقه مع ما يساهمون به هم للقضاء عليه تماماً من أساليب شيطانية حتى لا تقوم له قائمة أبد الدهر وهيئات أن يتحقق لهم ذلك « والله من ورائهم محيط » ولما كان أسلوب التقارب هذا يشكل خطراً عظيماً على الإسلام والمسلمين جاء الرفض على مستوى من الشدة والقوة يتلاءم مع خطورة هذا العرض .

فأخبرهم بأن مايدعونه إليه ليس بكائن في الوقت الحاضر ولن يكون بأى حال من الأحوال فرفض وكرر الرفض مرة بالفعل ومرة أخرى بالاسم ليؤكد بذلك استحالة الموافقة على هذا العرض وذلك في سورة « الكافرون » .

« فالمراد بقوله - لا أعبد ماتعبدون - نفى الفعل لانها جملة فعلية وبقوله « ولا أنا عابد ما عبدتم » نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعي (١) .

(١) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم - عبدالمعتم السيد حسن ص ١٣٤ دار المطبوعات الدولية

وبهذا يكون قد رفض هذا العرض الذي لا يتمشى مع ما جاء به من حق وعدل وفي نفس الوقت حافظ على وحدة الصف الإسلامي من التصدع والتشقق بسبب التضييل الإعلامي والأسلوب الشيطاني القرشي .

ومن هنا يتضح لنا أن التمسك بالحق والثبات عليه يتولد عنه وضوح الرؤية ووحدة الصف في القضايا الهامة والمصيرية بحيث يمكنه ذلك من اتخاذ القرارات الهامة وتنفيذها في الوقت المناسب .

وهذا خلاف التساهل والرضا بالأمر الواقع وقبول التنازل في كل مرة وكل حين عن الحقوق والواجبات فإن ذلك كله يتولد عنه الضعف والخور والتذبذب في الآراء مما يتبع عنه عدم وضوح الرؤية فيضيع الحق بعد أن يضيع أهله .

التوليد في الإعلام المعاصر :-

والآن وبعد أن ألقينا بعض الضوء على طريقة توليد الأفكار والحقائق من خلال القرآن الكريم بقى علينا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب أى أسلوب التوليد شائع في أيامنا هذه : فمن ذلك : ما قامت به الولايات المتحدة من دعوة للتقارب والتفاوض حول الحد من الصواريخ النووية في أوروبا عندما أدرك رئيسها « ريجان » أن اللهجة البالغة التشدد التي دأب على استخدامها حيال الإتحاد السوفيتي منذ توليه السلطة قد تولد عنها شعور بالخطر لدى الشعوب الأوروبية من تعريضها لحرب نووية مدمرة وقد ظهر هذا الشعور بصورة واضحة من خلال المظاهرات التي قامت في أوروبا الغربية : احتجاجاً على انتشار الصواريخ النووية وأصبح الكثيرون يعتبرون مخططات الولايات المتحدة لتزويد أوروبا بأسلحة نووية محرضاً على الحرب النووية .

ولذا أضطر رئيسها « رونالد ريجان » لالقاء خطاب وصفته الصحف العربية والعالمية بأنه هامركز فيه على سياسة حكومته الخارجية وموقفها من المفاوضات المقبلة مع السوفييت وذكر في خطابه هذا بأنه بعث برسالة إلى الرئيس السوفيتي « بريجنيف » اقترح فيها إجراء تخفيض متبادل في القوات التقليدية والاستراتيجية والأسلحة النووية المتوسطة المدى وكان هدف « ريجان » من هذا الأسلوب أن يتولد عنه امتصاص غضبة الشعوب الأوروبية وإعلامهم أن الخطر الحقيقي يتمثل في الإتحاد السوفيتي الذي يرفض أى فكرة من شأنها

رفع الخطر عن أوروبا وتخفيف السلاح النووي أو انتزاعه من هذه المنطقة من العالم وأنه لم يستخدم أسلوب التهديد في السابق مع الإتحاد السوفيتي إلا من أجل الضغط عليه حتى يقبل بذلك ويزول الخطر عن بلادهم .

ولقد فطن السوفيت إلى هذا الأسلوب والهدف منه لأنه من المستحيل عندهم أن يكون « ريجان » جاداً في عروضه هذه لأنها دعوة صريحة للإتحاد السوفيتي بالتخلي عن مركزه القوى والرضوخ لرغبات الولايات المتحدة بدون مقابل سوى عدول الولايات المتحدة عن خططها الخاصة بنصب صواريخ (بيرشنج - ٢) وصواريخ « كروز » التي تطلق من الأرض إذا قام السوفيت بإزالة صواريخهم من طراز (إس إس ٥ » « إس إس ٤ » « وإس إس ٢٠ »^(١) ولذا حاول السوفيت اجهاض الغرض من هذا الأسلوب فرفضت مقترحات « ريجان » بشدة بأسلوب من شأنه أن يزيد من مخاوف الأوروبيين بالخطر وذلك بقوله إننا نرفض هذه المقترحات لأننا نشك في صدق نوايا الولايات المتحدة وأن كل ماتقوم به في الحقيقة مجرد دعاية . الهدف منها تضليل الشعوب الأوروبية والعالمية وصرف أنظارهم عن المخططات الرهيبة التي تحاول تنفيذها لتعريض العالم للخطر وجزءه الى نشوب حرب نووية تدمر العالم بأسره .

ومن هذا الأسلوب أيضاً تلك الشعارات الشائعة في أيا منا هذه والتي من أهمها شعار التقارب بين المسيحية ، والإسلام ، والتعاون الثقافي بين البلدين ، والحل السلمي عن طريق المفاوضات . ولقد اتضح لنا مما سبق ذكره في أثناء عرضنا لما في سورة « الكافرين » من توليد أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً أى تقارب من هذا النوع .
قد يقول قائل إن الرسول ﷺ قام بالتفاوض مع القرشيين وعقد معهم صلح الحديبية ؟ .

فأقول : إن الذي فعله الرسول ﷺ هو التفاوض مع القرشيين لعقد هدنة معهم مدتها عشر سنوات . ولكن هذا التفاوض وهذه الهدنة التي فعلها الرسول ﷺ كانت تقتضيها مصلحة الإسلام والمسلمين وليست على حسابها لما سيتولد عنها من أمور هامة والتي من أهمها :

(١) انظر مضمون خطاب رئيس الولايات المتحدة « رونالد ريجان » بجريدة « عكاظ » السعودية ص ٤ - عدد (٥٦٥٢) الجمعة ٢٠ نوفمبر ١٩٨١ م .

أولاً : تولد عن هذه الهدنة أن الناس شعروا بالأمن وامكانية اللقاء بعضهم ببعض دونها خوف أو وجل ليتحاوروا في الحديث ويتبادلوا الأفكار والآراء حول قضايا الساعة التي يعيشونها فممكنهم ذلك من التعرف على الدين الجديد وما يحمله لهم من خير وسعادة في الدارين مما جعلهم يدخلون فيه بطيب خاطر عن ايمان واقتناع وفي ذلك يقول الزهري : « فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر »^(١).

ثانياً : تولد عن هذه الهدنة تفرغ الرسول ﷺ لفتح خير الذي كان الله قد وعده به فيما نزل عليه من سورة الفتح وهو في طريق عودته من الحديبية بين مكة والمدينة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وعدكم الله مغنماً كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه . . ﴾ أى خير^(٢).

فلو أنه ذهب لغزو خيبر قبل توقيع هذه الهدنة فسيكون هناك احتمال قيام قريش بغزو المدينة ومداهمتها في غيابه . وبحصوله على هذه الهدنة يكون قد حقق هدفه وهو التفرغ لفتح خيبر . ولذلك فإنه لم يمكث في المدينة حين رجع من الحديبية سوى عشرين ليلة أو قريباً منها ثم خرج غازياً إلى خيبر^(٣).

ثالثاً : وتولد عن هذا التفاوض اعتراف قريش الضمني باقرارها من حيث لا تشعر بقوة المسلمين وذلك حين فضلت الدخول في مفاوضات للحصول على مطالبها من الدخول في حرب مع المسلمين قد تكون عاقبتها وخيمة بالنسبة لها .

رابعاً : كما تولد عن هذه الهدنة إعلام العرب بضعف قريش وأنها باتت عاجزة عن فرض آرائها على المسلمين بقوة السلاح حيث لجأت إلى التفاوض معهم .

وفي هذا اضعاف لثقة العرب في قوة قريش وقدرتها على التصدي للإسلام والمسلمين فيتركون الإعتماد عليها وبذلك تتفوق قوة المشركين وتضعف شوكتهم فيتمكن المسلمون بعد ذلك من فتح مكة وغيرها من بلاد العرب بأقل التكاليف .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإننا إذا دققنا النظر في عقد الهدنة الذي وقعه الرسول ﷺ مع المشركين نجده يحمل في طياته بذور النقص وذلك واضح من قوله « من أحب أن

(١) سيرة النبي ﷺ - ج ٣ ص ٤٢٥ مكتبة الجمهورية

(٢) انظر « زاد المعاد في هدى خير العباد » - ج ٢ ص ١٣٣ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد « الرياض » بتصرف تام .

(٣) نفس المرجع - ج ٣ - ص ١٣٣ - بتصرف .

يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (١) فكانت نتيجة هذه الفقرة من العقد أن دخلت خزاعة في عقد محمد وعهده ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم . وكان بين هاتين القبيلتين عداوات وثارات كثيرة استمرت حتى ظهر الإسلام وتشاغل الناس به ولكن هذه العداوات وهذه الثارات ظلت قابلة للإثارة في أى وقت ولأتفه الأسباب (٢) وهذا من شأنه أن يجعل هذه الهدنة معرضة دائماً للنقض والإنهيار مما يفتح المجال واسعاً أمام المسلمين للتدخل في الوقت المناسب للفتح العظيم وهو فتح مكة .

وبهذا يتضح لنا أن التفاوض مع قريش وعقد هدنة معهم كان في الحقيقة لصالح المسلمين وليس على حسابهم .

وما أريد أن أقوله هنا وقبل الشروع في الكلام عن طريق التدرج في تبليغ الحقائق هو أن طريقة « التوليد » هذه تعتبر من الطرق غير المباشرة التي إذا استخدمت بدقة وبعد دراسة واعية تعتبر من أخطر الطرق والأساليب في الوصول إلى الأهداف سواء كانت هذه الأهداف في صالح المرسل أو المستقبل أو في صالحهما معاً .

٣ - التدرج :

إن دراسة طبائع الشعوب تدلنا على أن محاولة تغيير الرأى العام لأمة من الأمم مرة واحدة عن المبادئ الأساسية التي صارت بمرور الزمن جزءاً من حياة تلك الأمة أمر لا يمكن تحقيقه وأن تكوين رأى عام جديد في نفوس أبناء تلك الأمة لا يكون الا بعد مضى زمن كاف لاجتثاث المبادئ القديمة وغرس بذور المبادئ الجديدة بدلاً منها . وعلى هذا فإن تغييراً كهذا لا يتم إلا عن طريق التدرج في إيصال المادة الإعلامية بحسب الظروف والمناسبات ومراعاة استعداد الأمة للقدر الذي يمكنها استيعابه وقبوله وبهذا يمكن اقتلاع جذور المفساد من قرارة النفوس وغرس بذور الهداية شيئاً فشيئاً .

وعندما جاء الرسول ﷺ كانت العرب - وهى المعروفة بغطرستها وشدة تمسكها بدين آبائها قد استحكمت فيهم العادات والأعراف التى منها ماهو صالح للبقاء ولا ضرر منه على تكوين الأمة ومنها ماهو ضار لا بد من ابعاده عنه (٣) .

(١) سيرة النبي ﷺ - ج ٣ ص ٤١٧ - مكتبة الجمهورية (٢) نفس المرجع - ج ٤ - ص ٣ .

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي - محمد الحصري بك - ص ٢١ - مطبعة السعادة بمصر .

فاقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يتبع معهم أسلوب التدرج في إيصال الرسالة الإعلامية قال تعالى : ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ (١).

(فالتعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم فعلماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفزاً والإنزال أعم) (٢).
والحقيقة أنه لم يكن من السهل انقياد هذه الأمة للدين الجديد لولا أن القرآن الحكيم اتبع معهم هذا الأسلوب الذي كان من أقوى العوامل المؤثرة في نفوسهم والذي جدد حياتهم تجديداً قطع كل صلة بينهم وبين مفايد الجاهلية الممقوتة في مدة وجيزة من الزمن .
فالرسالة الإعلامية في القرآن الحكيم كانت تنزل بالتدرج مراعية استعداد الأمة وقدرتها على الاستجابة والقبول . فإله سبحانه وتعالى كلف الناس أولاً بالإيمان حتى إذا اطمئنت قلوبهم به فرض عليهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج وأنزل عليهم الشرائع العملية على هذا النحو أيضاً وحرّم عليهم المحظورات كذلك تدريجياً .

ولكن المتتبع لهذا الأسلوب في القرآن يدرك أن الأمور عندما تكون متعلقة بالعقيدة فإنه يقضى فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى وأما إذا كانت المسألة متعلقة بعادة أو تقليد أو بوضع اجتماعي معقد فإن القرآن الكريم يترث فيها حتى يهأ الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة (فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك أمضى أمره منذ اللحظة الأولى في ضربة حازمة لا تردد فيها ولا تلفت ولا مساومة ولا لقاء في منتصف الطريق لأن المسألة مسألة قاعدة أساسية للتصور لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام) (٣).

وعندما استقرت هذه القاعدة في النفوس أخذ يتدرج معهم في إيصال المادة الإعلامية شيئاً فشيئاً حتى استقرت في صورتها الأخيرة وما ذلك إلا لتلقي هذه الرسالة قبولاً في النفس وإذعاناً من القلوب .

(١) البقرة : ٩٧ .

(٢) مباحث في علوم القرآن - ص ١٠٥ - الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت .

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ٢٢٩ .

بعض الأمثلة على التدرج :

١ - التدرج في تشريع الصلاة :-

فمن المعروف أن الرسول ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون قبل أن تفرض عليهم الصلاة المعروفة الآن . فقد ورد ذكر الصلاة في السور التي نزلت في مبدئ الرسالة كقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى . . ﴾ ^(١) وقوله ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ ^(٢) وكانت هذه الصلاة المذكورة في الآيتين السابقتين تؤدي ركعتين ركعتين بدليل حديث عائشة رضی الله تعالى عنها الذي تقول فيه (فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر . . .) ^(٣) وأما الصلاة المفروضة والتي تؤدي على صورتها الحالية في الأوقات الخمسة فقد فرضت ليلة الإسراء وقد كان في أول الأمر لا حرج على المصلي إذا تكلم في صلاته أو قام ببعض الأعمال أثناء صلاته وبعد أن عرفوا الصلاة وجديتها ومكانتها عند الله نهوا عن الكلام والقيام بالأعمال أثناء الصلاة وأصبح من قام بشيء من ذلك تبطل صلاته . فعن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت . . زاد مسلم (ونهينا عن الكلام) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ^(٤)

٢ - وأما الصوم الذي شرع في السنة الثانية من الهجرة قبيل فرض الجهاد فقد كان المفروض على المسلمين قبله هو صيام عاشوراء وعندما فرض صيام شهر رمضان أصبح صيامه بالخيار فمن شاء صامه ومن شاء تركه . فعن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت (كانت قریش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ^(٥) ولما فرض صيام شهر رمضان لم يفرض من أول مرة على الشكل الذي هو عليه الآن بل كان هناك تساهل وتدرج في تشريعه مراعيًا في ذلك ظروف الناس وأحوالهم وهذا ظاهر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

(١) العلق ٩ ، ١٠ (٢) القيامة ٣١

(٣) المنذري - مختصر صحيح مسلم - تحقيق الألباني - ص ٦٢ - ط ٤

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول - ج ٥ - ص ٤٨٥ .

(٥) صحيح مسلم - ج ٣ - ص ١٤٦ - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده « ميدان الأزهر » .

على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿١﴾ .

في هذه الآية فرض للصوم ولكن المسلم غير بين الصوم والإطعام على السواء ثم جاءت الآية الأخرى لتحبب في الصوم وترغب فيه مع ما فيه من مشقة في غير سفر ولا مرض . فقال تعالى : ﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (٢) وفي هذه الآية إيحاء بأن هذه الرخصة سترفع عن الصحيح المقيم وأن الصوم سيكون واجباً على الإطلاق .

ومن ثم نزل قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .. ﴾ (٣) .

فكان نزول هذه الآية رافعاً لرخصة الإفطار والإستعاضة عنه بالفدية للصحيح المقيم القادر على الصيام وخرج من هذا العموم المريض أو من كان على سفر وهذا الإستثناء واضح من قوله تعالى : ﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر ﴾ .

وكذلك بقيت الرخصة للشيخ العاجز عن الصيام وذلك « لما ورد عن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال : قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكيناً وأفطر (٤) .

٣ - ومن الأمور التي تدرج القرآن الكريم في حكمها مسألة الربا (فقد كان الربا إيّان بعثته ﷺ نظاماً اقتصادياً متغلغلاً في المجتمع العربي إن لم يكن في المجتمع العالمي وكان القضاء على هذا النظام يتطلب استعداداً نفسياً واجتماعياً واقتصادياً غير ماكان عليه القوم (٥) ولقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التدرج لاقتلاع هذا النظام من جذوره والقضاء عليه أبد الدهر فكان أول ما نزل بشأنه قوله تعالى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم

(١) البقرة/١٨٣ . (٢) البقرة/١٨٤ . (٣) البقرة/١٨٥ .

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ١٧١ .

(٥) مع القرآن الكريم - شعبان محمد اسماعيل - ج ٧ ص ٤٠١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) .

المضعفون^(١).

فذكر في هذه الآية الكريمة الربا والزكاة على سبيل المقارنة وأظهرت الكراهية للأول والتنويه بالثانية . ولذا تعتبر هذه الآية هي نواة كراهية الربا والتنفير منه تمهيداً لتحريمه .

ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

وهذه الآية نص في تحريم أكل الربا أضْعَافاً مُضَاعَافاً كخطوة أولى لتحريم الربا وليس فيها دليل على تحريمه إذا ترك التضعيف كما أنه ليس فيها دليل على الحِلِّ ثم جاءت آيات البقرة لتحريمه تحريماً حاسماً وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(٣).

فهاتان الآيتان قاضيتان على الربا قضاء تاماً بجميع أشكاله وصوره وبالقضاء على هذا النظام وتحريمه تحريماً تاماً يكون القرآن الكريم قد وضع حداً للجشع والطمع الذي كان سائداً في المجتمع آنذاك والذي كان سبباً في إضعاف هذا المجتمع وانهائه اقتصادياً واجتماعياً بسبب ما يؤدي إليه هذا النظام من إضعاف الرغبة في العمل والنشاط الإقتصادي والتجاري لأنه ربح يأتي بيسر وسهولة كالميسر وبسبب ما يؤدي إليه من امتصاص الأغنياء لدماء الشعب وأكل أمواله بالباطل مما يؤدي إلى انهيار المجتمع وتداعيه .

٤ - وقد سار القرآن الكريم على هذا المنوال في تحريمه للخمر والميسر . فالخمر والميسر كانا شائعين في الجاهلية وأول الإسلام وقلما تنزه عنها أحد منهم . إلا قلة قليلة من المتحفيين ومن عصمهم الله سبحانه وتعالى .

ولما كان الخمر والميسر فيهما من بعثرة الوعي وبعثرة الجهد فوق ما فيهما من إغيار الصدور ونشر التباغض والأحقاد بين الناس إلى غير ذلك مما لا يتلاءم مع المهمة التي قدر لهذه الأمة أن تقوم بها كان لابد من القضاء عليه وتخليص المجتمع الإسلامي من شره ولصعوبة علاج هذه الظاهرة واقناع الناس بالإبتعاد عن شرب الخمر ولعب

(١) الروم/٣٩ . (٢) البقرة/٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣) آل عمران ١٣٠

الميسر لجأ القرآن الكريم في القضاء عليه إلى أسلوب التدرج فكان يسير في تحريمها على هيئة وفي سر وبطأ . فكان أول منازل فيها قوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ (١) .

فإذا كان المراد بالسكر مأسكراً من الخمر وبالرزق مايؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب . . فإن وصف الرزق بأنه حسن دون وصف السكر يشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر (٢) .

ثم نزل تحريم الخمر بالمدينة على مراحل كما هو معروف فأول منازل فيه قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما . . ﴾ (٣) .

فهذه الآية لم تصرح بطلب الكف عنها ولكنها اكتفت بأن ضررها أكبر من نفعها وهذا فيه إيحاء بأن تركها هو الأولى وبهذا يكون قد هيأ النفس لقبول ماسيتنزل من الآيات بحققها ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يأياها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولاجنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا . . ﴾ (٤) .

وهذه الآية نص في تحريمها ولكن في أوقات الصلاة فقط دون غيرها ولكن تولد عن ذلك وجوب تركها طيلة النهار لأن الصلاة مفروضة في خمس أوقات من النهار وكلها متقاربة لا يكفي ما بينها للسكر والإفاقة وفي هذا كسر لعادة الإدمان حتى يمكن التغلب عليها فإذا تمت هذه الخطوة بنجاح وجاء الوقت المناسب للحكم النهائي في الخمر نزل قوله تعالى : ﴿ يأياها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٥) .

فانتهى المسلمون وتركوا الخمر وأهرقوا ما في دورهم منها . وعلى هذا استقر حكم الله في الخمر والميسر فهما محرمان من ذلك الوقت إلى اليوم وغد وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(١) النحل : ٦٧

(٢) مباحث في علوم القرآن - ص ١١٣ - الشركة المتحلة للتوزيع - بيروت .

(٣) البقرة/ ٢١٩

(٤) المائدة/ ٩٠

(٥) النساء/ ٤٣

وعلى هذا الأسلوب سار القرآن الكريم في معالجته لكثير من العادات والتقاليد السائدة في ذلك الوقت . كما أنه استطاع عن طريق هذا الأسلوب تكوين رأى عام ناضج مستنير حول قضايا وأمور هامة لها علاقة مباشرة بمصير هذه الأمة وقوتها ومنعتها في حاضرها ومستقبلها . والتي من أهمها على سبيل المثال لا الحصر الجهاد ، والزكاة ، والحج ... الخ .

والحقيقة أن أسلوب التدرج يعتبر من أفضل الطرق الإعلامية في تغيير الرأى العام لأنه يوصل المادة الإعلامية للمستقبل بهدوء وبطأ بحيث لا يشعر أن هناك خطراً يهدد معتقداته السابقة . لأن شعوره بذلك يثير عواطفه وانفعالاته لمعتقداته القديمة فيحاول التعصب لها وحمايتها من كل فكر طارىء .

لذا نرى عائشة رضى الله عنها تقول : (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر قالوا : لاندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً) (١) .

فعلى الإعلام الإسلامي اليوم أن يستفيد من هدى القرآن في هذا الأسلوب في التوجيه والإرشاد فعندما يريد أن يكسر عادة سيئة موجودة في المجتمع ومتأصلة فيه أو أراد أن يبني عادة حميدة أو يكون رأياً جديداً حول قضية من القضايا الهامة فعليه أن يحاول أولاً استبعاد التلقائية في سلوكه القديم بشكل متدرج وفي الوقت نفسه يحاول غرس بذور المبادئ والأهداف الجديدة التي يراد تحقيقها .

التدرج طريقة إعلامية معاصرة :-

الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب أى أسلوب التدرج مستخدم حالياً لدى بعض الدول المتقدمة إعلامياً بل إن بعض هذه الدول أجادت استخدامه في كثير من قضاياها وأخص بالذكر هنا « الدولة اليهودية » التي استطاعت عن طريق هذا الأسلوب تكوين دولتها الحالية وتحقيق كثير من أهدافها في مدة قصيرة من الزمن (٢) وهي الآن بعد أن كونت دولتها الدينية على أساس قوي متين من العدة والعتاد بدأت في مرحلة أخرى لتحقيق بعض أهدافها وهذه المرحلة بدأت

(١) لمحات في علوم القرآن - ص ٣٧

(٢) انظر مراحل استعمار فلسطين في كتاب - منير بكر التكريتي « الإعلام العربي بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية ص ١٧

- مطبعة الإرشاد - بغداد - ط ١ .

عندما أعلنت إسرائيل هيمنتها على الشرق الأوسط وفرض وصايتها عليه ومنعه من التقدم التكنولوجي في المجال العسكري بحجة أن أى تقدم من هذا النوع يهدد أمن إسرائيل وذلك بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وتأييدها لأنها تعتقد أن هذا الأسلوب الذي تمارسه إسرائيل ضد دول منطقة الشرق الأوسط هو السبيل الوحيد لاستمرارية اعتماد هذه الدول بالكلية عليها .

وإذا استمرت إسرائيل على هذا الأسلوب فإنه من المتوقع أن تكون الوصاية على الشرق الأوسط ماهي إلا تمهيد لمرحلة أخرى وهى الهيمنة على الشرق والغرب وقد يشمل ذلك الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي أيضاً في مدة لا تتجاوز نهاية هذا القرن . والذي يساعدها على تنفيذ هذه المخططات هو تفكك العالم الإسلامي والركود الذي يجيم عليه وسليته من الناحية العملية في كل المواقف الهامة والمصيرية في هذه المنطقة واعتمادهم على من يريد تدميرهم وفرض الوصاية عليهم في كل ميادين حياتهم . وذلك اعقاداً منهم أن الحيلة ليست بأيديهم وأنهم مغلوبون على أمرهم .

وهذه الروح الإنهزامية ناتجة عن ضعف إيمانهم بالله وعدم ثقتهم به والرجوع إلى كتابه الحكيم .

فإذا رجعوا إليه واعتصموا به واعتمدوا على هديه في أسلوب التدرج وغيره من الأساليب فستبدد المخاوف من نفوسهم ويتضح أمامهم الطريق الصحيح فيكونون على بصيرة من أمرهم وفي صراعه مع أعدائهم .

وماعليهم إلا أن يتحملوا بشجاعة مسئولياتهم تجاه قضاياهم المصيرية ويصبروا على كل الشدائد التي قد تواجههم في أثناء تنفيذهم لأوامر الله ونواهيه فيها .

لأن سنة الله في الحياة أن النصر والغلبة دائماً تكون للصابرين لذا نرى القرآن الكريم يحض هذه الأمة في كثير من آياته على الصبر في مواجهة الأعداء . قال تعالى : ﴿ ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم

(١) آل عمران : ١٣٩ - ١٤١ .

تفلقحون ﴿١﴾.

عندها فقط سيضعون حداً للمخططات الصهيونية وغيرها من المخططات التي تستهدف النيل من هذه الأمة وكرامتها وعزتها . وسيكون الصراع بينهم وبين اليهود صادقاً حاسماً لا ينتهي إلا بتدمير اليهود والقائهم في الجحيم ليكونوا بذلك عبرة لكل من تسول له نفسه النيل من هذه الأمة أو من عزتها وكرامتها . فيتذكر قبل الإقدام على تنفيذ أى خطة من هذا النوع أنه يغامر بمصير أمته ووجودها .

٤ - التذكير

من أخطر الأمور على الرسالة الإعلامية وإبطال مفعولها هو عدم استصحاب الحقائق والعمل بها لأن ذلك يؤدي إلى النسيان الذي من شأنه أن يؤدي إلى تفكير إعلامي غير سليم قال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ (٢).

فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية أنه عهد إلى آدم عهداً ليقوم به فالتزم بذلك وأذعن له وعزم على القيام به ولكنه نسي هذا العهد ونقضه ولم يقم به فكان ذلك سبباً في خروجه من نعيم الجنة ليواجه ما كتب عليه من متاعب في هذه الحياة الدنيا والتي اقتضتها سنة الله على كل من نقض عهده وقام بنسيانه .

ومن هنا نفهم ضرر النسيان وضرورة استصحاب الحقائق في كل وقت لأن ذلك يجعل الإنسان حي القلب واعى الضمير مرهف الإحساس يتأثر بكل ما يمر به أو يصل إليه من أحداث . فإذا به يتذكر ماله وعليه فيصده ذلك عن الخطأ ويصونه عن الإنحراق ويثبتته على الطريق المستقيم .

وأقصد بالتذكير :- العمل بشتى الأساليب الإعلامية لاستحضار الحقائق في النفوس والحض على العمل بها في الوقت المناسب لأن الحقائق لا ترتبط بموسم أو زمن معين بل إن حياتها ترتبط باستدامة التذكير بها على نحو مانقراً في قوله تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ (٣).

لذا جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن الغرض من إنزاله هو التذكير بالحقائق حتى يعقلها

(٣) الذاريات/ ٥٥

(١) آل عمران : ٢٠٠

(٢) طه/ ١١٥

الناس ويؤمنوا بها ويعملوا بها في كل حين فيربطوا الماضي بالحاضر . . والحاضر بالمستقبل . لأن في ذلك فلاحهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليدّكروا ومايزيدهم إلا نفورا ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ (٣) .

(أي يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم فيعرفونها ويعملون عليها) (٤) . ولهذا نستطيع أن نقرر بأن من طرق التأثير في القرآن الكريم تذكير الناس بالحقائق لأن ذلك من شأنه أن يدعوهم للإيمان بالله وطاعته في الأوامر والنواهي لأنه المتفضل عليهم بتلك النعم التي ذكروا بها كما أن في تذكيرهم تحذيراً لهم من فقدهم لتلك النعم اذا امتنعوا عن الإستجابة وكفروا بالله ومع زوال النعم نزول العذاب .

أمثلة على التذكير :

ولتوضيح ماسبق نرجع إلى كتاب ربنا فنجد في كثير من مواضعه قد دأب على تذكير يهود المدينة بأسلافهم من بني إسرائيل ونعم الله المتعددة التي أنعم بها عليهم ومواقفهم من تلك النعم وعاقبتهم التي انتهوا إليها ومن ذلك ما ذكر في سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون . . . إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ (٥) .
فعدّد الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كثيراً من النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل بالتفصيل وبين مواقفهم منها وجحودهم لها مما كان سبباً في حرمانهم من الخلافة وكتب الذلة عليهم أبد الدهر .

كما بين في آيات أخرى ما لحق بهم في الدنيا من جزاء عندما نسوا حظاً ما ذكروا به وذلك في قوله تعالى : ﴿ أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٦) .
وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به اليهود موفراً فصاروا في خزي عظيم بما الصق بهم من الذل والمهانة بالقتل والأسر وضرب الجزية والجلاء وإنهم ردهم الله يوم القيامة إلى أشد العذاب

(١) ص/ ٢٩ (٤) تفسير كلام المنان - ج ٧ - ص ٦٧

(٢) الإسراء/ ٤١ (٥) البقرة/ ٤٩ - ٦٠

(٣) الحاقة/ ٤٨ (٦) البقرة/ ٨٥

لأنهم جاءوا بذنب عظيم ومعصية فظيعة^(١).

وهذا الجزء الذي نال اليهود هو نفس ما عوقب به النصارى من بعدهم عندما نسوا حظاً ونصيباً مما ذكروا به (فوقعوا في الأهواء والتفرق في الدين الموجب بمقتضى سنة الله في البشر للعداوة والبغضاء في الدنيا^(٢)). والعذاب الأليم في الآخرة قال تعالى : ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾^(٣).

وكل ماورد في كتاب الله عن بني اسرائيل مما أنعم الله عليهم به ومواقفهم من تلك النعم وعقابهم الذي صاروا إليه كل ذلك من أجل تذكير يهود المدينة بما كان عليه أسلافهم وما آل إليه أمرهم لعلهم يستفيدون من تلك الحقائق فيتجنبون الوقوع فيما وقعوا فيه من أخطاء أدت بهم إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة فيتخلّون عن الدّس والكيد للإسلام والمسلمين ويستجيبون لداعي الله ويدخلون في الإسلام ويتقون الله حق تقاته ولا يموتن إلا وهم مسلمون .
(كما أن ذكر هذه الحقائق كان ضرورياً لتحذير المسلمين من مزالق الطريق التي عثرت فيها أقدام الأمم المستخلفة قبلهم فحرمت مقام الخلافة وسلبت شرف القيام على أمانة الله في الأرض ومنهجه لقيادة البشر)^(٤).

وهذا شأن القرآن يورد قصص بني اسرائيل خوفاً من الوقوع في مزالقهم ويذكر قصة آدم للتذكير بأن الشيطان عدوهم المبين الذي يحاول جاهداً حرمانهم من رجوعهم إلى وطنهم الأصلي وهو الجنة بكل ما لديه من أساليب ويذكر بكثير من قصص الأوليين للتذكير بمواقفهم فيرغب فيها ويحض عليها ان كانت حميدة وأما إذا كانت ذميمة فإنه ينفر منها ويحذر من الإقتراب منها .

حاجة المسلمين اليوم إلى التذكير والتذكر :-

وما أحوج المسلمين اليوم للتذكر والتذكير للحقائق التي جاء بها القرآن الكريم وعمل الصدر الأول من هذه الأمة بها فوصلت إلى ماوصلت إليه من تقدم وازدهار في جميع ميادين الحياة .
« حتى أصبحت إلى فترة طويلة من الزمن هي الأمة الأولى في العالم كله يعمل لها ألف حساب ويطلب ودها ويسعى أمثال امبراطور ألمانيا للتقرب من خليفته فيرسل له الهدايا وحملت

(١) فتح القدير - ج ١ - ص ١٠٩ بتصرف

(٢) المائدة / ١٤

(٣) تفسير المنار - ج ٦ - ص ٢٨٧

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ص ٦٥

خلال هذه الفترة حضارة الإسلام للدنيا كلها» (١) .

ثم نسيت هذه الحقائق فوصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه من انهزام داخلي أصاب شعور الأمة أو بعضها فعدلت ما عند الناس بها عند الله إن لم يداخلها الوسواس بأنه أفضل (٢) . وتفككت الأمة الواحدة وأصبحت فرقاً وشيعاً تمزقها الخلافات والأهواء والتصارع حول السلطان والحكم فأحلوا قومهم دار البوار فسهل على الأعداء اختراق الصف الإسلامي وتمزيقه شراً ممزقاً وأعقب ذلك تخلف عن مواكبة العصر فيما وصل إليه من أبحاث علمية تجريبية مازال قائماً إلى يومنا هذا .

فيكونون بذلك قد نالوا جزاء الدنيا الذي سنّه الله لكل من قام بنسيان نصيب وحظ مما ذكر به كما نال ذلك أهل الكتاب من قبلهم .

ومن أهم هذه الحقائق التي ذكرت في الماضي ثم نسيت في الحاضر من قبل المسلمين أن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالتمسك بكتابه الذي أوصله إليهم وجعله سبباً بينهم وبينه وأمرهم بالاجتماع عليه والعمل به وعدم التفرق عنه لأن به قوتهم ومنعتهم وانقاذهم من الضلال والإضلال . وذلك في قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٣) .

ولكن المسلمين اليوم نسوا هذه الحقيقة ولم يعملوا بها فوقعوا فيها وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم فبعضهم قال نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض لأن هذا في نظرهم هو ما يتمشى مع الحضارة والتقدم ولذا حاولوا تطبيقه في الأمور الشخصية دون غيرها من الأمور التي تتعلق بالسياسة والاقتصاد وهذا الفريق ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً أليماً ﴾ (٤) .

والبعض الآخر نبذه وراء ظهره بالكلية واشترى به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون وذلك اعتقاداً منهم أن سبب ما هم فيه من تأخر وتخلف وضعف هو تمسكهم بكتاب الله

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي - عل جريشة ومحمد شرف الزيتي - ص ٥ - دار الإعتصام .

(٢) نفس المرجع - ص ٦

(٣) آل عمران / ١٠٣

(٤) النساء / ١٥٠ ، ١٥١

واعتصامهم به والحقيقة أن كل ما وصلوا إليه كان بسبب ابتعادهم عن كتاب ربهم وعدم التمسك به مما نتج عنه نسيان جميع ماتضمنه من حقائق وأفكار أمروا بالعمل بها والقيام عليها فلم يعملوا بها ولم يقوموا عليها فعوقبوا بمثل ما عوقب به أهل الكتاب من قبلهم . وهذا الفريق هو الذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾ ^(١) ونتج عن نسيان هذه الحقيقة الكبرى نسيان كل ما ورد في القرآن الكريم من الحقائق الهامة والتي لا يمكن لأي أمة أن تحافظ على قوتها ووحدتها وسعادتها بدونها . ومن هذه الحقائق على سبيل المثال :-

١ - أن الله سبحانه وتعالى حذر هذه الأمة في كتابه الحكيم وفي كثير من مواضعه من اتباع غيرهم وبالأخص أهل الكتاب منهم وذلك في قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ ^(٢) .

لأن اتباعهم لغيرهم يقودهم إلى « الاقتباس من مناهجهم وأوضاعهم مما ينتج عنه حتماً نشر روح الهزيمة في داخل الصفوف الإسلامية والتخلي عن رمز القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة الإسلامية كما أن ذلك يؤدي إلى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعوداً في طريق النماء والارتقاء ^(٣) فنسوا هذه الحقيقة واعتمدوا في جميع أمورهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على أعدائهم بحجة أنهم أصحاب الحضارة والتقدم والقوة ولا يمكن لأي دولة في عالم اليوم البقاء والعيش في أمن ورخاء مالم تكن تعتمد في حياتها كلها أو بعضها على الشرق أو الغرب ويستبدلون على ذلك بما وقع لأوغندا وغيرها من الدول التي رفعت شعار الاسلام والتمسك بكتاب الله فكان مصيرها الزوال والدمار . وتفرقوا على هذا الأساس عن كتاب الله وذهبوا زرافات ووحداناً كل منهم يريد أي شيء يتعلق به حتى ولو كان ذلك المتعلق به هو الهلاك بعينه فبعضهم والى الشرق الكافر والبعض الآخر اتجه إلى الغرب المسيحي يطلب منه العون والحماية . فخالفوا أمر ربهم فوصلوا إلى ما وصلوا

(١) آل عمران / ١٨٧

(٢) آل عمران ١١٨

(٣) في ظلال القرآن - المجلد ٤ - ص ٤٣٨ - بتصرف

إليه من الضعف والانقسام واختلاف الأهواء والذلل والعار .

٢ - ونتيج عن نسيان هذه الحقيقة نسيان حقيقة أخرى أمر بها رب العالمين في محكم كتابه وهي أن تكون هذه الأمة شديدة على الكفار رحيمة فيما بينها قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . ﴾ ^(١) فبين في هذه الآية أن المؤمنين حقاً هم الذين يتصفون بصفة الشدة والغلظة على الكفار وفي نفس الوقت هم في أشد ما يكون من التحاب والتراحم والتعاطف فيما بينهم وبذلك استطاعوا أن يذلوا أعداءهم ويكسروهم ويتصروا عليهم في كل موطن .

فنسي المسلمون اليوم هذه الحقيقة ولم يستصحبوها واعتقدوا ان الخطر الحقيقي الذي يهدد كيانهم ووحدتهم هو من الذين يعتنقون الإسلام ويدعونهم للتمسك بالقرآن الكريم والزجوع إليه . وهذا الأمر غير ممكن لأن جميع ماورد في القرآن الكريم من الأوامر والنواهي لاتتمشى في اعتقادهم مع حضارة الأمم التي يتعاملون معها ويعتمدون عليها في جميع شئونهم فمن الضروري عندهم إذا محاربة هذا النوع من البشر ومحاصرته في كل مكان حتى تخمد انفاسه ويسكت صوته وفي نفس الوقت تعاطفوا مع الكفار وتراحوا معهم وطلبوا ودهم بعكس ماأمروا به فذلوا وأذلوا شعوبهم .

٣ - ومن الحقائق أيضاً التي ذكرت ثم نسيت قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ ^(٢) فالله سبحانه وتعالى أمر هذه الأمة في هذه الآية الكريمة بعدم قبول خبر الفاسق مجرداً بدون تحفظ وثبت حتى لايقعوا في الفتن المؤدية إلى الهلاك والدمار والتي يحكيها أعداؤهم لهم فنسوا هذه الحقيقة وقبلوا خبر الكاذب والكافر وإعتمدوا في إعلامهم وتوجيه شعوبهم على ماتمليه عليهم وكالات الأنباء في الشرق والغرب فضلوا بسبب ذلك وأضلوا وابتعدوا عن الدين الإسلامي وتفرقوا عنه ليلهثوا وراء شعارات زنافة لاحقيقة لها ولاقيمة .

والآن وبعد إلقاء بعض الضوء على ما لحق المسلمين من ضرر بسبب نسيانهم نصيباً وحظاً مما ذكروا به ألم يحزن الوقت بعد ليتذكروا عهد الله وميثاقه عليهم المتمثل

(١) الفتح / ٢٩

(٢) الحجرات / ٦

في القرآن الكريم فينقادوا لأوامره ونواهيه حتى يعودوا إلى وحدتهم وقوتهم وينقذوا أنفسهم من الذل والهوان الذي لحق بهم من جراء نسيانهم ماذكروا به قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .
ولأهمية التذكير عنى القرآن الكريم في كثير من آياته بحض هذه الأمة عليه بالترغيب فيه قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (٣) .

والجدير بالذكر أن الإنسان لا ينتفع بالتذكر إلا إذا كان صاحب وعى وفهم وتدبر لأن التذكر وحده لا يكفي مالم يستجب لهذا التذكر فهم واع وتصرف حكيم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا ﴾ (٤) أى أن المؤمنين حقاً هم الذين يتلقون ماذكروا به بفهم واع لأنهم يدركون مافي عقيدتهم من حق وما في آيات الله من صدق فيؤمنون إيماناً واعياً بصيراً دونما تعصب أعمى ولا يمشون منكبين على الوجوه كما هو الحال عند غيرهم فيتحمسوا لتوجيهات عقيدتهم تحمس العارف المدرك البصير (٥) ومن هنا نعلم أن أهل التذكر لهم صفات خاصة يستطيع من تحلى بها أن ينتفع بالذكرى ومن أهم هذه الصفات :

أن يكون من أهل الإيمان قال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .
وأن يكون صاحب عقل خالص من الشوائب لذا كرر القرآن الكريم في كثير من مواضعه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٧) .
وأن يكون من أهل الإستجابة بعقولهم وأسماعهم ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٨) .
وأن يكون من أهل الإنابة والرجوع إلى الله واخلاص العمل قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبٍ ﴾ (٩) .

وبعد أن عرفنا أهمية التذكير والتذكر بقى علينا معرفة أن تذكر الحقائق لا يكون مفيداً

(١) الحديد/ ١٦	(٤) الفرقان/ ٧٣	(٧) الزمر/ ٩
(٢) السجدة/ ٤	(٥) في ظلال القرآن - المجلد ٥ - ص ٢٥٨٠	(٨) ق/ ٣٧
(٣) عبس/ ١١، ١٢	(٦) الذاريات/ ٥٥	(٩) غافر/ ١٣

ونافعاً إلا إذا جاء في وقته ومكانه وأما إذا فات الوقت والمكان المناسب له فإن التذكر في هذه الحالة يكون حسرة وندامة وهذا مما نتعلمه من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأني له الذكرى يقول باليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوقف وثاقه أحد ﴾ (١).

وخلاصة القول إن التذكير والتذكر لابد منها لكل أمة وإعياًة لكي لاتنسى ماعليها من واجبات فتؤديها وماها من حقوق فتبحث عنها ومافيها من عيوب فتصلحها وحتى لاتقع في أخطاء الماضي والانحراف في الحاضر وعدم وضوح الرؤية في المستقبل مما يؤدي بها إلى السقوط والإنهيار والتخلف والإعتماد على الآخرين في جميع أمورها لعجزها عن القيام بها فتعيش في شقاء الدهر .

التذكير في الإعلام المعاصر :-

ولأهمية عنصر التذكير في الإعلام فإننا نلاحظ كثيراً من الدول التي تعتبر في عصرنا هذا متقدمة في ميدان الإعلام انها قد أدخلت هذا العنصر في إعلامها وتحاول استخدامه بدقة وتوقيت جيد لتذكير شعوبها والعالم بما تعتبره حقائق هامة يجب استصحابها محاولة بذلك ربط الحاضر بالماضي والمستقبل ومن ذلك على سبيل المثال :-

مثال ١ : ماقاله (كاسبر واينبرجر) وزير الدفاع الأمريكي في معرض كلامه عن خطط حكومته لمعاقبة الاتحاد السوفيتي في حالة تدخله في شئون بولندا الداخلية (إننا لانريد أن تكون هناك مجر أخرى أمامنا مشيراً بذلك إلى غزو السوفيت للمجر عام ١٩٥٦ م) (٢) وفي هذا تذكير للعالم بأعمال السوفيت الإجرامية وتدخله في شئون الدول وكبت حريات الشعوب وذلك لتشويه صورته والتفجير منه كما أن في هذا التذكير اشعاراً للسوفيت بأن صبر الولايات المتحدة قد نفذ إزاء تصرفاتهم الإستفزازية في الماضي والتي مازالت مستمرة إلى وقتنا هذا متجاهلة شعور الولايات المتحدة وكل الأعراف والقوانين الدولية التي تمنع هذا النوع من التدخل في شئون الدول ومنعها من تقرير المصير .

(١) الفجر / ٢١ - ٢٦

(٢) جريدة عكاظ السعودية - العدد (٥٦٨٢) الاحد ٢٠ ديسمبر عام ١٩٨١ م ص ٥. بتصرف

مثال ٢ : ومن التذكير ما قام به « مناحم بيجن » عندما قامت الولايات المتحدة بفرض بعض العقوبات على الكيان الصهيوني في اثر ضمها لمرتفعات الجولان السورية والتي كان من بينها توقفها عن اتمام التوقيع على اتفاقية التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل فقام مناحم بيجن بتسليم بيان إلى « صمويل لويس » سفير الولايات المتحدة لدى اسرائيل في ٢٠ ديسمبر من ١٩٨١ م يبلغ فيه حكومة الولايات المتحدة بأنه يعتبر اتفاقية التعاون الإستراتيجي بين بلديهما لاغية وقام بتذكير الولايات المتحدة في هذا البيان بتلك الإدانات والعقوبات الأمريكية المتكررة التي اعقت العدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في ٧ يونيو والتي اعتبرها الاسرائيليون بمثابة عملية انقاذ لكيانهم ووجودهم فقامت الولايات المتحدة بمعاقة إسرائيل بانتهاكها اتفاقاً موقعاً بينها ينص على تسليم أسلحة لاسرائيل في مواعيد محددة . ثم ذكرها بتنديدها ومعاقتها لحكومته عندما قام جيشها بقصف المدنيين في بيروت في ١٧ يوليو وأشار في بيانه هذا إلى حرب فيتنام مذكراً الولايات المتحدة بما قامت به من أعمال غير إنسانية بحق هذا الشعب وانها ليست في الموقع المناسب لإبداء المواقف بعد تلك المواقف . والآن وبعد أن قامت اسرائيل بضم المرتفعات السورية في « ١٤ ديسمبر » والتي كانت تبعث منها القوات السورية رسل الموت إلى الشعب اليهودي سابقاً قمتم بإلغاء اتفاق التعاون الإستراتيجي بعقوباتكم ^(١) . وكان غرض اليهودي « مناحم بيجن » من هذا التذكير افهام العالم والولايات المتحدة ان اسرائيل لم ولن تسمح لأى قوة في العالم أن تشنها عن مخططات وقرارات كنيستها العدوانية .

مثال ٣ : ومادنا بصدد التذكير فاننا نذكر نحن المسلمين أيضاً « مناحم بيجن وكنيسته » بحقيقة قد يكون غافلاً او متغافلاً عنها وهى « أن بيت المقدس سقطت في أيدي الصليبيين سنة ١٠٩٩ م ^(٢) واستقروا فيها أكثر من قرن ونصف من الزمن وكان ذلك بسبب تفكك القوى الإسلامية وافتقارها في ذلك الوقت إلى زعيم قوي يوحد صفوف المسلمين ليجعل منهم جبهة واحدة قوية تواجه الصليبيين . وبمرور الأيام والشهور ظن الغاصبون أنهم تمكنوا من هذه البلاد وقادرون على الإستمرار فيها وامتلاكها بالقوة رغم المعارضة المستمرة » حتى ظهر من بين أصحاب الحق القائد الاسلامي صلاح الدين الأيوبي الذي تمكن من توحيد القوى الإسلامية ومحاربتهم . . حتى أنزل بهم هزيمة منكرة في موقعة

(١) انظر ماكتبته « جريدة المدينة السعودية » عن هذا البيان في عددها ٥٣٩٤ - ٢١ ديسمبر عام ١٩٨١ م - ص ١ .

(٢) أوربا العصور الوسطى - سعيد عبدالفتاح عاشور - ج ١ - ص ٤٤٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .

حطين سنة ١١٨٧ م واستولى على مدينة بيت المقدس وجميع ملحقاتها من البلاد والموانئ الساحلية ومزق الجيش الصليبي الذي كان يضم جميع قوى الصليبيين وزعماءهم في الشام وأصبح صليب الصليبوت أو الصليب الأعظم غنيمة في أيدي المسلمين» (١).

وعلى هذا فإن مصير اليهود وحالهم لن يكون أحسن حظاً من المعتدين الصليبيين عندما يمن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بمن يوحد صفوفها وكلمتها تحت راية الاسلام فخرجوا من الله العلي القدير أن يحقق قريباً وعده الذي كتبه على نفسه في تدمير اليهود ومعاقتهم كلما دخلوا هذه الأرض المقدسة وأعادوا إليها الفساد . وهذا الوعد ذكره القرآن الكريم في الآيات من قوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين . . . إلى قوله ﴾ وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ (٢).

٥ - التكرار :-

القرآن الكريم كتاب أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الطريق المستقيم . قال تعالى : ﴿ الز كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (٣).

فلا عجب إذا من وجود التكرار والتأكيد على بعض المعاني والقضايا الهامة الواردة في كتاب الله والإعلان عنها مرة بعد الأخرى بأساليب فنية متعددة وفي سياقات مختلفة لأن ذلك يعتبر ضرورة تربوية وتعليمية لاقتناع الناس بها وترويضهم عليها حتى تصبح عادة من عاداتهم . قال تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ (٥).

وأعني بالتكرار : ذلك الالحاح المستمر في عرض الرسالة الاعلامية بمعنى ان تعاد المادة الاعلامية مع اختيار الوقت الملائم الذي يزيدها قوة على قوة وذلك لا يكون إلا باستغلال المناسبات وربط الرسالة الإعلامية بالأحداث الجارية وتجديدها بأساليب عديدة في غاية الجودة والإبداع تجنباً للإملال وتعميقاً للرسالة في نفوس الناس وأذهانهم . ومن غير المشكوك فيه أن هناك حقائق اعلامية تمثل عنصراً أساسياً في حياة الناس

(٤) القصص/٥١

(٥) طه/١١٣

(١) نفس المرجع - ص ٤٥٣ بتصرف

(٢) الإسراء/٤ - ٨ .

(٣) إبراهيم/١

ومصيرهم لذا فهي جديرة بالالحاح الدائم والاعلان عنها مراراً حتى تصبح جزءاً من عقائد الناس وسلوكهم .

والقرآن الكريم كما عرفنا له أهداف وأغراض إذ هو كتاب الوجود من رب الوجود فهو إذا ليحقق هذه الأغراض ويثبتها في نفوس الناس وأفئدتهم حتى تصبح عقيدة من عقائدهم يتحتم عليه تكرار هذه الأهداف والأغراض عدة مرات مرة بالشدة وأخرى باللين وتارة بالتصريح وأخرى بالتلميح والذي لا بد من معرفته هو أن كل تكرار في القرآن لا يمكن الاستغناء عنه بأى حال من الأحوال « لأنه لا يأتي إلا ليضيف جديداً أو يؤكد أموراً مهمة أو يرسخ حقائق قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها » (١) .

بعض الأمور التي كررها القرآن لأهميتها :-

١ - ومن أهم الأمور التي كررها القرآن الكريم وحض عليها في كثير من آياته بأساليب متعددة حتى تتأكد أهميتها وضرورة الالتزام بها - أن جميع ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق لاشتماله على الاخبارات الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل قبيح والمعجزات الباهرة . قال تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم .. ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ﴾ (٥) .

٢ - كما نال الايمان والعمل الصالح اهتماماً كبيراً من القرآن الكريم فكرر الدعوة إليهما ، وكان سر هذا الاهتمام العظيم هو أن الإيـمان والعمل الصالح يشتملان على كل أمور الدين لأن الإيـمان يشمل « الإيـمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والايـمان بأن القدر خيره وشره من الله تعالى : ﴿ وأما العمل الصالح فإنه جامع لكل أعمال هذا الدين القولي منها والعملي وهي « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - محمد خلف الله ومحمد زغلول - ص ٤٧ - دار المعارف « بمصر » .

(٤) النساء / ١٧٠

(٢) البقرة / ١١٩

(٥) الانعام / ٦٦

(٣) آل عمران / ٣

الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً وأن تجاهد في الله حق جهاده حتى تصبح كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .
لذا نرى القرآن الكريم قد كرر الدعوة إليهما في كثير من المواطن بل إن القرآن الكريم كله جاء لاعلام الناس بهما وحضهم على القيام بهما ومن ذلك . قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ^(٤) .

٣ - كما كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز تحذير عباده المؤمنين عن ولاية الكفار واتخاذهم بطانة أو خبيصة وأصدقاء يسرون إليهم ويفضون لهم بأسرار المؤمنين وذلك لعلمه بحرص الكافرين الشديد على إيقاع الضرر بالمسلمين .
قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ ^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ ^(٧) .

(٥) آل عمران/ ١١٨

(٦) الممتحنة/ ١

(٧) النساء/ ١٤٤

(١) العصر/ ١ - ٣

(٢) القصص/ ٨٠

(٣) طه/ ٨٢

(٤) البقرة/ ٢٨٥

فكان لهذا التحذير المتكرر أثر عظيم في وضع الحواجز النفسية بين الإسلام والكفر وعلى هذا ففسس فإن جميع الأمور والقضايا الهامة قد نالت اهتماماً كبيراً من القرآن الكريم فكررت بأساليب متعددة فريدة من نوعها في الجدة والرقى وما ذلك إلا أنها من الله العزيز الحكيم .

٤ - ولكننا أثناء دراستنا لأسلوب التكرار في القرآن الكريم يلفت انتباهنا ذلك النوع من التكرار الذي تكون فيه الجملة الواحدة مكررة عدة مرات بلفظها ومعناها وفي سورة واحدة من القرآن .

وبمجرد أن نمعن النظر في هذا النوع من التكرار يتبين لنا بوضوح أن لهذا الأسلوب في هذا الموضع بالذات من القوة والتأثير مالا يمكن الاستغناء عنه أو احلال غيره محله لأداء الغرض المنشود منه وهو التأكيد على المادة الإعلامية المرسلة مثال ذلك في سورة الرحمن : قوله تعالى : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فهذه السورة تضمنت أنواع النعم التي خلقها الله سبحانه وتعالى للناس فكان كلما ذكّرههم بنعمة أو خوفهم من نقمة « أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ للمكذّبين الذين استخفوا بهذه النعمة أو تهاونوا بتلك النقمة فيكون ذلك رادعاً للمخاطبين وزاجراً لهم عن التهادي في التكذيب وركوب الرأس في العناد »^(١) وكذلك في سورة الشعراء قد كرر جملتين أربع مرات دون أي تغيير في ألفاظها أو معانيها قال تعالى : ﴿ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوني ﴾^(٢) . وهي وإن كانت مقولة على ألسنة عدة رسل إلا أنه يوحى تكرارها بصدق هؤلاء الرسل وتثبيت التصديق بهم .

٥ - وتتمثل ظاهرة التكرار في القرآن الكريم بوضوح وجلاء في تكرار ما اشتمل عليه القرآن الكريم من القصص الذي تكرر في غير موضع فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض في سور مختلفة وعلى طرق شتى في التقديم والتأخير والابجاز والإطناب وما أشبه ذلك . « وأوضح مثل يساق على أهمية تكرار القصص في القرآن مايلمسه المتتبع لذلك من تفصيلات في بعض الأحداث والوقائع ولفت النظر إلى العبرة التي يخلق بمن ذكرت له أن يستخلصها . وقد يقع التكرار لمقارنة موقف بآخر أو تشبيه حالة بحالة وفي بعض الأحيان يأتي التكرار متضمناً بعض العجائب

(١) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم - ص ١٣٠

(٢) الشعراء/ ١٠٨ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧٩

ليسترعي انتباه المتبعين للقرآن إلى غير ذلك»^(١) مما يلمسه المتبع لتكرار القصة في القرآن وفائدته الإعلامية .

ولعل أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم هي قصة موسى عليه السلام وذلك «لأن كتاب التوراة وشريعته التي أرسل بها وما فيها من أحكام وشرائع وموقف بني اسرائيل منه ومواقفه من فرعون وملئه وما جرى له من أحداث في تبليغ دعوته جعلت رسالته شبيهة برسالة الرسول ﷺ وهي لهذا كررت في القرآن الكريم»^(٢) . وخلاصة القول أن القرآن الكريم قد ذهب في التكرار مذهباً فريداً عالج به طبائع الأفراد والجماعات على اختلاف أحوالهم وأزمنتهم وأمكنتهم بأساليب متباينة وسياقات مختلفة وبتفصيلات تختلف إيجازاً واطناً حتى لا يمل الناس فيدعوهم ذلك إلى النفور . ولا أنسى أن أنبه إلى أن تكرار الفعل أكثر تأثيراً في إثارة الانتباه وتكوين العواطف من تكرار القول بل إن تكرار القول المقصود منه في أغلب الأحيان الدفع إلى العمل والتأكيد على تكراره حتى يصبح عادة .

التكرار في الإعلام المعاصر :-

وقد أدرك الإعلاميون في كل عصر من العصور أهمية عملية الإيجاء المتكرر بفكرة معينة في الاعلام من خلال تعاملهم اليومي مع الناس وتعرفهم إلى أسرار النفس البشرية . ولكن رجال الاعلام في العصر الحديث قد توصلوا إلى اكتشاف مالم يكتشفه السابقون من الفعاليات الخاصة بعملية التكرار في الإعلان عن الأفكار والقضايا ذات الأهمية وتشكيل رأى عام حولها . فقد اكتشف الباحث « روز » عام ١٩٤٨ م وهو يستعرض الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أن التكرار خاصة التكرار على فترات يزيد فاعلية الدعاية التي تحض على التسامح . ويتفق هذا الرأى بشكل عام مع رأى بعض علماء النفس أمثال « ثورنديك » وبعض العاملين في مجال الدعاية ومنهم جوبلز »^(٣) .

وقد نقل عن مسئولين وقادة كبار أقوال تتصل بعملية التكرار والحض عليها بهدف

(١) المرجع السابق - ص ٣٥ - بتصرف

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد محمود حجازي - ص ٣٢٥ - دار الكتب الحديثة بتصرف .

(٣) الإعلام ونظرياته في العصر الحديث - جهان رشتى ص ٤٦١ - دار الفكر العربي - ط ١

غرس أفكار معينة وعقائد محددة تكون في خدمة النظام القائم الذي يمثلونه ويدافعون عنه . ومن أشهر من نقل عنه ذلك هم قادة الفكر الألماني وزعماءه الذين كانوا يعتقدون هذا الأسلوب ويؤمنون بمثاليته في مخاطبة الجماهير « فيقول هتلر » إن الدعاية تستطيع فقط أن تؤتي ثمارها في النفوس عن طريق التتابع والاستمرار والتنظيم . . . ويجب علينا دائماً . . . أن نعيد ونكرر نفس الشيء فكلمة النظام مثلاً يمكن توضيحها جيداً من زوايا مختلفة ولكن الهدف الذي نسعى إليه فيما نعرضه على الناس ينبغي أن يظل دائماً في نفس الشكل »^(١) « ويقول جيلز » في وصفه لهذا الأسلوب إن سر الدعاية الفعالة يكمن لا في إذاعة بيانات تتناول آلاف الأشياء ولكن في التركيز على بضعة حقائق فقط وتوجيه آذان الناس وأبصارهم إليها مراراً وتكراراً »^(٢).

ولقد حرص الإعلام الاسرائيلي كل الحرص بأن لا يدع أى فرصة تفوته للتأكيد على أهدافه التي من أهمها انتزاع الثقة من العرب في قدرتها على دخول حرب مع اسرائيل وترسيخ فكرة أنه لا حل إلا بالتفاوض معها والإستسلام لشروطها ، وزرع الخلافات بين العرب وتوسيعها .

« يضاف إلى ماسبق أن التجار والصناعيين ورجال الأعمال على اختلاف الميادين التي ينشطون فيها أدركوا أهمية التكرار في الترويج لبضائعهم والتمكين لمشاريعهم واكتساب الرأى العام الى جانبهم »^(٣) فلجأوا إلى الإعلان بكل الوسائل المتقدمة حتى تطمئن قلوبهم إلى أن هذا الإعلان قد استقر في أذهان الناس بصورة عميقة وطويلة الأمد .

ومن هنا نعلم أن جميع الدعايات سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو تجارية لاغنى لها مطلقاً عن التكرار .

كما يتبين لنا بوضوح خطورة هذا الأسلوب وأنه سلاح ذو حدين فإما أن يكون في خدمة الحق والافكار النظيفة والقضايا العادلة كما هو في القرآن الكريم .
وإما أن يكون في خدمة الشر وأهله كما هو الحال في كثير من الإعلام العالمي الذي

(١) الرأى العام والمخطط الصهيوني - فتحى الأبياري - ص ١٤٧ مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٩٦٩ م .

(٢) نفس المرجع - ص ١٣٧

(٣) من قضايا الإعلام في القرآن - ص ٢٣٢

يقوم على الدعاية لخدمة بعض الأفكار والأنظمة الوضعية والأهواء الشخصية .
ويكون التكرار أشد خطورة إذا امتزج بعنصر التشويق والإثارة .

٦ - التشويق :

أهمية عنصر التشويق وظهوره في الإعلام القرآني :-

إن التشويق عنصر هام بالنسبة للرسالة الإعلامية « لأن جذب الانتباه وإثارته وتحريك الإحساس الجسمالي مدخل إلى نفوس الناس ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم » (١) فالرسالة الإعلامية قد تكون صحيحة حديثة خالية من الاتجاهات غير المرغوبة ولكن إذا كانت طريقة عرضها غير سليمة كأن ينقصها عنصر التشويق فإنها ستبعث على الملل وعدم المتابعة . ومعنى هذا « أن في النفس الإنسانية قوتين : قوة تفكير وقوة وجدان . . . فاما الأولى فإنها تبحث عن الحق لمعرفة وعن الخير للعمل به . واما الثانية فإنها تسجل احساسها بما في الأشياء من لذة وألم .

والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين فيؤتيهما حقهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا » (٢) .

وهذا مانجده في القرآن الكريم حيثما توجهنا بل يمكننا القول بأن من أقوى طرق التأثير في القرآن الكريم هو تقديم المادة الإعلامية الجادة والموضوعية المفيدة والمعلومات الدقيقة بأسلوب شيق رائع يؤثر في قلوب أولي الألباب المهتدين قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . . . ﴾ (٣) .

كما أثر في قلوب الكافرين فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه . فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذهب إلى أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ليصدهما عن الدخول في دين الله فدخل عليهما وضربهما حتى شج أخته فاطمة ثم أخذ منها صحيفة كانت بحوزتها فيها « طه » بعد أن حلف لهما بآلته ليردنها إليهما إذا قرأها فلما قرأ أولها قال « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه » (٤) .

(١) مجلة المسلم المعاصر - العدد العاشر - عام ١٣٩٧ هـ - ص ٥٧

(٢) النبأ العظيم - ص ١١٣

(٣) الزمر/ ٢٣

(٤) انظر قصة إسلام عمر بن الخطاب في سيرة النبي ﷺ ج ١ ص ٣٥٥ - مكتبة الجمهورية .

وأما الذي تولى فهو الوليد بن المغيرة الذي شعر بقوة تأثير القرآن الكريم على المشاعر والقلوب فأراد من قومه أن يوحدوا رأيهم فيه حتى لا تتعارض أقوالهم ويظهر كذبهم فيه أمام الناس وطلب من ساداتهم ذلك عندما كانوا مجتمعين إليه فقالوا : ما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله للحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة . . . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر . . . لأنه يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته «(١)» .

وكان كبار قريش وقادة الرأي فيها من أمثال أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق يخرجون ليلاً ليستمعوا من الرسول ﷺ القرآن الكريم وهو يصلي من الليل في بيته حتى إذا طلع الفجر وتفرقوا جمعهم الطريق ثم يوصى بعضهم البعض بعدم العودة لمثل هذا ولكنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً وتكرر هذا منهم حتى تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يعودوا لمثل هذا أبدا «(٢)» .

ولاحساسهم بما في القرآن الكريم من سلطان وعجزهم عن مغالبة أثره في نفوسهم أخذ يوصى بعضهم بعضاً بعدم الاستماع للقرآن والقيام بالتشويش عليه ليلاً يسمعه غيرهم كما أخذوا يغرون الجماهير القرشية بأن تفعل ذلك قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٣) .

هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة كثير كلها توضح لنا مدى ما يتمتع به القرآن الكريم من جاذبية وجمال قاهر أقرب به المؤمنون والكافرون على السواء .

أمثلة قرآنية على التشويق :-

ولانكتفي بما قدمناه اجمالاً بل لابد من الاتيان ببعض الأمثلة على الكيفية التي كانت تنقل بها المادة الاعلامية في القرآن الكريم وماتتضمنه من عنصر جمالي مشوق لضمان تأثيرها في القلوب .

١ - لانا نافع ولا ضار إلا الله عز وجل :

فعندما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرشد الناس إلى الجهة التي يلجؤون إليها في طلب حوائجهم ودفع الضر عنهم نقل لهم هذا المعنى بهذه الصورة العجيبة « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو

(١) سيرة الرسول ﷺ ج ١ - ص ٢٦٨ - بتصرف

(٢) نفس المرجع - ص ٢٦٨ بتصرف

(٣) فصلت/ ٢٦

ببالغه . . . » (١).

فهذه صورة رائعة تحرك الحس والوجدان وتجذب القلوب والأبصار فلا تستطيع أن تتخلص منها إلا بشق الأنفس « وهى من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ : شخص حى شاخص باسط كفيه إلى الماء والماء منه قريب يريد أن يبلغه فاه لا يستطيع ولومد مدة فربما استطاع » (٢).

والصورة مع ما تحتويه من جمال وروعة فهي تجعل النفس تتأكد تماماً بأن لانا نافع ولا ضار إلا الله تبارك وتعالى وهذا هو الغرض المقصود من هذه الآية الكريمة .

٢ - الكفر يبطل الأعمال :

وعندما أراد القرآن الكريم اخبار الناي بأن الكافر مهما عمل من أعمال الخير فإنها باطلة ولا أثر لها ولا فائدة بالنسبة لصاحبها يوم القيامة قدّم لهم هذا المعنى بقوله ﴿ وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (٣) . فهذه الصورة نقلت المعنى المقصود بشكل يجعل الإنسان يتخيل بشكل واضح ذلك الضياع الحاسم لأعمال الكافر الذي يجعله خبراً بعد عين وهذا من شأنه اقناع النفس بخطورة الكفر والحذر من الوقوع فيه وهذا هو المعنى الذي تريد الآية الكريمة غرسه في النفس واقناعها به .

٣ - حرمان المكذبين من دخول الجنة ونعيمها :

وعندما أراد الله سبحانه وتعالى اعلام الناس بأن المكذبين بما جاء به الرسول ﷺ حرم الله عليهم دخول الجنة ونعيمها نقل لهم هذا النبأ بقوله ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ﴾ (٤).

فهذه الصورة تجعل الإحساس يتأثر بذلك المشهد العجيب مشهد المكذبين وهم يحاولون إدخال الجمل في ثقب الإبرة لأن افتتاح أبواب السماء لهم ودخولهم الجنة متوقف على ذلك العمل المستحيل أما قبل أن يحققوا هذا العمل وهو ادخال الجمل في ثقب الإبرة فهم في نار جهنم لاموت لهم فيها ولا حياة وعندما يتصور الإنسان هذا المشهد الرهيب المفزع فإنه ولا شك سيرسخ في ذهنه وفي قرارة نفسه الخوف من مصير هؤلاء المكذبين ويحاول جاهداً اتقاء هذا الموقف الرهيب بالتصديق بما جاء به الرسول ﷺ والعمل به وهذا

(٣) الفرقان/ ٢٣

(٤) الأعراف/ ٤٠

(١) الرعد/ ١٤

(٢) التصوير الفني في القرآن - ص ٣٣

هو الهدف من هذا الخبر الذي ورد في هذه الآية الكريمة .

٤ - الأبرار مكرمون عند الله يوم القيامة :

وعندما أراد القرآن الكريم اعلام الناس بما أعده الله سبحانه وتعالى للأبرار من تكريم في الآخرة أبرز لهم هذا المعنى بقوله ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (١) .

فهذه صورة رائعة للأبرار ورفعة مقامهم والنعيم المقرر لهم في الآخرة ونضرتهم التي تفيض على وجوههم والرحيق الذي يشربون منه وهم على الأرائك ينظرون ﴿ (٢) . كل هذا يجعل الإنسان يتشوق إلى ذلك النعيم وذلك التكريم والسعى في الحصول عليه والتنافس فيه وهذا هو المقصود تحقيقه من هذا الخبر الكريم والذي أشار إليه بقوله « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

٥ - عدم الاغترار بالمظاهر الزائفة :

وعندما أراد أن يحذر المسلمين من الاغترار بالمظاهر الخداعة رسم لهم هذه الصورة بقوله ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون ﴾ (٣) ففي هذه الآية صورة مثيرة للسخط والكراهية لهذا الصنف الزائف من الناس فهي تسمهم بالخواء والجبن والحقد والكند الذي يخفيه مظهر زائف لاحقيقة له ولاقيمة بطريقة تبهر العقول والأبصار وتجذب انتباه المسلمين بشدة للتندر من هؤلاء والسخرية من حالهم وهذا فيه تحذير لهم من صفاتهم أو الإغترار بمظاهرتهم الزائفة وأكاذيبهم وألاعيهم .

ومن المؤسف حقاً أن هذا الصنف هم الذين يتولون قيادة الرأي العام في العالم الإسلامي اليوم . فإذا تتبع الآراء والتصريحات المبثوثة في كثير من وسائل الإعلام الإسلامي فإنك قد تجد اللذة والجمال والتسلسل المنطقي في كل ما يقال ويكتب وفي بعض الأحيان مدعوماً بالأدلة والبراهين من القرآن والسنة لإقناع المسلمين بآرائهم وأفكارهم الزائفة التي لا تنطلي إلا على الفاسقين الذين جهلوا الحقائق أو نسوها . وأما العقلاء من

(١) المطففون/ ٢٢ - ٢٦

(٢) في ظلال القرآن - المجلد ٦ - ص ٣٨٥٤

(٣) المنافقون/ ٤

المؤمنين المتبصرين الذين لا تشغلهم المظاهر الزائفة عن الإمعان في كل الأمور وعرض كل ما يشككون فيه أو يلتبس عليهم أمره على كتاب ربهم ليرأوا حكمه ورأيه فيه فإنهم يجدون في كثير من تلك الآراء والتصاريع السُّم القاتل الذي هو في الحقيقة أشد على هذه الأمة من وقع سهام أعدائها عليها في غلس الظلام .

٦ - عناية الله جلّ وعلا بعباده وحضوره معهم في الشدائد :

عندما أراد القرآن الكريم أن ينقل لنا حادثة واقعة وهي حالة المسلمين عندما اجتمع عليهم جميع أعدائهم من مشركين ومنافقين وأهل كتاب لاستصالحهم والقضاء عليهم قضاء تاماً والنتيجة التي آلت إليها هذه الحادثة وبيان وجود الله سبحانه وتعالى ونصرته للحق الذي يعتبر سنة من سننه التي لا مناص منها قال تعالى موضعاً ذلك الموقف وتلك الحادثة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّهُمْ يَبْهَمُونَ إِلَّا فَرَارًا ﴿ (١) .

فهذه الآيات البينات أعطتنا صورة واضحة رائعة تشعر الإنسان وكأنه حاضر لذلك الموقف الرهيب الحرج الذي مرَّ به المسلمون في ذلك الوقت بسبب الخطر الذي أحْدَق بهم من كل جانب وتجعلتنا نقف متعجبين في فرح وسرور من الطريقة التي تم بها إنقاذ المسلمين ودحر أعدائهم وقلب هزيمتهم إلى نصر وخوفهم إلى اطمئنان وتشعرنا بعناية الله سبحانه وتعالى بعباده وأنه حاضر مع أوليائه في الشدة والرخاء وأن من كان الله وليه لا يخشى شيئاً ولا يخافه لأنه لن يتخلى عنه في حال من الأحوال وهذا المعنى هو الذي أرادت الآيات ترسيخه في نفوس المسلمين » (٢) .

(١) الأحزاب/ ٩ - ١٣

(٢) ومن أراد الوقوف على عناصر الجلال والتشويق في أساليب الإعلام القرآني فليرجع إلى هذين الكتابين « في ظلال القرآن » والتصوير الفني في القرآن « سيد قطب .

طريق آخر للتشويق :

ومن الأمور التي استخدمها القرآن الكريم لجذب انتباه الناس وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم نحو ما يقدمه لهم من حقائق تلك البدايات التي تلفت الأنظار لغربتها وجدتها وطريقة نظمها مما كان له أثر عظيم في الإقبال عليها ووعي القلوب لما يليها من أفكار وحقائق يراد اقرارها وترسيخها في النفوس .

وقد أتت جميع فواتح السور في القرآن الكريم على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات والتسبيحات وحروف الهجا والنداء .

وهكذا يتضح لنا أن التشويق إلى الحقائق هو الطريق المفضلة التي يتناول بها القرآن الكريم جميع الأغراض سواء كان الغرض تبشيراً أو إنذاراً قصة وقعت أو حادثاً سيقع وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الآخرة إلى آخر ذلك من الموضوعات والأغراض .

والجدير بالذكر أن عنصر التشويق والإثارة الذي يستخدم لشد الناس وجذب انتباههم إلى الحق يستخدم أيضاً لقلب الحقائق وتزيين الباطل وهذا ما نستفيدة من القرآن الحكيم فانظر معي إلى قوله تعالى : ﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ (١) .

فالطاغية فرعون لما شعر بخطر الحق الذي جاء به موسى على ملكه وسلطانه الذي يقوم على الباطل خرج على الشعب وهو بكامل قوته وسلطانه وفي زخرفته وزينته ليخلب عقول الجماهير الساذجة ويشعرهم بما لديه من مال وجاه وسلطان لأنه يعلم بما لهذه الأمور من تأثير على ضعفاء العقول . ولم يكتف بذلك بل أخذ يخطب في الشعب بطريقة تدل على قدرة فرعون الفائقة على تحريك المشاعر والقلوب واعتمد في ذلك على البريق الخادع القريب من عيون الناس ليجعله مدخلاً لتحسين صورته لدى الناس .

فأعلمهم بكل ما لديه من ملك وعظمة وقوة ومنعة ليصل بهم إلى أن الذي يمتلك هذا الاشك أنه خير وأحق بالاتباع من ذلك الذي وصفه بقوله « مهين ولا يكاد يبين » فرعون يقصد بذلك موسى عليه السلام لأنه في نظره إنسان فقير ضعيف لا حول له ولا قوة فهو بأشد الحاجة إلى من

(١) الزخرف ٥١ - ٥٣ .

يشفق عليه ويساعده لا ليطيعه ويؤمن به ويتبعه والقرآن الكريم يتابع هذا المشهد المثير ليطلعنا على وقع هذا العمل الإعلامي العظيم الذي قام به هذا الطاغية قال تعالى : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ (١) .

ومعنى هذا أن فرعون استطاع أن يضل الرأي العام المصري ويحجب عنهم الحقائق ويقنعهم بزيفه وباطله ويجرهم الى ما يريد .

ومن الملفت للنظر هنا أن الله سبحانه وتعالى علل نجاح فرعون في أسلوبه هذا بأن قومه كانوا فاسقين . والفساق هو الذي لا يعمل بالحق لنسيانه إياه أو لجهله وعدم إدراكه له وأما المؤمن الذي يعلم الحق ويعمل به فإنه من الصعب خداعه وتضليله في جميع الظروف والأحوال وعلى هذا فإن قادة الرأي العام لا يستطيعون اقناع الجماهير بالباطل إلا إذا احتكروا توجيهها ولم يسمحوا بوصول الحقائق إليها حتى تنسى تلك الحقائق ولا يفكر أحد بالبحث عنها . وأما إذا لم يفعلوا ذلك فإن أساليبهم التي تعتمد على الكذب والتزييف لا تستطيع تحقيق أغراضها المنشودة .

واسلوب فرعون هذا شائع في عصرنا هذا فنرى كثيراً من الزعماء يظهرن العظمة والقوة والجبروت لشعوبهم كما يقومون بإلقاء الخطب المثيرة للعواطف وإن كانت في الحقيقة جوفاء لا تركز على شيء من الحق والصدق كل ذلك من أجل التأثير على ضعفاء العقول وإثارة عواطفهم وجرهم بعد ذلك بسهولة إلى ما يريدون .

هذا والقرآن الكريم أخبرنا أن الشيطان أيضاً يقوم بتزيين الباطل والمعاصي إلى الناس ويدعوهم إليه ويرغبهم فيه حتى يكونوا منقادين لكل باطل وكل معصية قال تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم ... ﴾ (٣) .

(١) الزخرف/ ٥٤

(٢) الحجر/ ٣٩ ، ٤٠

(٣) الأنفال/ ٤٨

التشويق ضرورة إعلامية في العصر الحديث :

لقد أدرك رجال الإعلام في العصر الحديث ضرورة إيجاد عنصر الإثارة والتشويق في الدعاية لكثير من أغراضهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدفع الجماهير إلى متابعتها والافتناع بها من أجل ذلك حاولوا أن تكون الإثارة أصلاً في المادة الإعلامية للتأثير على وجدان الجماهير وتحريك مشاعرهم بشتى الأساليب والطرق الذكية . حتى أن بعضهم غالي في ذلك بدافع من التعصب لمبادئ وأفكار معينة أو بدافع من الريح المادي . ووصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن الجماهير فيها كثير من خصائص النساء وأن استجابتهن في أغلب الأحيان تكون عاطفية أكثر مما هي عقلية وكان أشهر من آمن بهذا المبدأ الزعيم الألماني « هتلر » ولذلك كان يبيح الكذب والتضليل الذي يستلزمه أسلوب الإثارة العاطفية لضمان وصوله إلى الهدف المنشود .

ومن هنا يكون هؤلاء الاعلاميون قد التقوا مع الشعراء في مخاطبتهم لعواطف الناس ومشاعرهم لتحقيق رغباتهم « غير مباليين بما صوروه للناس أن يكون غياً أو رشداً وأن يكون حقيقة أو خيالاً فتراهم جادين وهم هازلون يستبكون وان كانوا لا يكونون ويُطربون وإن كانوا لا يُطربون » (١).

وهذا بالطبع ليس عاماً في رجال الإعلام بل هناك منهم من تمكن من الإبداع في هذا الميدان واستطاع أن يقدم الحقائق رائعة جميلة كما أدركها وتصورها في نفسه قبل أن يصورها إلى غيره فجمع بذلك بين الإفادة والتشويق .

وإذا ألقينا نظرة عامة على عنصر الإثارة والتشويق في الإعلام الحديث فإننا سنجدّه يعتمد في إثارته على الأمور الآتية . الجنس ، والغراميات ، وقضايا الزواج ، والطلاق ، وهناك أيضاً الجمال ومسابقاته وكل مايتعلق بالفنانين والفنانات والصراع بأنواعه سواء كان صراعاً في الحرب أو في المسابقات الثقافية أو في الألعاب الرياضية . كل ذلك يعد من عناصر التشويق سواء كان عن طريق الأفلام السينمائية والتلفزيونية والفيديو أو الإذاعة أو الصحافة .

وذلك بأن تتخلل برامج أجهزة الإعلام بعض هذه العناصر لجذب السامعين والمشاهدين بعنف إلى هذه الأجهزة وإلا اعتبرت هذه الأجهزة وبرامجها ميتة ولا قيمة لها من

(١) النبأ العظيم - ص ١١٤

ناحية التأثير والإثارة والفاعلية - وهو ما يسمى بالإعلام الفاشل .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الإعلام المعاصر ييئ من الباطل أكثر مما ييئ من الحق بشتى الأساليب الفنية الشيقة ليقلب الحقائق ويضلل الشعوب ويحقق الأهداف وأكثر الناس نصيباً من هذا التضليل هى الشعوب الإسلامية التي تحتل أرضها وتمتلك مصالح الشرق والغرب وتجري المخططات ليل نهار في الهيمنة والسيطرة عليها .

وأنا هنا لا أطالب الإعلام الإسلامي بإلغاء عنصر التشويق بل أحض على ضرورة ايجاده واستخدام كل مامن شأنه أن يجذب انتباه الناس إلى الحقائق ويسهل على النفس قبولها والافتناع بها ولكن الذي أنتقده ويتقده كل مسلم غيور على أمته وعقيدته هو أن تجعل الشعوب الإسلامية قطعاناً من الماشية توجهها وسائل الاعلام حيثما تريد وذلك عن طريق إثارة مشاعرهم والإلحاح المستمر على عواطفهم وحجب الحقائق عنهم . حتى تضعف بذلك قوة تفكيرهم فتستجيب لكل مايملى عليها من قبل هذه الأجهزة سواء كان حقاً أم باطلاً .

وهذا مما لا يتمشى مع طبيعة هذه الأمة التي رباها القرآن الكريم وحضها على استخدام العقل في كل الأمور .

فلا بد إذاً من مخاطبة عقولهم بالحق وإرشادهم إليه ولكن لامانع من استخدام عنصر التشويق لجذب انتباههم الى الحق وانتفاعهم به .

وهذا مانستفيدة من طريق القرآن الكريم في بث الحق والتشويق إليه بأساليبه المعجزة التي جمعت بين مخاطبة العقل وتشويق العاطفة بطريقة متوازنة جعلت من السهل الانقياد إلى هذا الحق والإنصياع إليه .

فهذه هى بعض الطرق الهامة التي اتبعها القرآن الكريم بدقة وإتقان معجز في تغيير الرأى العام في جميع الميادين ، في العقيدة ، والأخلاق ، والمعاملات فكان ماأحدثه فيها من تأثير وتغيير لا يستطيع تحقيقه إعلام بشرى مهما بلغت قوة أساليبه وتقدم أجهزته ودقة برامجه .

الباب الثالث : (التطبيق)

أهم آثار الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

الفصل الأول : أثر هذا الأسلوب في العقيدة

الفصل الثاني : أثره في الأخلاق

الفصل الثالث : أثره في المعاملات

الباب الثالث التطبيقي

أهم آثار الأسلوب الاعلامي في القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم بفضل أسلوبه الإعلامي العظيم قد أحدث - تغييرات جذرية في مجتمع الجزيرة العربية لا يقوي أي إعلام آخر على مثلها . والمدهش حقاً أن هذه التغييرات التي أحدثها القرآن الكريم لم تقف عند حدود ميدان واحد بل شملت كل الميادين فكانت هناك تغييرات في ميدان العقيدة والأخلاق وكانت هناك تغييرات في المعاملات إلى غير ذلك من التغييرات التي أحدثها في المجتمع العربي بأسره بسرعة اذهلت كل المفكرين وقادة الرأي من السياسيين وغيرهم . حتى أنهم لم يجدوا لذلك تفسيراً سوى أنها من قبيل المعجزات . والباحث في هذا الباب سيتكلم في فصول ثلاثة عن بعض هذه التغييرات في كل من العقيدة ، والأخلاق والمعاملات .

الفصل الاول : - أثره في العقيدة عناية القرآن بالعقيدة :

إن أساس نظام الحياة البشرية الذي فطر الله عليه الناس هو عقيدة التوحيد لأنه بدون هذه العقيدة لا يمكن لاي إنسان أن يعرف مركزه في الحياة ولا علاقته بالكون ولا الغرض الذي من أجله خلق . وهذه العقيدة التي فطر الناس عليها هي الموجه الحقيقي لأفكار الإنسانية وسلوكها وسائر تصرفاتها ولذا لا يمكن التخلي عنها في شأن من الشؤون قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) والرسول ﷺ أيضاً أخبرنا بأن هذه الفطرة موجودة في نفس كل إنسان

(١) الروم / ٣٠

ولكن الغرائز والميول التي جعلها الله سبحانه وتعالى في طبيعة هذا الإنسان ساعدت على انزلاقه وراء الأهواء والشهوات والانحراف عن الطريق المستقيم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (١).

وإذا ألقينا نظرة على واقع المشركين العرب قبل الإسلام نجدهم كانوا بفطرتهم يعترفون بوجود إله أعظم خالق للكون ومدير لشيئونه قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأني يوفكون ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٣) ولكن فطرتهم هذه سرت إليها الوثنية بعد أن فشى فيهم الجهل وانقطعت من بلادهم آثار النبوة . وقد جلى لنا القرآن الكريم ما وصل إليه العرب قبل الإسلام من زيغ في المعتقدات وفساد في الأخلاق « وصورهم على أنهم قوم مشركون استحکم الشرك في قلوبهم . . . فأخضعهم لتصورات لا يكاد يصدقها العقل » (٤) تعصبوا لها تعصباً ذمياً بلبل أفكارهم وشتت قواهم وخالف بين اتجاهاتهم وحجب حركة فكرهم عن ادراك الحق قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾ (٦).

وأصبحت فكرة التوحيد عندهم عبارة عن نظرية محجوبة ومغمورة تحت معتقدات وعبادات كانت تؤدي إلى عدد لا يحصى من الآلهة ولا يكاد يظهر لها بصيص إلا في حالات طارئة وذلك عندما تحيط بهم الأخطار من كل جانب ويروا الموت عياناً ويشعرون أنهم في موقف لا يتقدم منه إلا رب الأرباب الله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ (٧).

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول - ج ١ ص ٢٦٩

(٢) العنكبوت/ ٦١ (٣) العنكبوت/ ٦٣

(٤) الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية النظرية والتطبيقية - ص ٢٥٢

(٥) البقرة/ ١٧٠ (٦) ص ٦ ، ٧

(٧) يونس/ ٢٢

ومما تقدم نعلم أن القرآن الكريم جاء إلى عالم مثقل بآلهة كاذبة وهو موشك على التبدد والإنيهار بسبب المحنة العاتية المظلمة التي كانت تمر بها الفطرة الإنسانية في ذلك الوقت جاء وهو يعي تماماً مسؤوليته عن هذه الفطرة وعن تحريرها من كل خضوع ورضوخ لغير الله سبحانه وتعالى لأن ذلك هو حقيقتها التي أنشأها الله عليها قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ (١) .

من أجل ذلك ذهب القرآن الكريم يدعو الناس إلى العودة إلى الوحدة الدينية الأصيلة ويبث هذه العقيدة ويغرسها في قلوب الناس ونفوسهم بأرقى الأساليب الإعلامية . يقول خالد محمد خالد . « من شاء أن يرى القرآن وهو في أروع - حالات توقده وتألقه وتحفزه وسناه فاليره وهو يتحدث عن وحدانية الله وقدرته ورحمته » (٢) وإذا أنعمنا النظر في القرآن الكريم نلاحظ أن نقطة الإنطلاق والنواة التي تدور حولها محاولات اقناع الناس بالعودة إلى نطرتهم وهدايتهم إلى سبيل الرشاد تنحصر في فكرة رئيسية هي « أن صانعاً يتصف بالكمال المطلق والقوة المطلقة والخير المطلق خلق كل شيء في الوجود واخضعه لإرادته خضوعاً مطلقاً هو وحده المعبود دون ماسواه ولا يجوز الخضوع لغيره » (٣) .

« بعض أساليب القرآن الإعلامية لإقناع الناس بالعقيدة » :

وسر نجاح القرآن الكريم في قيادة العقل البشري إلى هذه الغاية ووضعه حداً للخلافات التي ثارت حول هذه القضية يكمن في نظري في تلك القوة الجارفة التي تتمتع بها أساليبه الإعلامية الميسرة والتي من أهمها :

١ - أسلوب تحريك العقول البصيرة والرؤوس الرشيدة لتتطرق في الآفاق وفي أنفسها لترى في آياته الكبرى ما يدلها على هذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد تر وهاثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . إلى قوله ﴾ ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٥) .

(١) الذاريات/٥٦ ، ٥٧

(٢) إسلاميات - خالد محمد خالد - ص ١٨٩ دار الفكر - بيروت

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم - ص ٧٤ - بتصرف .

(٤) الذاريات/٢٠ - ٢١

(٥) الرعد/٢ - ٤

٢ - وبالتبشير : فالله سبحانه وتعالى بشر المؤمنين به وبرسوله ﷺ وبرهنوا على ذلك بأعمالهم بأن لهم جنات في غاية الحسن والجمال وهذه الجنات تجري من تحتها أنهار من الماء والعسل واللبن والخمر يتصرفون فيها كيف شاءوا وأن لهم في هذه الجنات أزواج مطهرة من كل عيب وهم فيها خالدون قال تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (١).

٣ - وبأسلوب التقابل بين مآل المؤمنين يوم القيامة وما أعد الله لهم من جنات الفردوس خالدين فيها لا ييغون عنها حولا بسبب إيمانهم بالله ورسله واليوم الآخر . في مقابل مآل الكافرين وما أعد الله لهم من خسران وعذاب مهين يوم القيامة بسبب كفرهم بما جاءهم به الرسول ﷺ من الحق الذي لا ريب فيه . والغرض من ذلك التقابل الترغيب في اتباع الحق وبما جاء به الرسول ﷺ من دعوة إلى توحيد الله في الربوبية والألوهية والتنفير من التكذيب بالله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا ييغون عنها حولا ﴾ (٢).

٤ - والترغيب في الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والتنفير من الكفر والإبتعاد عن الشرك فإن القرآن الكريم ذكر بعض الأمور المحسوسة التي لا يشك عاقل في عدم تساويها ليصل بأصحاب العقول المستنيرة عن طريق ذلك بأن المتضادات المعنوية كذلك لا تتساوى فلا يتساوى المؤمن والكافر ولا المهتدي والضال ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار ولا أحياء القلوب وأمواتها فإن بين هذه الأشياء من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ومن ذلك قوله : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ (٣).

(١) البقرة/٢٥ (٢) فاطر/١٩ - ٢٢

(٢) الكهف/١٠٣ - ١٠٨

٥ - وعن طريق التذكير والتخويف : فالقرآن الكريم يلجأ في كثير من الأحيان إلى أن يقص على الناس نبأ الأخيار والفجار في الأمم السابقة وما آل إليه أمرهم ليذكّره بالحقائق التي نسوها أو تناسوها فيعتبروا بغيرهم قبل أن يكونوا عبرة لغيرهم قال تعالى : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أي مغلوب فانتصر . ففتحن أبواب السماء بهاء منهمر إلى قوله تعالى ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر . كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ غريز مقتدر ﴾ (١).

٦ - ودعاهم إلى عقيدة التوحيد بإجابتهم عن أسئلتهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى فعندما طلب المشركون من الرسول ﷺ أن ينسب إليهم ربه أنزل الله سبحانه وتعالى رداً على طلبهم هذا ﴿ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٢).

وعندما جاء العاص بن وائل إلى الرسول ﷺ بعظم حائل ففته بيده وقال : يا محمد أيجي الله هذا بعد ما أرى ؟ ﴿ (٣) فأجابه القرآن الكريم عن هذا الاستبعاد بمنطق الفطرة ومنطق الواقع القريب المنطور فقال « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٤).

٧ - ومن أساليب القرآن في الدعوة إلى عقيدة التوحيد : تقديم الأدلة والبراهين على وحدانية الله سبحانه وتعالى بالإلهية والعبودية قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (٥).

٨ - ومن أساليبه لتقرير عقيدة التوحيد : ضرب الأمثال : فضرب لهم مثلاً من الطبيعة ليدهم على كمال قدرته وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية قال تعالى : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ (٦).

(٤) يس / ٧٨ ، ٧٩

(٥) الروم / ٢٠ - ٢٧

(٦) فصلت / ٣٩

(١) القمر - ٩ - ٤٢

(٢) انظر سبب النزول « فتح القدير » - ج ٥ ص ٥١٣

(٣) انظر سبب النزول « فتح القدير » - ج ٤ ص ٣٨٤

- وضرب لهم مثلاً أيضاً من داخل أنفسهم ليدعوهم به إلى أفراد الله بالعبادة فة ال
﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيديكم من شركاء في ما رزقناكم
فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (١)
ومن الأمثلة ما هو ساخر من المشركين ومعتقداتهم قال تعالى : ﴿ يأيتها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن
يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٢).

٩ - ودعا إلى العقيدة أيضاً بالإنكار على الكفار والتعجب من حالهم وجهلهم بالحقائق
وإهمالهم للتفكير في أنفسهم وفي آلهتهم فهم يعبدون ما ينجونهم ويصنعونه بأيديهم مع
أن المعبود الحق ينبغي أن يكون هو الصانع لا المصنوع قال تعالى : ﴿ قل أتعبدون
ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٣).

وهكذا استمر القرآن الكريم بأساليبه الإعلامية المباشر منها وغير المباشر على هذا
النوال يصول ويجول في ميدان اكتظت أرضه بالأصنام والأوثان والشركاء والشبهات
حتى أذاب كل ذلك وربط أمته بأعظم رباط وهو عقيدة التوحيد التي بها تحررت
عقولهم وبها التقت آمالهم وبها توحدت قوى حالهم وعليها وحدها انضم شتاتهم ثم
حضرهم على الإعتصام بها وعدم التفرق أو الإبتعاد عنها بالترغيب تارة وبالتحذير تارة
أخرى قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٤).

صور من آثار العقيدة في نفوس الصدر الأول :-

وبزرع عقيدة التوحيد وترسيخها في النفوس يكون القرآن الكريم قد أقام في النفس قوة
محركة هائلة تدفعهم إلى الحق بعنف بحيث لا يستطيعون التنصل منه مهما كانت الظروف
والأحوال . وهذه القوة تتضح لنا عندما نعود لننظر بعض الصور من آثارها في نفوس
الصدر الأول من هذه الأمة .

أ - فهذه القوة هي التي دفعت يوماً ما عزابن مالك الأسلمي رضى الله عنه عندما خالف

(١) الروم/ ٢٨ (٣) الصافات/ ٩٥ ، ٩٦

(٢) آل عمران/ ١٠٣

(١) الروم/ ٢٨

(٢) الحج/ ٧٣

الشرع بإرتكابه معصية الزنا أن يذهب غاضباً لله ورسوله وانتقاماً من نفسه ويقف أمام الرسول ﷺ ويعترف بذنبه ويصر على تطهيره منه والتطهر من هذه المخالفة في عرف الشرع الإسلامي معناه الإعدام بالرجم حتى الموت» (١).

وكان ما عزر قد ارتكب هذا الجرم ولم يعلم به أحد إلا الله تبارك وتعالى وكان بإمكانه الإفلات من القانون وعقابه ولكن قوة العقيدة هي التي دفعته إلى الاعتراف بذنبه والترحيب بالعقوبة التي يستحقها بصدر رحب .

ب - وقوة هذه العقيدة هي التي دفعت عمير ابن الحمام أخو بني سلمة عندما سمع الرسول ﷺ في غزوة بدر الكبرى يقول والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة فلما سمع ذلك وكان بيده تمرات يأكلهن قذفهن من يده وقال متعجباً أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى» (٢).

ج - وقوة هذه العقيدة هي التي جعلت المسلمين الأوائل الذين كانوا مستضعفين بمكة عندما لجأ كفار قريش إلى استخدام جميع أساليب الإرهاب والتعذيب لصدهم عن دينهم وعقيدتهم أن يصبروا على دينهم حتى جعل الله لهم سبيلاً» (٣) هذه هي العقيدة التي غيرت المفاهيم والقيم الجاهلية تغييراً جذرياً ودفعت المؤمنين بها إلى الجِد والعمل في تفان وإخلاص ثم في صبر على الشدائد ونضال عظيم في السلم والحرب على السواء . حتى شهد الله تبارك وتعالى لهم بالتفوق والامتياز على جميع الأمم بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ (٤).

ومما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم كان أول مبادئه وأولاه عناية خاصة هو ترسيخ العقيدة في النفوس لأنها الأساس القوي الذي يمكن أن يقوم عليه بناء الإسلام ليكون أثبت من الرواس وأقوى من الصخور وذلك بسبب ما تتمتع به هذه العقيدة من طاقة

(١) انظر « تيسير العلام شرح عمدة الأحكام » عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام ج ٢ ص ٢٨٦ مطبعة دار الفنون « عين الرمانة ».

(٢) سيرة النبي ﷺ - ج ٢ ص ٢٦٧ - دار الفكر - بتصرف .

(٣) سيرة النبي ﷺ - ج ١ ص ٣١٧ شركة مصطفى الباوي الحلبي واولاده بتصرف .

(٤) آل عمران/ ١١٠

عجيبة في إذابة الفوارق العنصرية والطائفية والطبقية وإقامة مجتمع منسجم على أساس الأخوة الإنسانية .

وأما مانشاهده اليوم من ضعف العقيدة في النفوس واهتزازها في القلوب مما جعل سيطرتها على سلوك الأفراد والجماعات محدودة كان من أهم أسبابه : هو قيام أصحاب الأفكار والعقائد المستوردة ممن ابتليت بهم هذه الأمة بالتحايل عليها بتزيين تلك الأفكار والعقائد بشتى الأساليب الإعلامية الشيطانية فنسجوا حول هذه الأفكار والعقائد أساطير ونسبوا إليها كثيراً من الفضائل لجذب المسلمين إليها وابعادهم عن عقيدتهم الصحيحة وتفريقهم عنها .

« ونتج عن ضعف العقيدة هذا ضعف عام في الفرد وفي الأسرة وفي المجتمع وفي الدولة وفي كل جانب من جوانب الحياة »^(١) وأصبح واقع المسلمين اليوم وما يعانونه من آثار الضعف والأنهيار شبيهاً بالواقع الذي دعا للنداء بالعقيدة ونزول القرآن من أجل إرجاع الفطرة الإنسانية إلى صفائها .

خيبة أمل في الإعلام الإسلامي المعاصر :-

وانطلاقاً من اقتناعنا الأكيد بأهمية الإعلام وقوة تأثيره يجعلنا نتطلع إلى الجهد الذي يبذله من أجل انقاذ هذه الأمة من معاناتها وآلامها . ولكننا نصاب بخيبة أمل عندما نرى إعلامنا فاقد الشخصية شغولاً بحب التقليد يغلب عليه طابع التبعية يعتمد في أغلب مادته على مصادر غير معنية بمصالح هذه الأمة وتقدمها بل على العكس من ذلك فإن همها الوحيد هو ضياع هذه الأمة وتضليلها والقضاء على شخصيتها النابعة من عقيدتها الحققة . ونتج عن اعتماده على هذه المصادر أن غلب عليه طابع السلبية في جميع القضايا الهامة والمصيرية وأصبحت نظرتة للأمور جزئية وركائزه ومبادئه التي يعتمد عليها ضعيفة مما جعلني أقرر بكل أسف بأنه إعلام فاشل عديم الجدوى بل استطيع تأكيد أن هذا الإعلام من أكبر العوامل التي ساهمت في إبعاد هذه الأمة عن عقيدتها مما نتج عنه تمزيق شملها وانتشار الخلافات بين شعوبها وتعميق جذور تلك الخلافات في جميع ميادين الحياة . حتى صار من الصعب على هذه الأمة تخطيها والرجوع إلى وحدتها وقوتها وعزتها وكرامتها إلا بمعجزة من الله عز وجل أو الرجوع بإخلاص إلى كتاب ربها

(١) العقائد الإسلامية - السيد سابق - ص ١٥ - دار الكتاب العربي - بيروت

والإعتماد على هديه في الإعلام لجذب الناس إلى عقيدة التوحيد وغرسها في نفوسهم وابعادهم عن الشكليات الجوفاء والشعارات الزائفة حتى تتمكن من النهوض بتبعاتها وتضطلع بمسئولياتها داخلياً وخارجياً فتقود الأمم وتهدي الشعوب إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة فيصدق عليها قول ربها كما صدق عليها من قبل ﴿ كَتَمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ ۞ ﴾ (١) وتحظى بوعد ربها في قوله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ ﴾ (٢) .

(١) آل عمران/ ١١٠

(٢) النور/ ٥٥

الفصل الثاني

« أثره في الأخلاق »

يقول مصطفى السباعي : « إن الأمة مجموعة متماسكة من الأفراد وكلما كان الفرد سليماً كان بناء الأمة سليماً وكلما كانت أخلاق الأمة قوية كانت اتجاهاتها سليمة وهدفها مستقيماً »^(١) من أجل ذلك عنى القرآن الكريم بنشر الأخلاق الفاضلة كاعتنائه تماماً بنشر عقيدة التوحيد التي استمر في الدعوة إليها مدة ثلاثة عشر عاماً بمكة وذلك للتلازم الشديد بينهما وليقينه بأن المجتمع الذي يفقد الروح الأخلاقية أو تضعف عنده عراها فإنه سيكون معرضاً للتفكك والإنهيار على الدوام .

عناية القرآن بالأخلاق :

وقبل القاء الضوء على بعض الجوانب الأخلاقية والأساليب الإعلامية التي استخدمت في تكوين رأى عام حولها يحسن بنا أن نبين أن الله سبحانه وتعالى قد غرس في داخل كل نفس إنسانية بصيرة أخلاقية غريزية منذ نشأتها قال تعالى : ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾^(٢) .

غير أن هذه البصيرة الأخلاقية المغروسة في نفوسنا ناقصة وغير كافية وذلك بسبب أن الضمير الإنساني إذا اقتصر على مصادره الفطرية وجد نفسه عاجزاً في غالب الأحيان عن أن يقدم في جميع الظروف « قاعدة » ذات طابع عام تستأثر باعتراف الجميع^(٣) . لذا فإننا نرى كل أمة إذا انقطعت من بلادها آثار النبوة وتطاول عليها الأمد فإنها لا تخلو من بعض الأخلاق الفاضلة والتي اعتمدت في معرفتها لها على مصادرها الفطرية ولكننا في

(١) أبحاثنا الاجتماعية - مصطفى السباعي - ص ٥ - مكتبة الشباب المسلم - « دمشق » .

(٢) الشمس / ٧ ، ٨

(٣) دستور الأخلاق في القرآن - محمد عبدالله دراز - ص ٥٠ - ج مؤسسة الرسالة بيروت .

نفس الوقت نجد هذه الأخلاق ناقصة وغير ثابتة لأنها لا تركز على أساس متين من العقيدة الصحيحة .

والقرآن الكريم حين جاء كان يعلم أن النفس البشرية لا تتغذى بالحقائق النظرية وحدها فبجانب حاجة الإنسان إلى المعرفة والإعتقاد يحتاج في الحاح إلى القاعدة العملية القادرة على توجيه نشاطه في كل لحظة من حياته سواء في تصرفاته مع نفسه أو في علاقته مع غيره أو مع خالقه .

لذا فإننا نراه قد « اهتم بتوازن القوى المختلفة في المجتمع وبناء الأمة بناء متراساً لا وهن فيه ولا ثغرة ولا اختلال »^(١) حتى يظل هذا البنيان متماسكاً ينهض للواجب ويثبت للكوارث ويعيش في الحياة كريم الخلق والسمعة يأوى الى ظل ظليل من أمن شامل وسعادة تغمر الناس جميعاً .

ومن ثم فإن أول ما عنى به القرآن الكريم هو وضع قاعدة عملية فعالة تعمل على دفع الناس إلى العمل بتلك الحقائق النظرية التي يمكن التوصل إليها عن طريق البصيرة الأخلاقية الموجودة في النفس البشرية وجعل اعتماده على هذه البصيرة مقتصرأ على إيقاف الناس على الحقائق النظرية لرسالة القرآن الاخلاقية واشعارهم عن طريقها بأن جميع ما جاء به من أخلاق يوافق فطرهم السليمة التي فطرهم الله عليها وذلك واضح من الآيات الجامعة للأخلاق الفاضلة قال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾^(٣) .
وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن

(٣) الأعراف/ ٢٣

(١) أخلاقنا الاجتماعية - ص ٦

(٤) الأعراف/ ١٥٧

(٢) النحل/ ٩٠

الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴿١﴾

فهذه الآيات لخصت وبلورت للأمة رسالة القرآن الكريم الأخلاقية مما ساعدتهم على استيعابها وتلقيهم لها بالقبول والرضا المطلق . ولكن المبدأ الذي وضعه القرآن الكريم ليكون القاعدة الأساسية التي ينطلق منها العمل الأخلاقي ويحكم عليه من خلالها هو أن المرء لا يقوم بأي عمل أخلاقي إلا إذا كان مراده منه رضى الله عز وجل وأن كل عمل أخلاقي لا يرتكز على هذا المبدأ وهذه العقيدة لا قيمة له عند الله ولا ثمر له ولا استقرار . وهدف القرآن الكريم من ربط أى عمل أخلاقي بالعقيدة واشتراطه النية في ذلك هو من أجل تكوين ضمير أخلاقي حي في هذه الأمة يتسم بالثبوت والاستقرار بحيث يقوم به الفرد برضى من نفسه ويتلقائية وسرور تأمين .

ولذا فإن القرآن الكريم يذم كل من يقوم بالواجبات الأخلاقية بدافع غير دافع العقيدة وابتغاء رضى الله عز وجل ونحبر أن عمله هذا غير مقبول عند الله تبارك وتعالى قال تعالى : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهو كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ (٢).

كما أخبر أن أعمال الكفار الأخلاقية غير مقبولة ولا تعود عليهم بأدنى فائدة قال تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (٣).

وخلاصة القول ان القرآن الكريم كان هدفه الأسمى إيقاف الناس على الحقائق النظرية للأخلاق الحميدة معتمداً في ذلك على البصيرة الأخلاقية وفي نفس الوقت وضع هذه الأخلاق على قاعدة عملية صلبة من الإيمان بالله واليوم الآخر وربطها بربطاً وثيقاً ليضمن بذلك بقاءها وثباتها في المجتمع الإسلامي لأن بقاءه مرتبط ببقائها ووجودها فيه . فإذا زالت أو ضعفت فيه تفككت أوصاله وضعف بنيانه مما قد يؤدي به إلى الزوال .

« بعض الجوانب الأخلاقية التي حث القرآن عليها بأساليب متعددة » :-

والحقيقة انه ما كان بمقدور أى قوة إعلامية في الأرض أن تحقق ما حققه القرآن الكريم في أمته مهما بلغت أساليبها الإعلامية من القوة والتأثير . ولكن القرآن الكريم بفضل أساليبه المعجزة

(٣) إبراهيم / ١٨

(١) الإسراء / ٥٣

(٢) التوبة / ٥٤

ودقته في اختيار البداية الصحيحة وقوة معرفته للنفس البشرية وطبائعها وبفضل صدق محتواه وشرف قصده استطاع في سنين معدودة أن يفتح أعين الناس على الخير والشر ويبين آثارهما الحسنة والسيئة فرغب في الأخلاق الحسنة ونفّر من الأخلاق السيئة بعد أن قوى إرادة الخير في الإنسان على إرادة الشر بزرع العقيدة في قلبه فعَمّ الصلاح والخير في المجتمع الإسلامي . ولا أكتفي بما قلته اجمالاً بل لابد لي من القاء الضوء على بعض الجوانب الأخلاقية الهامة التي أوجدها القرآن الكريم في أمته بفضل قوة أساليبه الإعلامية وركائزه التي اعتمد عليها في العرض والإقناع .

١ - الصبر :

إن من أعظم فضائل النفس وأخلاقياتها فضيلة الصبر لأن الصبر هو الجهد النفسي للتأني على المعاصي والإبتعاد عن السيئات وهو أيضاً الجهد العملي الإيجابي الملىء بالحركة والسعي للإنتاج وتحمل التبعات والتعرض لجلال الأفعال ومواقف الأبطال » وإذا الفتنا النظر إلى ما ينعم به البشر من النعم المادية والروحية ظهر لنا أنه ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة^(١).

ولاهمية هذا الخلق بالنسبة لأمة القرآن لم يحضّ على خلق من أخلاقه كما فعل بشأن الصبر واستخدم في ذلك عدة أساليب من أهمها :

أسلوب الترغيب : وذلك بإعلام هذه الأمة أن الصبر من أهم صفات الأنبياء والمرسلين - قال تعالى : ﴿ واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾^(٢).
وقال مخاطباً الرسول ﷺ ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾^(٣).

- ولقد حضهم عليه ورغبهم فيه لأنه طريق الفلاح والفوز الأبدي قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾^(٤).
- ومن الترغيب فيه أيضاً أن الله سبحانه وتعالى مع الصابرين بتأييده ونصره ومعونته

(١) دعوة الإسلام - السيد سابق - ص ١٣٣ - دار الكتاب العربي - بيروت

(٢) آل عمران/ ٢٠٠

(٣) الأحقاف/ ٣٥

ومثوبته قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (١).

- ولقد بشر الله سبحانه وتعالى الصابرين بأنه يضاعف لهم الأجر والثواب قال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٢).

- كما بشرهم بأن جزاءهم الجنة قال تعالى : ﴿ وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾ (٣).

- وبشر الصابرين أيضاً بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأنهم مهتدون قال تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين - الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (٤).

وأخيراً بشرهم بأن أجرهم وثوابهم لا نهاية له ولا حدود بل هو موكول لفضل الله العظيم الذي لا حدود له ولا قيود قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٥).

- وحضهم على الصبر أيضاً بأسلوب التذكير بما ناله الصابرون من مكانة في الدنيا والآخرة بسبب صبرهم على الحق والعمل به قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (٦).

وكما حض القرآن على التحلي بالصبر في مواطن الابتلاء الذي هو من سنن الله في الحياة فإنه حذر من تركه في آيات كثيرة قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ (٧).

وقال تعالى : ﴿ ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلمعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن

(٥) الزمر/ ١٠

(٦) السجدة/ ٢٤

(٧) آل عمران/ ١٤٢

(١) الأنفال/ ٤٦

(٢) القصص/ ٥٤

(٣) الإنسان/ ١٢

(٤) البقرة/ ١٥٥-١٥٧

تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ﴿ (١) 》

وقال تعالى : ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (٢) .

« صورتان من صبر الصحابة »

ولقد ضرب أصحاب رسول الله ﷺ مثلاً رائعاً في الصبر فهذا بلال بن رباح . . كان أمية بن خلف . . يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له (لا والله) لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد ﴿ (٣) 》 .

« وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه . . وأمه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . . . » ﴿ (٤) 》 .

٢ - الرحمة :

فالرحمة هي الرابطة التي تربط بين الناس وفي ظلها يحيا الناس حياة سعيدة في حب ووديرحم القوى الضعيف والغني الفقير والثري المحتاج وينال كل ذي حاجة حاجته بباعث الرحمة والمساواة .

ولقد حث القرآن الكريم هذه الأمة على التحلي بصفة الرحمة في مناسبات متعددة وبأساليب متنوعة .

ففي مناسبة ذكر حق الوالدين والأمر بالإحسان إليهما أمر بالرحمة وهما أحق الناس بالرحمة قال تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (٥) .

وفي مناسبة تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية وكمال العظمة ونفوذ المشيئة ذكر أن من دلائل ذلك انه جعل علاقة الزوج بزوجته مبنية على المودة والرحمة قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (٦) .

(١) ال عمران/ ١٧٩ (٢) العنكبوت/ ١ - ٣

(٣) السيرة النبوية - القسم الاول - ص ٣١٧ مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر

(٤) نفس المرجع - ص ٣٢٠ (٥) الإسراء/ ٢٤ (٦) الروم/ ٢١

وفي معرض امتنان الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بأنه بعث فيهم النبي الأمي محمدا ﷺ الذي يتسم بغاية النصح لهم والسعي في مصالحهم ذكر أيضاً ما كان يتسم به ﷺ من الرحمة والشفقة عليهم . قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (١) وعندما أراد الله سبحانه وتعالى الإشادة ببعض صفات أصحاب رسول الله ﷺ كان من أهمها أنهم أشدّاء على من خالف دينهم وأما من وافق دينهم فهم رحماء به يودونه ويعطفون عليه قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود .. ﴾ (٢).

فهذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة في القرآن الكريم وهو كثير من شأنها إشعار هذه الأمة بأهمية هذا الخلق وترغبهم فيه لأنه صفة الله عز وجل وصفة رسله وأنبيائه عليهم صلوات الله وسلامه كما أنه صفة الصفوة المختارة من عباده الصالحين - والرسول ﷺ هو المثل الأعلى والقُدوة الحسنة لأهل القرآن وقد وصفه التنزيل في أكثر من آية بفضيلة الرحمة فقال ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر .. ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٤).

صورتان من شفقة الرسول ﷺ ورحمته :-

وما أكثر الشواهد التي تجلت فيها رحمة الرسول ﷺ لقد رحم الصغير والكبير ورحم القريب والبعيد ورحم الصديق والعدو ورحم الإنسان والحيوان ولقد بلغ من رحمته أنه كان يصلي وهو حامل أمانة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع . . فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها (٥) وهو الذي قال لمعاذ عندما بلغه أنه يطيل القراءة حين يؤم قومه في الصلاة « فلولا صليت بـ » سبح اسم ربك الأعلى « والشمس وضحاها » و « الليل إذا يغشى » فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة (٦).

(١) التوبة/ ١٢٨ (٢) الفتح/ ٢٩
(٣) آل عمران/ ١٥٩ (٤) الأنبياء/ ١٠٧
(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ص ٢٢١ - ج ١
(٦) نفس المرجع ص ٢٠٧

وبهذا الخلق الطيب يكون القرآن الكريم قد أوجد الفرد المسلم الذي لا يحتكر الخير لنفسه ولا يهمل التفكير في غيره فيتألم لألامهم ويقدر مشاعرهم ويسهم في معاونتهم وبذل جهده في التخفيف عنهم كل ما احتاجوا ذلك وبهذا الشعور الذي غرسه القرآن الكريم في نفوس أفرادهِ قوَى روابط المجتمع الإسلامي وجعله كالبنیان المرصوص يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

٣- الكرم :

ومن علائم الخير في الأمم أن ترى أبناءها « ينفقون المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع وأن ترى فيها من يكف عن بعض حاجاته التي تخصه ليؤثر بها من يستحقه »^(١).

لذا فإن القرآن الكريم أولى عناية خاصة بإيجاد هذا الخلق في مجتمعه وبذل جهداً عظيماً في بيان مصارف الأموال وكيفية الإنفاق بأساليب إعلامية في غاية الدقة والجمال . فحذر الأفراد في حياتهم الخاصة من الإسراف والتقتير قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾^(٢).

ورغب في التوسط في الإنفاق في الحياة الخاصة بالمدح والثناء على من كانت هذه صفته من المؤمنين قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾^(٣) ونفر الله سبحانه وتعالى من الإسراف والتقتير بإخباره لهم بأنه يبغض المسرفين قال تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾^(٤).

وأما في الحياة الاجتماعية فإنه طبع في نفس الفرد حب الجود وإنفاق الأموال بلا حدود لأنه ميدان التنافس والتسابق للفوز برضى الله عز وجل وماعنده من نعيم مقيم .

فبشر المنفقين في هذا الميدان بأن الله سبحانه وتعالى سيظلمهم بظلمة يوم القيامة وسينيلهم الخيرات ويدفع عنهم الأحزان والمخاوف في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾^(٥).

(١) تهذيب الأخلاق - أحمد بن مسكويه - ص ٢٦ دار مكتبة « الحياة » - بيروت

(٢) الإسراء/ ٢٩ (٣) الفرقان ٦٧

(٤) الأعراف/ ٣١ (٥) البقرة/ ٢٧٤

ورغب فيه بمضاعفة الأجر على هذه النفقة أضعافاً مضاعفة قد تصل إلى مئات المرات قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١).

وعلى هذا الخلق الكريم ربي القرآن الكريم أمته حتى بلغ بهم أعلى درجات الكرم وهو الإيثار قال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (٢).

وفي الوقت الذي كان القرآن الكريم يغرس فضيلة الكرم في نفوس أبناء هذه الأمة فإنه كان أيضاً يعالجها من مرض البخل الذي يعتبر من أعظم الأسباب في ضياع الحقوق والواجبات وتعطيل المشروعات النافعة كالأستعداد للجهاد في سبيل الله والإنفاق على الضعفاء إلى غير ذلك من المصالح الخاصة والعامة مما قد يؤدي إلى فساد كبير في المجتمع الإسلامي فحذر من البخل وخوف من عاقبته التي تتمثل في خزي الدنيا والعذاب المهين في الآخرة . قال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يجمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (٤) :

وكما حارب القرآن البخل في أمته فإنه حارب الإسراف أيضاً وحرمه على أمته إلا في الأمور الهامة والخطيرة التي تتعلق بها مصير الأمة لدفع ضرر عنها متوقع في حاضرها أو مستقبلها . وذلك لما قد يؤول إليه المسرف من الإفلاس والإحتياج للآخرين . قال تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ (٥) فجعل التبذير خلقاً من أخلاق الشيطان وصفة من صفاته وذلك للتنفير منه وعدم القيام به إلا في محله .

أمثلة من كرم الصحابة :

« لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم روائع الأمثلة في الكرم والجود والايثار » فهذا

(١) البقرة/ ٢٦١

(٢) التوبة/ ٣٤ ، ٣٥

(٣) الإسراء/ ٢٧

(٤) الحشر/ ٩

(٥) آل عمران/ ١٨٠

ابوهريرة رضى الله تعالى عنه يخبرنا أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجُهدُ فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهم شيئاً فقال : ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمة الله ؟ فقال رجل من الأنصار . . أنا يا رسول الله فذهب به إلى أهله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً قالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنؤمِّيهم وتعلي فاطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله ﷺ ففعلت . . . فأنزل الله في هذا الأنصاري وزوجته ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

وروى عن ابن عمر أنه قال : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول» (١).

٤ - التواضع :

إن التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس وهو موجب للرفعة وباعث على التألف ومحقق للحب والود « وقد عرّفه مظفر القرميسي الصوفي بقوله « التواضع قبول الحق ممن كان وذلك بالخضوع له والإنقياد إليه ولو كان من صغير أو جاهل » (٢) وقد أمر القرآن الكريم الرسول ﷺ بالتواضع والصبر على مصاحبة الأخيار من المؤمنين وأن يجاهد نفسه على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء وهذا فيه أمر لأمتة أيضاً بذلك أسوة به فقال ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطاً ﴾ (٣).

والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم في آية أخرى مرغباً له ولأمته تبعاً له في خلق التواضع - إن التواضع يجذب الناس إلى دين الله ويرغبهم فيه وانه يرفع صاحبه في الدنيا عند الناس وفي الآخرة عند الله وان تركه ينفر الناس عن الدين ويبغضهم فيه مع ما أعد لصاحبه من الذلة والمهانة في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ فبما ربحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في

(١) أنظر « فتح القدير » ج ٥ ص ٢٠٢

(٢) موسوعة أخلاق القرآن ج ١ ص ٦٨

(٣) الكهف/ ٢٨

الامر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿١﴾ .

وقد أشاد القرآن بخلق التواضع في عباد الله المخلصين وذلك ترغيباً فيه ودعوة صريحة إليه . قال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ (٢) .

وإذا كان القرآن الكريم قد حمد التواضع ودعا أمته إليه فإنه قد حارب التكبر وأهله . فبين أنه من أخلاق الشيطان سيد المتكبرين وذلك تنفيراً منه وطلباً لهذه الأمة بالابتعاد عنه قال تعالى : ﴿ قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٣) وكانت نتيجة وعاقبة تكبره هذا أن هبط من مرتبته العالية في الجنة إلى أسفل السافلين مهانا ذليلاً وذلك جزاء له على كبره وعجبه بنفسه قال تعالى : ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ (٤) .

كما بين أنه من أبرز خصال الجبابة التي أدت بهم إلى نقمة الله سبحانه وتعالى في الدنيا من أمثال قارون الذي تطاول على قومه بدافع من الغرور والتكبر بما يمتلكه من قوة وسلطان معتقداً بأنه بذلك يستحق من التعظيم والإتباع مالا يستحقه أحد غيره فاقراً قصة قارون من قوله تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبنى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لا يحب الفرحين . . إلى قوله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين ﴾ (٥) .

هذه هي النتيجة التي جعلها الله تبارك وتعالى للمتكبرين إن جزاءهم يكون بغته وهو دائماً يكون من جنس العمل فكما يرفعون أنفسهم على عباد الله ويتطاولون عليهم ينزلهم الله أسفل سافلين .

وكانت عاقبة فرعون عند ما طغى وتكبر وتطاول على موسى وقومه أن أغرقه الله سبحانه وتعالى مع جنده في البحر

وعاقبة هؤلاء وأمثالهم ذكرها القرآن الكريم لتحذير أمته من التكبر وحثهم على التواضع

والتخلق به

(١) آل عمران/ ١٥٩

(٢) الأعراف/ ١٣

(٣) الفرقان/ ٦٣

(٤) القصص/ ٧٦-٨١

(٥) الأعراف/ ١٢

وقد هدد الله سبحانه وتعالى المتكبرين على عباده وعلى الحق وعلى من جاء به بأنه سيصرفهم عن كل مامن شأنه أن ينفعهم أو يهديهم إلى الطريق الصحيح في كل الظروف والأحوال قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١).

وفي هذا تخويف وتحذير من هذا الخلق الرذيل ومن عواقبه السيئة والمدمرة في الدنيا والآخرة .

أمثلة من تواضع الصحابة :

ولقد ظهرت صور رائعة من التواضع في سلف هذه الأمة .
فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه تقول عنه أنيسه أنه لبث فيهم ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنة بعد ما استخلف فكان جوارى الحى يأتينه بغنمهن فيحلبن لهن . . .
وروى عن ميمون بن مهران أن رجلاً جاء إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقال : السلام عليك يا خليفة رسول الله فقال له أبو بكر « من بين هؤلاء أجمعين » (٢).

وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول عنه قتادة إنه كان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنكت والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به » (٣).

وهكذا استمر القرآن الكريم بأساليبه الإعلامية المعجزة يحث على الأخلاق الفاضلة ليقوّي بها الروابط بين أفراد أمة ويوثق العلاقات بينهم حتى يكون المجتمع المسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

فدعا إلى الشجاعة بقوله « فلاتهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » (٤).

وإلى المحبة والمودة بقوله « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٥).

(١) الاعراف/ ١٤٦

(٢) تاريخ الخلفاء - السيوطي - ص ٨٩ - دار التعاون - مكة المكرمة

(٣) نفس المرجع - ص ١٤٣ (٤) محمد/ ٣٥ (٥) الحجرات/ ١٠

وإلى الأمانة والعدل بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (١).
ومن وصاياه العامة لهذه الأمة في باب الأخلاق قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْم مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

سبب ضعف الأمة وانقسامها ومسئولية الإعلام عن ذلك :

ومانراه اليوم في العالم الإسلامي من ضعف وانقسام وتمزق بسبب الخلافات الطائفية والانقسامات الفكرية والتي شغلتهم عن العمل الموحد من أجل قضاياهم الكبرى ومصالحهم المشتركة كل ذلك يرجع في الحقيقة إلى سببين رئيسيين باتفاق جميع المفكرين الإسلاميين وهما ضعف العقيدة ثم ضعف الأخلاق الإسلامية . وهذا مما يؤكد ضرورة العناية بتقوية هذين الأساسين والعناية بهما أكثر من غيرهما .

والإعلام الإسلامي المعاصر يتحمل كل المسؤولية أو جلها فيما وصل إليه العالم الاسلامي من ضعف في العقيدة وانهيار في الأخلاق وذلك بسبب ابتعاده عن متابعة هموم الناس ومشاكلهم وإرشادهم إلى مافيه مصالحهم الخاصة والعامة وبسبب غيابه عن ساحة الصراع العالمي في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة مما نتج عنه تعرض هذه الأمة إلى غزو إعلامي خارجي قوي يستهدف تحطيم عقائد هذه الأمة وأخلاقياتها بالأساليب المباشرة وغير المباشرة مما كان له أعظم الأثر في تفتيت هذه الأمة وانقسامها على نفسها فضاعت حقوقها واغتصبت أرضها وشوهت صورتها لدى الأمم حتى أصبحت مضرب الأمثال في التخلف والغباء بعد أن كانت مضرب الأمثال في الشرف والعزة والقوة والتقدم في جميع ميادين الحياة .

ومن هنا يتضح لنا أهمية التركيز على الإعلام الإسلامي للنهوض به وترقية أساليبه القولية منها والعملية حتى يصل إلى مستوى المسؤولية فيقوم بواجبه كاملاً تجاه أمته فينهض بها من كبوتها ويجمع كلمتها ويقضي على كل أسباب الضعف - والانقسام فيها فيحمل الناس على

(١) النساء/ ٥٨

(٢) الحجرات/ ١١

العقيدة الصحيحة وعلى الأخلاق الكريمة فيبعث روح المحبة ويوثق عراها في المجتمع الإسلامي من جديد . ويحاول إدخال جميع أفراد وطوائفه في وحدة إنسانية شاملة تعمل على إنهاض الإنسانية وترقيتها وإعلاء شأنها لتبلغ كماها المقدرها وتتصدر مكانها الحقيقي الذي كتبه الله لها لقيادة البشرية إلى مايسعدها في الدارين .

وذلك كله لايمكن تحقيقه إلا إذا استعنا بهدى ربنا وجعلناه المصدر الوحيد في سياستنا الإعلامية فنطبق أوامره ونجتنب نواهيه في جميع المجالات في العقيدة والأخلاق ، وفي المعاملات ، مهما كانت الصعاب والعقبات .

الفصل الثالث

أثره في المعاملات

نظام المعاملات ضرورة إنسانية :

« خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبعه ترتبط مصالح كل فرد بمصالح غيره ويصعب على الناس ان يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضاً ولا يمكن استغناء بعضهم عن بعض فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشئ من عمله »^(١) كما انه فطره على جملة من الغرائز والميول والرغبات لا يمكن قلعها واستئصالها أبداً وإن كان يمكن تقويمها وتهذيبها إذا ما انحرفت أو تكدرت . ومن أبرز هذه الغرائز وهذه الميول حب جمع المال وتملكه وكره مشاركته في ثمرة جهوده قال تعالى : ﴿ وتحبون المال حباً جماً ﴾^(٢) .

وعلى هذا فإنه لا بد من وضع نظام للمعاملات يحقق حاجات الإنسان ولا يتناقض مع فطرته ويحفظ الحقوق ويوفر المنافع لجميع الأطراف المتعاملة حتى يعيش الناس جميعاً في سعادة ورغد من العيش . ولا شك أن الإنسان مهما بلغت عبقريته وسعة إدراكه عاجز عن تحقيق هذا الغرض بسبب جهله بأسرار الكون وعجزه عن الاحاطة بما تحتاج إليه النفس البشرية في حاضرها ومستقبلها .

ويمكننا تصور مدى حاجة البشرية إلى مثل هذا النظام وعجز البشرية عن إيجادها إذا القيينا نظرة إلى تلك الفوضى المتطرفة التي كانت تسود المجتمع العربي قبل الإسلام حيث لا قانون يحكمهم ولا دين يردعهم فانتشر الفقر والحاجة وضعفت روابط التعامل بينهم وساءت أحوالهم وفي ذلك يقول الجاحظ « لم يكن العرب تجاراً ولا صناعاً ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحه

(١) الشريعة الإسلامية - بدران أبو العنين بدران - ص ٥ مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية . يتصرف

(٢) الفجر / ٢٠

فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من السنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوايق والقراريط كانوا سكان فيافي وتربية عراء^(١) فلجئوا لذلك إلى الغارة والسلب والنهب وتنمية الأموال بطرق غير أخلاقية كالتعامل بالربا وغيره . وأما العمل والسعي من أجل الكسب الشريف فقد كانت هناك فكرة سائدة عندهم تقول « بأن العمل إهانة وأنه من اختصاص الأرقاء والمستعبدين والطبقة الدنيا من البشر وأنه لا يليق بعلية القوم »^(٢).

عناية القرآن بالمعاملات

جاء القرآن الكريم والعرب في أشد الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم نحو طريق الخير في المعاملات فكان أول عمل قام به هو وضع القاعدة الصلبة من العقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة لأن أي نظام أو تنظيم عملي لا يقوم على هذه القاعدة محكوم عليه بالزوال وعدم البقاء . قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾^(٣) ثم تناول العمل وأنواع التعامل وأدواته تناول الموجه الحذريييح ويمنع وفق ما تقتضى به مصلحة الفرد والمجتمع . وفيما يلي نحاول إبراز صورة واضحة لنظام العمل والمعاملات الذي دعا إليه القرآن الكريم أمته .

أولاً : الحث على العمل

حث القرآن الكريم على العمل وبارك للعامل ونذد بالعجز والكسل وبين أن أشرف الأعمال وأعظمها ما كان مباحاً مقترناً بالنية الصالحة . وجعل المقياس الحقيقي لقيمة الإنسان هو ما يقوم به من الأعمال الصالحة . التي يبتغي بها وجه الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾^(٤).

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أمة القرآن بأنه سخر لهم الأرض وذلك لها لهم ليحصلوا منها على حاجاتهم وحثهم على السعي والكد فيها من أجل الحصول على العيش والكسب وذلك في قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه

(١) الإسلام دين ودنيا - عبد الرزاق نوفل ص ١٤ - دار الجيل للطباعة « الفجالة »

(٢) العمل والضمان الإجتماعي في الاسلام - صادق مهدي السعيد ص ٥٥ مطبعة المعارف - بغداد

(٣) التوبة / ١٠٩

(٤) النجم / ٣٩ - ٤١

النشور ﴿١﴾

ولأن الله سبحانه وتعالى كتب على هذه الأمة العمل وتحمل المشاق من أجل الكسب والمعاش ولو أدى بهم ذلك إلى الأسفار وركوب الأخطار فإن رحمته اقتضت أن يرفع ويخفف عنها كل ما من شأنه أن يضعفهم أو يضاعف من أتعابهم حتى شمل هذا التخفيف الصلاة قال تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضي وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله . . ﴾ (٢).

وقد أخبر القرآن الكريم أمته أنه لا مانع عليها من العمل في جميع الأوقات حتى في أثناء أداء فريضة الحج قال تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ (٣) يقول سيد قطب رحمه الله عند شرحه لهذه الآية الكريمة « إن الله سبحانه وتعالى أباح البيع والشراء والكراء في الحج وسما ذلك ابتغاء من فضل الله . . . ليشعر من يزاوها أنه يبتغي من فضل الله . . ومتى استقر هذا الإحساس في قلبه . وهو يبتغي الرزق فهو إذا في حالة عبادة لله لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه إلى الله » (٤).

ولما كان الإشتغال بالعمل التجاري وغيره مظنة الغفلة عن ذكر الله أمر القرآن الكريم أمته بالإكثار من الذكر وجعل ذلك من أعظم أسباب الفلاح في العمل التجاري ليرغب فيه قال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (٥).

يظهر لنا مما تقدم أن القرآن الكريم أقر أن العمل هو أفضل وسيلة لضمان عيش الإنسان ورفاهيته كما أنه من أقوى الأسباب في بناء كيان الأمة والتمكين لها في أرض الله .

ثانياً : تحريم أكل أموال الناس بالباطل والغش والربا :

وفي مقابل الحث على العمل والدعوة إلى تنمية الأموال والسعي للحصول على الرزق نهى القرآن الكريم أمته عن العمل وتنمية الأموال على وجه يمس بحقوق غيره من الناس لأن ذلك من شأنه الإضرار بمصالحه ومصالح غيره واضعاف روابط المودة والمحبة ويشير الأحقاد في الأمة الواحدة .

(٤) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ج ٢ - ص ١٩٨ .

(٥) الجمعة / ١٠

(١) الملك / ١٥

(٢) المزمل / ٢٠

(٣) البقرة / ١٩٨

من أجل ذلك دخل القرآن الكريم حركة السوق والمعاملات التجارية ليحارب الظلم والغش والربا وجميع أنواع أكل حقوق الناس بالباطل .
أ - محاربة الغش وأكل أموال الناس بالباطل :

نهى القرآن الكريم أمته عن أكل أموال الناس بالباطل وهذا يشمل الغصب وفتح المواخير وحانات الخمر ، واخذها بالغمار ، والسرقا وأباح لهم أكلها - بالتجارات والمكاسب المباحة الخالية من الموانع الشرعية . وبين لهم أن أمره لهم بهذا من رحمته لهم لما فيه من صون الأموال والمحافظة عليها من الضياع . وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١) .

ولما كان الغش من أخطر الأمور التي تضعف الثقة بين أفراد المجتمع وتحدث خللاً في تنظيم صلاته وأخلاقياته . ولما كان أخطر ما يكون الغش والخداع والطمع في الكيل والميزان وسائر أنواع التقادير . كان لابد من أن يتناولها القرآن الكريم بشيء من العناية في مكيبه ومدنيه وبأساليب متعددة .

أسلوب الترغيب : قام القرآن الكريم بترغيب أمته في العدل وإيفاء المكايل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقُسْطِ السَّيِّئِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) .

وهذه الآية يفهم منها النهي عن كل غش والأمر بالنصح والصدق في كل المعاملات لما في ذلك من حسن العاقبة للمتعاملين في الدنيا والآخرة ويقول الشوكاني في معنى قوله تعالى « ذلك خير وأحسن تأويلاً » بأنه خير لهم عند الله وعند الناس ينتج عنه حسن الذكر وترغيب الناس في معاملة من كان كذلك (٣) .

أسلوب الوصية : قام القرآن الكريم بإعلام أمته بأن من بين المسائل الهامة التي أوصى الله جل جلاله بها جميع الأمم ومنهم أمة محمد ﷺ أن تقوم بها وحشها على بذل ما في وسعها للقيام بها مسألة الإيفاء التام في الكيل والوزن سواء في ذلك أكان الحق لكم أو عليكم للمحافظة على الحقوق والواجبات بين الناس اقرأ من قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي -

(٢) فتح القدير - ج ٣ - ص ٢٢٧

(١) النساء/ ٢٩

(٢) الإسراء/ ٣٥

عليكم . . ﴿ إلى قوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ (١) .

أسلوب التهديد والوعيد : ومن الأساليب التي عالج بها القرآن الكريم هذا المرض الخطير « التهديد والوعيد » بإنزال العذاب الشديد بكل من يقوم بالتقليل من حق المتعامل معه في الكيل وأما إذا تعامل مع غيره فإنه يأخذ حقه كاملاً في الكيل ويستوفيه قال تعالى : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالواهم أو وزنهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ (٢) وكان سبب نزول هذه الآية ماروى عن ابن عباس أنه قال : « لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله « ويل للمطففين . . . » فأحسنوا الكيل بعد ذلك » (٣) .

ب - محاربة الربا :

وكما حارب القرآن الكريم تنمية الأموال والعمل على الكسب عن طريق الظلم والغش فإنه حارب طريقاً آخر يعتبر من أسوأ الطرق والأساليب وأخبثها في تنمية الأموال وأعني بذلك « طريق الربا » وذلك بسبب ما يدره من كسب مضمون من غير بذل أى جهد أو عمل شريف كما أنه يؤدي إلى تضخم رؤوس الأموال في يد عاطلة عن العمل تحتكره فيسبب ذلك اختلال التوازن في المجتمع الإسلامي فتتدهور أخلاقه وتضعف معاملاته وتنقض روابطه الإنسانية . فكان لا بد للقرآن من القضاء على هذا النوع من المعاملات ليظهر مجتمعه من خبثه وخطره واتبع في ذلك أساليب اعلامية من أهمها .

- أنه قام بالتنفير من الربا وأهله قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (٤) يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية « وما كان أى تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة صورة الممسوس المصروع وهى صورة معروفة معهودة للناس فالنص يستحضرها لتؤدى دورها الإيحائي في إفزاع الحس لاستجاشة مشاعر المرايين وهزها هزة عنيفة تخرجهم من مألوف عاداتهم . . . في حرصهم على الربا . وعلى ما يحققه لهم من الفائدة » (٥) .

(١) الأنعام/ ١٥١ - ١٥٢ (٣) المرجع السابق - ج ٥ ص ٣٩٧ (٥) في ظلال القرآن - المجلد ١ - ج ٣ - ص ٣٢٣

(٢) المطففون/ ١ - ٦ (٤) البقرة/ ٢٧٥

ثم أصدر الله سبحانه وتعالى بياناً عرض فيه عقوبة المرابين وذلك بقوله ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (١) أى من انتهى من المعاملات الربوية بعد ما ظهر له من بشاعتها وحرمتها وتاب إلى الله ورجع عن أثمه فأمره متروك إلى خالقه وأما من عاد إلى تعاطيها بعد بيان الله وتذكيره ووعدته ووعيده فإنه يستحق العذاب .

ثم أصدر بياناً آخر بأسلوب التقابل مفاده أن الله كتب على نفسه محق مكاسب الربا ونزع البركة منها كما كتب على نفسه إرباء صدقات المنفقين وتزكيتها قال تعالى : ﴿ يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ (٢) .

وهذا خلاف ما يتبادر إلى أذهان الناس مما يدل على أن الرزق وحصول ثمراته من الله جل وعلا . وما عند الله لا ينال إلا بطاعة وأمره واجتناب نواهيه وفي هذا من التحذير من تعاطي الربا والترغيب في الصدقات ابتغاء مرضاة الله ما لا يخفى .

ثم وجه خطاباً أخيراً إلى المؤمنين يأمرهم فيه بتقوى الله عز وجل وترك ما بقي من الأموال الربوية التي كانوا يتعاطونها وانهم إن لم يمتثلوا ما أمروا به فإنهم بذلك يكونون محاربين لله ورسوله قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ (٣) .

وهذه الآية كما نلاحظ تحتوى على التصفية النهائية للتعامل الربوي لأنها « علقّت إيمان الذين آمنوا على ترك ما بقي من الربا فهم ليسوا بمؤمنين إلا أن يتقوا الله ويذروا ما بقي من الربا ليسوا بمؤمنين ولو أعلنوا أنهم مؤمنون فإنه لا إيمان بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به » (٤) .

ثالثاً : حفظ الحقوق المالية في المعاملات :

فالقرآن الكريم بعد أن حث أمة على العمل ونهاها عن الإبتزاز والسرقات وسلب أموال الناس وأكلها بالباطل أخذ يبيّن علائق الناس وصلاتهم فيما بينهم على أسس من التعامل والتعاون من شأنها الإرتقاء بالمعاملات وفي نفس الوقت تحفظ علاقة الأخوة وتبقى عليها . وذلك كله في آيتي الدين والرهن اقرأ من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى

(١) البقرة/ ٣٧٥ (٢) البقرة/ ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٣) البقرة/ ٢٧٦ (٤) المرجع السابق - المجلد ١ - ص ٣٣٠

أجل مسمى فاكتبوه . إلى قوله ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾^(١) فهذه الآيات تناولت المعاملات التجارية وكيفية توثيقها بالكتابة والرهن والشهود في أسلوب بلغ الذروة في دقة التعبير وصدق الأداء لترسم لهذه الأمة طريق التعامل الذي يحقق لها حفظ الأموال والعدالة في المعاملات والسلامة من النسيان وتربط بين المؤمنين برابط متين من الحب والتعاون ولهذا قال « ذالكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » .

كما ورد في الآيات حث هذه الأمة على تقوى الله عز وجل بامثال أرائره واجتناب نواهيه لأن ذلك من أقوى أسباب حصولهم على العلم النافع في دنياهم اثناء تعاملهم فيما بينهم وفي آخرتهم اثناء تعاملهم مع خالقهم تبارك وتعالى . وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾^(٢) .

وهكذا فإن القرآن الحكيم حث على العمل وحارب الغش والربا . وكل مامن شأنه أن يضر بأحد الأطراف المتعاملة أو يحدث فساداً في العلاقات الإنسانية وأخلاقياتها ثم وضع لهم أسساً جديدة تكفل لهم حفظ حقوقهم واجباتهم في إطار من التعامل والتعاون الأخلاقي الممتاز .

رابعاً : تفتيت الثروة :

ومن المعلوم أن النشاط التجاري إذا كان يسير على هذا الخط الثابت الرشيد الذي رسمه القرآن الكريم لأمته في العمل والمعاملات فإنه ولاشك سيصل بصاحبه إلى الغنى الفاحش الذي يؤول بصاحبه حتماً إلى الترف وكفران النعمة مما قد يؤدي إلى اختلال في توازن المجتمع . . واضعاف لروابطه فتكثر فيه الخلافات وتظهر فيه الطبقات المتصارعة إلى غير ذلك من الأمور التي تعتبر من أكبر أسباب انحطاط الأمم وزوالها .

ومن ثم رأى القرآن الكريم أن من أوجب واجباته ان يهتم اهتماماً خاصاً بتفتيت الثروات الكبيرة فسلك لتحقيق هذا الغرض عدة سبل من أهم هذه السبل :

١ - أنه شن حملة إعلامية قوية ضد المترفين الذين كفروا النعمة . . وذلك لإضعاف سيطرة المال على نفوس أبنائه وإعلامهم بأن المال ليس هو القوة الحقيقية التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار في الدنيا والآخرة وأن كل من ينظر إلى المال بهذه

(١) البقرة/ ٢٨٢ ، ٢٨٣

(٢) البقرة/ ٢٨٢

النظرة الحقيرة الخالية من المروءة فإنه سيكون عرضة لعقاب الله الذي أعده وسنة للمترفين الذين يعيشون في الأرض فساداً .

ومن الأساليب التي استخدمت في هذه الحملة . . أسلوب تشويه الصورة وذلك بتوجيه أخس الكلمات إلى أصحاب المال المترفين ونعتهم بأبشع النعوت قال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين ﴾ (١) وفي هذا تنفير من المترفين ومن أخلاقهم القبيحة التي لا يرجى من ورائها فلاح ولا فوز .

أسلوب التحذير والتخويف من عاقبة المترفين . قام القرآن الكريم باخبار أمته بأن من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان والتكبر عن الحق وعدم الرضى به هو الترف وكفران النعمة قال تعالى : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا الخاسرون ﴾ (٢) ثم بين عاقبتهم في آية أخرى بقوله ﴿ فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غشاء فبعداً للقوم الظالمين ﴾ (٣) أى أهلكناهم هلاكاً حتى صاروا يابسين كالغشاء « وهو ما يحمله السيل من بالى الشجر والحشيش والقصب ونحو ذلك مما يحمله على ظهر الماء » (٤).

- أسلوب التقابل : عرض القرآن الحكيم صورتين متقابلتين لمجموعتين من الناس أحدهما للمؤمنين المنفقين الذين ينفقون مما آتاهم الله ابتغاء مرضاته والفوز بجنته . والصورة الثانية لأولئك المترفين الذين تنكروا لعطاء الله واتخذوا من مال الله وسيلة للحصول على القوة والسلطان والتكبر على عباد الله والصد عن سبيله لكن هذه الفئة المترفة ماتلبث أن تلقت مصيرها الرهيب المحتوم في العاجلة والآجلة اقرأ من قوله تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ إلى قوله ﴿ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لانتجاروا اليوم إنكم منا لاتنصرون . . ﴾ (٥) وفي هذا ترغيب في الانفاق وتحذير من الترف وكفران النعمة .

- وبأسلوب الاخبار : فالقرآن الكريم أخبر أمته أن من سنن الله أنه إذا حكم

(٤) فتح القدير - ج ٣ - ص ٤٨٣

(٥) المؤمنون / ٦٠ - ٦٥

(١) القلم / ١٠ - ١٤

(٢) المؤمنون / ٣٣ ، ٣٤

(٣) المؤمنون / ٤١

على قرية من القرى الظالمة بالهلاك والدمار أمر مترفيها أمراً قديراً بالفسق فيها والطغيان قال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميراً ﴾ (١) ثم ضرب لهم أمثلة من واقع الأمم السابقة التي دمرها الله وأبادها بسبب فسق المترفين وطغيانهم قال تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ (٢).

وهكذا استمر القرآن الكريم في حملته الإعلامية لانتزاع روح الشُّح والجشع والطمع من نفوس أمته ليحثهم بعد ذلك إلى دفع الزكاة بسخاء وطيب نفس في جو من الود والتراحم بين الأغنياء والفقراء .

٢ - قام القرآن الكريم بحُث أمته على الإنفاق وأمرهم بالزكاة : إن القرآن الكريم حث أمته على الإنفاق ودفعهم إلى ممارسته في العصر المكّي ابتغاء مرضاة الله دون إرغام أو تحديد للإنفاق تاركاً ذلك إلى أخلاقهم الحميدة التي غرسها في نفوسهم قال تعالى : ﴿ ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (٤).

وعندما تركز المسلمون في المدينة وصاروا قوة دولية لها منهجها الخاص في الحياة وهدفها المحدد في العمل اتجهت دعوة القرآن الى توجيه المجتمع وتنظيمه (٥) وجاءت آيات قرآنية كثيرة لتؤكد على فرضية الزكاة ولتشيد بدافعيتها وتندد بما نعيها قال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (٦) أى فريضة من الله فرضها وقدرها تبعاً لعلمه وحكمته وقال تعالى : ﴿ فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ (٧) أى أنهم يقاتلون المشركين حتى يفعلوا هذه الأمور المذكورة في الآية فإن

(٤) البقرة/٢١٥

(٣) البقرة/٢١٩

(٢) الإسراء/١٧

(١) الإسراء/١٦

(٥) مع القرآن في آدابه ومعاملاته - عبدالحسيب طه حميدة - ص ٥٩ دار المعارف بمصر

(٧) التوبة/٥

(٦) التوبة/٦٠

فعلوها تركوا لأنهم حينئذ صاروا مسلمين يحرم ما لهم وعرضهم ودمهم إلا بالحق .
وهذا هو الذي دفع أبا بكر الصديق رضى الله عنه إلى اتخاذ قرار استخدام القوة
والاجراءات العسكرية ضد مانعى الزكاة ويقول قولته المشهورة « ولو منعوني عقلاً مما
أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » (١).

- وقرن القرآن الحكيم في كثير من آياته بين الصلاة والزكاة لاعلام أمته وإشعارها بأنهما
أفضل العبادات وأكمل القربات قال تعالى : ﴿ واقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَمَاتَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

ثم جعل القيام بالزكاة من صفات الذين ينصرون الله فيستحقون نصر الله
القوى العزيز الذي لا يهزم من يتولاه قال تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٣).

وهذا واضح أيضاً من الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل حيث جعل نصر
الله لهم متوقف على القيام بما في هذا الميثاق من شروط والتي كان من بينها « إيتاء
الزكاة » لمستحقيها قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ
عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَزَّيْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٤).

- ومن أساليبه في الحض على الزكاة : أنه في كثير من الأحيان يوصى بعبادة الله
بإخلاص كما يوصى بفعل الخيرات عموماً ثم يخصص بالذكر بعد ذلك إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة مع أنها داخلان في فعل الخيرات وعبادة الله بإخلاص وذلك لإظهار
فضلهما وشرفهما عند الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٥)
وقال تعالى : ﴿ وَمَأْمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١) الملل والنحل - الشهرستاني - ج ١ ص ٢٥ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(٢) الحج / ٤٠ ، ٤١

(٣) البقرة / ١١٠

(٤) الأنبياء / ٧٣

(٥) المائدة / ١٢

ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴿١﴾.

وعلى هذا المنوال من الأساليب الإعلامية استمر القرآن الكريم يطهر اغنياء أمته من مظاهر الغنى الذميمة التي قد تؤدي إلى الكفر والتصدي للحق وليطهر فقراءها من الحسد والحقد حتى توثقت عرى المحبة بين أبنائه والتأم شمل مجتمعه .
ولم يكتف القرآن بمحاربة الترف والحث على الإنفاق ودفع الزكاة ليحقق بذلك هدفه المنشود وهو تفتيت الثروة وتوزيعها بل اتبع طريقاً آخر لم يسبق إليه من أجل تحقيق هذا الغرض الشريف .

٣ - الإرث : يقول عبدالكريم زيدان « إن الميراث يفتت الثروات ويمنع تكديسها في أيد قليلة لأن تركة الإنسان بعد موته تقسم على عدد غير قليل من أقاربه » (٢) اقرأ آيات الميراث من قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . ﴾ إلى قوله ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم ﴾ (٣).

وبهذا تكتمل الحلقة للحركة المالية التي دعا إليها القرآن الكريم أمته وقد بدأها بالحث على العمل من أجل الحصول على الكسب والأموال ثم نهى عن التظالم في المعاملات وأكل حقوق الغير بالباطل لما في ذلك من إضعاف للروابط وإثارة للأحقاد وازدهار للطبقات المتصارعة . ثم أرشدهم إلى طريقة حفظ الأموال والحقوق عند التداين والتعامل وغيرهما . ولما كان العمل من أعظم مظان تجمع المال وتكدسه لدى أيد قليلة من الناس مما قد ينتج عنه خلل في توازن المجتمع ومعاملاته بسبب ما طبع عليه الإنسان من حرص على المال وجمعه وكره العطاء ومشاركة غيره في ثمرات جهوده . كان لابد من إيجاد سبل لتفتيت الثروة وتوزيعها حتى تستمر حركة العمل والمعاملات في جو من الأخوة الإنسانية والأخلاق .

وهكذا دواليك : عمل نشيط على أسس سليمة تحفظ الحقوق والواجبات ، محاربة للظلم والغش والإبتزاز أينما وجد ، ثم تفتيت للثروات كلما تجمعت لدى عدد قليل من الناس للمحافظة على الحركة والنشاط في المعاملات .

(٢) أصول الدعوة - ص ٢٤٥

(١) البينة/ ٥

(٣) النساء/ ١١ ، ١٢

ومن هنا نستطيع أن نقرر بأن القرآن الحكيم قد أحدث تغييراً جذرياً في الرأي العام حول العمل والمعاملات والعلاقات الإنسانية . وأنه أوفى بجميع حاجات أمته في الحركة المالية على أساس متين من العقيدة والأخلاق فجمع بذلك بين الدنيا والآخرة .

وبالإنتهاء من بيان أثر القرآن الكريم في المعاملات أكون قد القيت بعض الضوء على بعض آثاره التي حققها في أمته بفضل أساليبه الإعلامية المعجزة .

فلو أن إعلامنا الإسلامي عمل على ضوئها وانتهج سياستها لاستقام أمره وعظمت الثقة فيه ولكنه تخلى عن الاستفادة من القرآن ومن تعاليمه في الأساليب فتخلى الله عنه ونزع الثقة والبركة منه . وفقد بذلك شخصيته المميزة ومضى وهو يتخبط في الظلمات ضالاً ومضلاً وباحثاً عن شخصية الآخرين يريد العلوق بها وهيئات أن يدرك ذلك فإنهم لن يسمحوا له بالعلوق ولن يعطوه إلا القشور ولو لا خشيتهم من عودته للبحث عن شخصيته لضنوا عليه حتى بالقشور وبذلك يبقى إعلامنا بلا شخصية متذبذباً هنا وهناك كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال حتى تدركه العناية الألهية وترشده إلى أصله لينهل من نهله فيستقيم أمره ويتحقق أثره . وفي الختام أسأل الله لي ولجميع المسلمين التوفيق والسداد إنه قريب مجيب .

الخاتمة

وبعد : فإن المقياس الحقيقي للحكم على أى اعلام بالقوة أو الضعف يكون بأساليبه القولية والعملية لا بما يمتلكه من أجهزة متقدمة كالصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون والسينما وغير ذلك من الأجهزة الحديثة . فإذا صلحت الأساليب وقويت صلح الإعلام وقوي تأثيره وإذا فسدت وضعفت فسد الإعلام وضعف تأثيره .

لذا فإننا نرى كثيراً من الأمم في عصرنا هذا اعتنت بدراسة الأساليب الإعلامية وفنونها وبذلت جهوداً جبارة في تطويرها حتى بلغوا في هذا الميدان مراحل لا بأس بها لخدمة أهدافها وأغراضها ولكننا في الوقت نفسه مع الأسف نرى المفكرين الإعلاميين من المسلمين مازالوا مكتوفي الأيدي ينظرون بسلبية إلى ما وصلت إليه الأساليب الإعلامية لدى المسلمين من تحلف وانحطاط دون بذل أى جهد من جانبهم لإصلاحها أو تطويرها رغم ما يمتلكونه من مصادر غنية وخصيبة في هذا الجانب . فالقرآن الكريم والسنة المطهرة يحتويان على كنوز من فنون الإعلام وأساليبه القولية والعملية التي تتسم بطابع خاص يميزها عن جميع الأساليب الإعلامية قديمها وحديثها فلو أحسن المسلمون استخراجها واستخدامها لبلغ إعلامهم درجة الكمال والرقى . ولكنها لم تحظ حتى الآن ببعض اهتمام الباحثين الإعلاميين لتجليلتها وإخراجها . ومن ثم أصبحت دراسة الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم أمراً ضرورياً لا بد منه . وهذا البحث جاء ليملاً بعض هذا الفراغ الذي يعاني منه الاعلام الإسلامي وسد لبعض احتياجاته . وارتدت من ورائه تحقيق أمرين .

الأول : أن يكون بمثابة اللبنة الأولى لتصحيح مسار الإعلام الإسلامي في أساليبه نحو طريق التقدم والتحرر من التبعية والتخلف .

الثاني : لفت أنظار أرباب العلم وأصحاب الخبرة العلمية من المسلمين في شئون الإعلام وأساليبه ليبذلوا الجهد في استكمالها وإضافة بعض مافاتني إليها .

ولقد ضمنت هذا البحث ما يسهه الله لي في بيان بعض جوانب الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم فإن كان مافيه صواباً فهو من فضل الله عليّ وإن كان فيه خطأ أوزلل فإنني أطلب من الله الغفران وإنّي كما قال تعالى في محكم كتابه ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ هود / ٨٨ . وإذا كان لي أن أوصي بشيء في

الإعلام الإسلامي وأساليبه فإني أوصي بالآتي :

١ - أن يكون مبدؤه في الصراع الإعلامي قائم على أساس العقيدة حتى لا يكون منطلقه من فراغ فيفضل ويُضِلّ ويكون مصيره الفشل والخسران في كل القضايا المصرية وهذا مانستفيدة من قوله تعالى : ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ العصر / ٣-١ .

٢ - أن يستخدم الإعلام الإسلامي الأساليب العملية إلى جانب استخدامه للأساليب القولية معتمداً في ذلك على الهدى الإعلامي في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ الإسراء / ٩ .

٣ - أن يستخدم الإعلام الإسلامي في ضراعه الإعلامي أثناء الحروب النفسية والعسكرية المصطلحات الأربعة التي أطلقها القرآن الكريم على طوائف الناس في أول سورة البقرة وهي « المؤمنون » ، « الكافرون » ، « المنافقون » ، « الشياطين » ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ إلى قوله ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ البقرة / ٤-١٤ . لان في ذلك تحسين لصورة المؤمنين ودعوة لهم لمبادئهم كما ان في ذلك تقبيح لصورة كل من يحارب هذا الدين أو يعاديه من كافرين ومنافقين وأهل كتاب للتنفير منهم ومن مبادئهم ووضع حواجز نفسية بيننا وبينهم حتى لا يغتر بعض المسلمين بدعواتهم وخصوصاً المنافقين الذين كانوا ومازالوا سبب كل رزية في العالم الإسلامي .

٤ - إنشاء كليات ومعاهد عليا متخصصة مزودة بجميع الأجهزة التعليمية ويختار لها النخبة الممتازة من الطلاب والمعلمين المتخصصين في علوم الشريعة للقيام بمشروع ضخيم وهو البحث عن مافي القرآن الكريم والسنة المطهرة من أساليب إعلامية وطرق تحريرها هذا بالإضافة إلى محاولة استنباط منهج للتفكير والتحليل والنظر في قضايا الساعة في ضوء الكتاب والسنة وذلك لتطوير الإعلام الإسلامي وأساليبه ولتحصيل المكتبة الإسلامية على مجموعات غنية من الكتب المتخصصة في الإعلام الإسلامي .

وفي الختام فإني أصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

المراجع

القرآن الكريم :

- الاثبات في علوم القرآن - السيوطي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - مكتبة القرآن « بيروت » .
- الجواهر في تفسير القرآن - طنطاوي جوهرى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- الخمر بين الطب والفقه - محمد على البار - مكتبة الرياض الحديثة (الرياض) .
- الرأى العام والمخطط الصهيوني - فتحي الابياري - مطابع شركة الاعلانات الشرقية .
- أخلاقنا الإجتماعية - مصطفى السباعي - مكتبة الشباب المسلم « دمشق » .
- الأسلوب - أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) .
- الأسلوب الإعلامى والعلاقات العامة - محمد عطا - مكتبة الأنجلو المصرية .
- أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى - على جريشة - دار الإعتصام .
- اسلاميات - خالد محمد خالد - دار الفكر « بيروت » .
- الشريعة الإسلامية - بدران أبو العينين بدران - مؤسسة شباب الجامعة « الاسكندرية » .
- الإعلام الإسلامى والعلاقات الإنسانية - الندوة العالمية للشباب - الطبعة الأولى .
- الإعلام الإسلامى - إبراهيم امام - مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .
- الإعلام الدولى - أحمد بدر - مكتبة غريب « الفجالة » .
- الاعلام ونظرياته فى العصر الحديث - جهان رشتي - دار الفكر العربى « بيروت » .
- اعلام الموقعين - ابن قيم الجوزية - دار الفكر العربى « بيروت » .
- الإعلام العربى بين الدعاية الإمبريالية والصهيونية - منير بكر التكريتي - مطبعة الإرشاد « بغداد » .
- الإعلام فى صدر الإسلام - عبد اللطيف حمزة - دار الفكر العربى .
- الإعلام فى ضوء الإسلام - عمارة نجيب - مكتبة المعارف بالرياض .
- الإسلام دين ودنيا - عبد الرزاق نوفل - دار الجيل للطباعة « الفجالة » .

- أصول الدعوة- عبد الكريم زيدان - الطبعة الثالثة .
- أصول التشريع الإسلامي - على حسب الله - مطبعة العلوم بمصر .
- أضواء على الإعلام الاسرائيلي - منذر عنبتاوي - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- العقائد الإسلامية - السيد سابق - دار الكتاب العربي « بيروت » .
- العمل والضمان الإجتماعي في الإسلام - صادق مهدي السعيد - مطبعة المعارف « بغداد » .
- القاموس المحيط - الفيروز أبادي - مؤسسة الحلبي وشركاه « القاهرة » .
- القصص في العصر الإسلامي - عبد الهادي الفؤادي - دار الزمان « بغداد » .
- الكشف - الزمخشري - مصطفى البابي الحلبي .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - احمد بن محمد الفيومي - المطبعة الخيرية الملل والنحل - الشهرستاني - دار المعرفة للطباعة والنشر .
- النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز - دار القلم « الكويت » .
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد محمود حجازي - دار الكتب الحديثة .
- أورها العصور الوسطى - سعيد عبد الفتاح عاشور - مكتبة الأنجلو المصرية « القاهرة » .
- تاريخ الملوك - ابن جرير الطبري - دار احياء التراث العربي « بيروت » .
- تاريخ التشريع الإسلامي - محمد الخضري بك - مطبعة السعادة بمصر .
- تاريخ الخلفاء - السيوطي - دار التعاون « مكة المكرمة » .
- التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - مطبعة الإستقلال الكبرى .
- التفسير الحديث - محمد عزة دروزة - مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- تفسير الطبري - ابن جرير الطبري - مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
- تفسير البغوي بهامش الخازن - البغوي - مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
- تفسير الخازن - الخازن - مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
- تفسير المراغي - احمد مصطفى المراغي - مصطفى البابي الحلبي « القاهرة » .
- تفسير القاسمي - محمد جمال الدين القاسمي - مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- تفسير أبي السعود - أبي السعود - مطبعة السعادة القاهرة .

- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - دار احياء التراث العربي « بيروت » .
- تفسير آيات الأحكام - محمد علي الصابوني - مكتبة الغزالي « دمشق » .
- تفسير الفخر الرازي - الرازي - مطبعة « عبدالرحمن محمد القاهرة » .
- تفسير البحر المحيط - أبي حيان - دار الفكر « بيروت » .
- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - الطبعة الثالثة .
- تفسير كلام المنان - عبدالرحمن السعدي - المؤسسة السعدية بالرياض .
- تفسيرات بن تيمية - ابن تيمية - مطبعة « بريس مالكاون » .
- تفهيم القرآن - المودودي - دار القلم « الكويت » .
- تهذيب الأخلاق - أحمد بن مسكويه - دار مكتبة الحياة « بيروت » .
- تهذيب سيرة بن هشام - عبدالسلام هارون - المؤسسة العربية الحديثة .
- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام - مطبعة دار الفنون « عين الرمانة » .
- ثقافة الداعية - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة .
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - محمد خلف الله - دار المعارف بمصر .
- جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري - دار المعارف « بيروت » .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير - مطبعة « الملاح » .
- دراسات في الفن الصحفي - ابراهيم امام - الانجلو المصرية (القاهرة) .
- دستور الأخلاق في القرآن - محمد عبدالله دراز - دار القلم « الكويت » .
- دعوة الاسلام - السيد سابق - دار الكتاب العربي « بيروت » .
- زاد المعاد في هدى خير العباد - بن قيم الجوزيه - مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- سنن أبي داود - ابي داود - مطبعة السعادة « بجوار محافظة مصر » .
- سيرة النبي ﷺ - ابن هشام - شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- صحيح مسلم - بشرح النووي - النووي - دار الفكر (بيروت) .
- طريق الراشدين الى تخريج أحاديث بداية بن رشد - عبداللطيف بن ابراهيم - مكتبة مكة للطباعة والاعلام .
- طريق الدعوة في ظلال القرآن - أحمد فائز - الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م .

- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم - عبد المنعم السيد حسن - دار المطبوعات الدولية « ميدان الجيش » .
- فتح القدير - الشوكاني - مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق (بيروت) .
- فن التحرير الاعلامي - عبدالعزيز شرف - الهيئة المصرية للكتاب « القاهرة » .
- فن الخبر - محمود أدهم - الطبعة الأولى .
- فن القصة - احمد ابوسعيد - دار الشروق الجديد « بيروت » .
- كتاب التعريفات - علي بن محمد الجرجاني - مكتبة لبنان « بيروت » .
- كتاب الأخلاق - احمد أمين - مكتبة النهضة المصرية « القاهرة » .
- لمحات في علوم القرآن - محمد الصباغ - المكتبة الاسلامية .
- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - مؤسسة الرسالة (بيروت) .
- مجمع الأمثال - الميداني - دار مكتبة الحياة « بيروت » .
- مختصر تفسير بن كثير - محمد علي الصابوني - دار القلم .
- مختصر سيرة الرسول ﷺ . - الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - المطبعة السلفية ومكتبتها .
- مختصرة سيرة بن هشام - محمد عفيفي الزعبي - دار النفائس .
- مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي - المطبعة العامرة الشرفية .
- الامثال القرآنية - عبدالرحمن حبنكة الميداني - دار القلم « دمشق » .
- الامثال من الكتاب والسنة - الترمذي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر « القاهرة » .
- مدخل الى القرآن الكريم - محمد عبدالله دراز - دار الفكر الكويتي .
- مذكرات في الدعوة الاسلامية - عبدالغفار محمد عزيز - دار المعارف السعودية للطباعة والنشر .
- نظرات تحليلية في القصة القرآنية - محمد الجذوب - مؤسسة الرسالة .
- مع القرآن الكريم - شعبان محمد اسماعيل - دار احياء الكتب العربية .
- مع القرآن وآدابه ومعاملاته - عبد الحسيب طه حميدة - دار المعارف بمصر .
- مناهل العرفان - الزرقاني - دار احياء التراث العربي « بيروت » .

- مناهل الجدل في القرآن - زهر عواض الالمعي - مطابع الفرزدق التجارية .
- من قضايا الاعلام في القرآن - رمضان لاوند - مطابع الهدف « الكويت » .
- موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباص - مكتبة الرائد العربي « بيروت » .
- نفحات القرآن - عبداللطيف السبكي - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

(المجلات)

- مجلة كلية اصول الدين - العدد الثاني - ٩٩ - ١٤٠٠ هـ .
- مجلة المسلم المعاصر - العدد العاشر ١٩٧٧ م .
- المجلة السعودية - العدد (٣٧) السبت ٣١ اكتوبر ١٩٨٠ م .
- مجلة المجتمع الكويتية - العدد (٥٦٢) الثلاثاء ٢٥ فبراير ١٩٨٢ م .
- مجلة « اقرأ » السعودية - العدد (٢٥٢) الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م .

(الصحف)

- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٢٣٣٢) في ٢ محرم ١٣٩٩ هـ .
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٣٠٣) في ١١ سبتمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٣٢٤) في ٢ اكتوبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الجزيرة السعودية - عدد (٣٤٣٤) في ٢٨ يناير ١٩٨٢ م .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٤٩٨٧) في ١ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٥٠٢١) في ١٥ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ .
- صحيفة الرياض السعودية - عدد (٥٠٦٧) في ٤ مارس ١٩٨٢ م .
- صحيفة عكاظ السعودية - عدد (٥٦٥٢) في ٢٠ نوفمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة عكاظ السعودية - عدد (٥٦٨٢) في ٢٠ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الشرق الاوسط - عدد (١٢٠٧) في ١٩ مارس ١٩٨٢ م .
- صحيفة المدينة - عدد (٥٣٩٤) في ٢١ ديسمبر ١٩٨١ م .
- صحيفة الندوة - عدد (٦٨٤٥) في ١٢ ذي القعدة ١٤٠١ هـ .
- صحيفة اليوم - عدد (٣٤١٩) في ٤ مارس ١٩٨٢ م .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

الموضوع

١	المقدمة : سبب اختيار الموضوع
٥	التمهيد : الأسلوب في اللغة والإصلاح
٦	- معنى الأسلوب الإعلامي في القرآن
٩	- أنواع الأسلوب الإعلامي
١٥	الباب الأول :- الهدى الإعلامي في القرآن الكريم
١٦	الفصل الأول :- القرآن الكريم من حيث هو مصدر إعلامي
١٦	- نزول القرآن منجماً حسب الأحداث
١٧	- الأغراض الإعلامية من التنجيم
٢٥	- مراعاة التوقيت المناسب
٣٠	الفصل الثاني : الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم
٣٠	- الدستور الإعلامي في القرآن الكريم
٣٦	- بعض الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم
٣٦	أولاً : صور من الأساليب الإعلامية القولية :
٣٦	١- الهدم والبناء
٣٨	٢- التقابل
٤٠	٣- التبشير بغد أفضل
٤٣	٤- الجدل
٤٨	٥- التهديد
٥٠	٦- تشويه الصورة
٥٥	٧- تحسين الصورة

٥٨	ثانيا : صور من الأساليب الإعلامية العملية
٥٨	أ - القدوة الحسنة
٥٩	١ - الصدق
٥٩	٢ - الالتزام بالعهد
٦٠	٣ - العفو عند المقدرة
٦٠	٤ - الثبات على الحق
٦١	ب - العمل :
	بعض الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم
٦١	وأهدافها الإعلامية
٦١	١ - الهجرة
٦٢	٢ - بناء المسجد
٦٣	٣ - بيعة الرضوان
٦٤	٤ - البعثات النبوية
٦٥	ج - بعض العبادات العملية وآثارها الإعلامية
٦٥	- الصلاة
٦٦	- الحج
٦٧	- القصاص
٦٨	- الجهاد
٧٦	الأعداء وأساليبهم الإعلامية
٧٦	أولا : المشركون وأساليبهم الإعلامية
٧٧	بعض أساليب المشركين الإعلامية
٨٢	ردود فعله ﷺ
٨٢	ثانيا : المنافقون وأساليبهم الإعلامية
٨٣	أهم أساليب المنافقين الإعلامية
٨٧	ردود فعله صلى الله عليه وسلم

٨٨	ثالثاً : أهل الكتاب وأساليبهم الإعلامية
٩٠	بعض أساليب أهل الكتاب الإعلامية
٩٣	ردود فعله ﷺ
٩٦	الفصل الثالث : خصائص الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم
٩٦	أولاً : الربانية
٩٩	ثانياً : التوافق وعدم التناقض
١٠٠	ثالثاً : الواقعية
١٠٥	رابعاً : شرف القصد
١١٠	الباب الثاني : نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن وطرق تأثيره
١١١	الفصل الأول : - نماذج من الأسلوب الإعلامي في القرآن
١١١	أولاً : أسلوب الخبر
١١١	- أهمية الخبر الإعلامي
١١٢	- معنى الخبر في اللغة والإصطلاح
١١٥	- تعريف الخبر القرآني
١١٨	- أمثلة على الخبر القرآني
١٢٠	ثانياً : أسلوب القصة :
١٢٠	- القصة في اللغة والاصطلاح
١٢١	- القصة أسلوب قرآني
١٢١	- بعض أغراض القصة القرآنية
١٢٢	- نماذج من القصة القرآنية
١٢٨	ثالثاً : أسلوب المثل
١٢٨	- المثل وفائدته الإعلامية
١٢٩	- بعض الجوانب الإعلامية للمثل القرآني
١٣٨	رابعاً : أسلوب الحكيم
١٣٩	- معنى أسلوب الحكيم

١٣٩	- بعض الأمثلة على هذا الأسلوب
١٤٤	الفصل الثاني : بعض طرق تأثير القرآن الكريم
١٤٤	١ - ذكر الحقيقة :
١٤٦	* بعض الأمثلة القرآنية
١٤٩	* مكانة الصدق في الإعلام القرآني
١٤٩	* الترغيب في ذكر الحقيقة والتنفير من حجبها
١٥١	* الحالات التي يجوز فيها الكذب
١٥٤	* ماهو المفروض في الإعلام المعاصر ؟
١٥٥	* حجب الحقائق من أخطر أساليب الحرب النفسية
١٥٦	٢ - التوليد :
١٥٧	- أمثلة قرآنية على التوليد
١٥٩	- التوليد في الإعلام القرشي
١٦٢	- التوليد في الإعلام المعاصر
١٦٥	٣ - التدرج :
١٦٧	* بعض الأمثلة على التدرج
١٧١	* التدرج طريقة إعلامية معاصرة
١٧٣	٤ - التذكير :
١٧٤	* أمثلة على التذكير
١٧٥	* حاجة المسلمين اليوم إلى التذكير والتذكر
١٨٠	* التذكير في الإعلام المعاصر
١٨٢	٥ - التكرار :
١٨٣	- بعض الأمور التي كررها القرآن لأهميتها
١٨٦	- التكرار في الإعلام المعاصر
١٨٨	٦ - التشويق :
١٨٨	* أهمية عنصر التشويق وظهوره في الإعلام القرآني
١٨٩	* أمثلة قرآنية على التشويق

١٩٣	* طريق آخر للتشويق
١٩٥	* التشويق ضرورة إعلامية في العصر الحديث
١٩٨	الباب الثالث : أهم آثار الأسلوب الاعلامي في القرآن
١٩٨	الفصل الأول : أثره في العقيدة :
١٩٨	- عناية القرآن بالعقيدة
٢٠٠	- بعض أساليب القرآن الإعلامية لاقتناع الناس بالعقيدة
٢٠٣	- صور من آثار العقيدة في نفوس الصدر الأول
٢٠٥	- خيبة أمل في الإعلام الإسلامي المعاصر
٢٠٧	الفصل الثاني : أثره في الأخلاق
٢٠٧	- عناية القرآن بالأخلاق
٢٠٩	- بعض الجوانب الاخلاقية التي حث القرآن عليها بأساليب متعددة
٢١٠	١ - الصبر
٢١٢	٢ - الرحمة
٢١٤	٣ - الكرم
٢١٦	٤ - التواضع
٢١٩	- سبب ضعف الامة وانقسامها ومسئولية الاعلام عن ذلك
٢٢١	الفصل الثالث : أثره في المعاملات :
٢٢١	- نظام المعاملات ضرورة انسانية
٢٢٢	- عناية القرآن بالمعاملات
٢٢٢	أولاً - الحث على العمل
٢٢٣	ثانياً - تحريم اكل اموال الناس بالباطل
٢٢٦	ثالثاً - حفظ الحقوق المالية في المعاملات
٢٢٧	رابعاً - تفتيت الثروة
٢٣٣	الخاتمة
٢٣٥	الفهارس

ع ٢

طبع هذا الكتاب بموجب الترخيص
الصادر من إدارة المطبوعات
بمكة المكرمة برقم ٢/٢٠٥ م
في ١٤١٢/٢/٢١ هـ